السبت 21 أيار 2022
العدد 4634 السنة السادسة عشرة
Samedi 21 Mai 2022 nº 4634 16ème année

28 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

انتخابات 2022

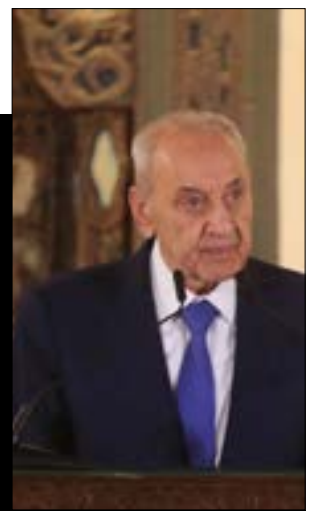

جنبلاط بين غالبيتين
الجلوس على ضفّة النهر أفضل

5

الحكومة ترفع الأسعار وترحل [2]

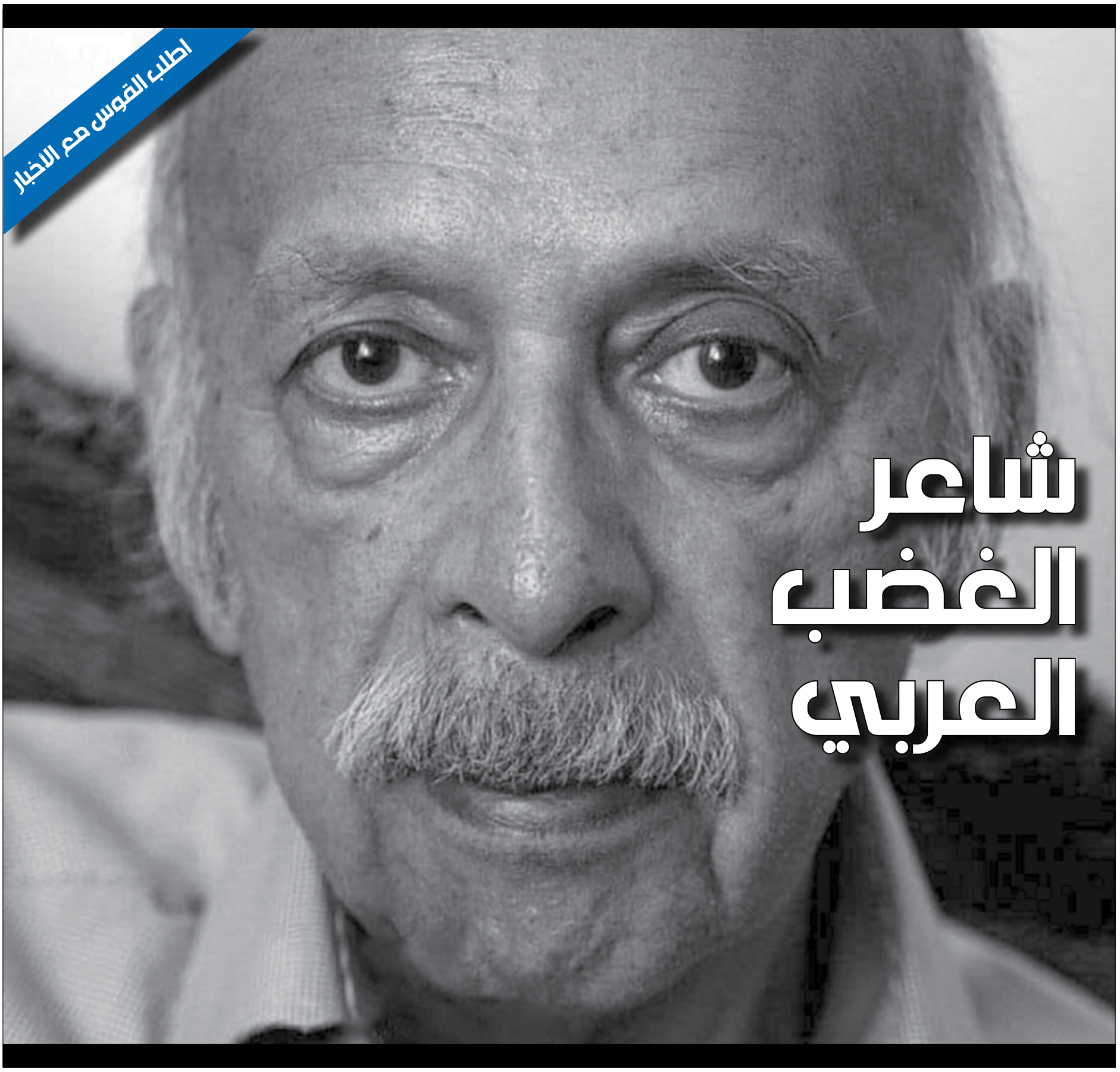

البلاد

ملف

سيف القدس: «ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل»

[10-15]

الأردن

عمّان في زحمة المخاوف
«فتنة حمزة» غير نائمة

16

قضية اليوم

ممنوع النقاش في «خطّة التعافي»
الحكومة ترفع الأسعار وترحل

حتى في جلستها الأخيرة، كان ممنوعاً على الوزراء النقاش في خطّة التعافي وشروط صندوق النقد الدولي المسبقة. بل كان مطلوباً من الوزراء المشاركة في رفع أسعار الاتصالات ثم إقرار باقي البنود بهدوء قبل الرحيل. هذه الحكومة شكّلت غطاء لحاكم مصرف لبنان ومنعت محاكمته محلياً وحاولت منعها أوروبياً أيضاً. وحاولت أن ترفع الدولار الجمركي، ولم تمنع تضخم الأسعار من قضم ما تبقى من قوّة شرائية لدى المقيمين في لبنان. ولا سيما أسعار المواد الغذائية وأسعار البنزين والمازوت. هذه حكومة لا أسف عليها

تقتصر إنجازات حكومة الرئيس نجيب ميقاتي على رفع الدعم والأسعار... ثم الرحيل. لم تتمكن هذه الحكومة من وقف التدهور ومفاعيل الانهيار المتواصلة منذ أكثر من سنتين، بل ساهمت في مسار التدهور وغطّت قرارات حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، وآخرها قضى بتبديد أكثر من مليار دولار من سيولته بالعملات الأجنبية على تثبيت لسعر الصرف لا طائل منه، علماً بانه أنفق أكثر من 20 مليار دولار

(دالاتي ونهرا)

عدد من الوزراء أجلوا ملفات خاصة بوزاراتهم لطرحها في الجلسة الأخيرة لتمريرها بطريقة عشوائية

خلال فترة الأزمة. هذه الحكومة لم تسائله ولم تحاسبه بل أمعنت في منع القضاء المحلّي من مساءلته، وحاولت منع القضاء الأوروبي من القيام بذلك أيضاً. لكنها لم تكتف بذلك، بل تبنّت خطّة سرية لمعالجة الأزمة أقرّها مجلس الوزراء بلا نقاش في الجلسة الأخيرة المخصصة لـ «تهريب القرارات». خطة لم يعرض منها على مجلس الوزراء سوى بضعة خطوط عامة. وحين اعترض وزراء حزب الله على الخطّة لأنها لم تأخذ في الاعتبار ملاحظاتهم، كان الردّ بأن الملاحظات لا تتلاءم مع شروط صندوق النقد الدولي. إذاً، أقرّت الحكومة خطة إملاءات الصندوق، وقرّرت رفع الدعم عن مشتقات الخبز ورفع أسعاره، ورفعت أسعار الاتصالات، وعلى يديها ارتفعت أسعار البنزين والمازوت بعدما جرى تسعيرها بالدولار النقدي ما أدّى إلى ارتفاع تعرفات المولدات وإنتاج الكهرباء خارج مؤسسة كهرباء لبنان. وفي عهدها قرّرت المدارس والجامعات تسعير الأقساط بالدولار النقدي... لم تقم الحكومة بما يفيد أي مواطن أو أي مقيم في لبنان، بل على العكس كادت أن تصيبه أكثر عندما حاولت تمرير تسعير الدولار الجمركي على سعر صيرفة، وهي حاولت تمرير رفع تعرفة الكهرباء رغم أن الحدّ الأقصى للإنتاج هو ساعتا تغذية يومياً... في أيام حكومة ميقاتي، أي منذ تشكيلها في أيلول 2021 تضخمت الأسعار بنسبة 100% ما يعني أنها لم تحرّك ساكناً تجاه الأزمة.

على أي حال، عقد أمس مجلس الوزراء، جلسته الأخيرة، والتي كان على جدول أعمالها نحو 133 بنداً ما عدا تلك التي طرحت من خارج جدول الأعمال. وبخلاف ما كان متوقعاً، أقرّ المجلس رفع تعرفة الاتصالات اعتباراً من أول تموز المقبل بمعدّل ضعفين ونصف عن التعرفة الحالية حدّ أدنى. وبحسب عدد من الوزراء، فإن الجلسة اتسمت بحال من الفوضى، إذ تبيّن أن هناك الكثير من الوزراء الذين أجلوا ملفات خاصة بوزاراتهم لطرحها في الجلسة الأخيرة كي يُصار إلى «حرقها» أو تمريرها بطريقة عشوائية».

أبرز البنود المعروضة كانت خطة التعافي والدولار الجمركي. اعتبر بعض الوزراء أن مشكلة الاتصالات لا تتعلق بفاتورة المشتركين إنما بالهدر والفساد، لكن وزير الاتصالات جوني القرم أبلغهم بالآتي: «لا أحد يحمّلني مسؤولية انهيار القطاع إذا لم تقرّ التعرفة الجديدة لأوجيرو ولقطاع الخليوي، لأنها خطوة ضرورية والوضع لم يعد يحتمل»، لافتاً إلى أن «القطاع بحاجة إلى مازوت بأكثر من 50 مليون دولار وهذا المبلغ لن يتأمّن إلا من رفع التعرفة». أما في ما يتعلق بما يسمّى «خطة التعافي»، فقد عبّر وزراء حزب الله وحركة أمل والاشتراكي (علي حمية، مصطفى بيرم، عباس الحاج حسن، عباس مرتضى، وعباس الحلبي) عن اعتراضهم عليها لأن نائب رئيس الحكومة سعادة الشامي لم يأخذ بملاحظاتهم. لكن الشامي أجاب: «هذه الملاحظات لا تتناسب مع الخطة». ما لم يقله الشامي أن الملاحظات لا تتناسب مع شروط صندوق النقد الدولي الذي ينبطح الشامي أمامه مباشرة. ولم ينقذ الموقف تدخّل رئيس الحكومة نجيب ميقاتي قائلاً: «نحن مضطرون ومحشورون، فعدم إقرارها ستكون له تداعيات، لأن رئيس مجلس النواب نبيه بري يربطها بالكابيتال كونترول». عملياً، من يربط الكابيتال كونترول بالخطة هو صندوق النقد الدولي، والكل يسارع لتحقيق شروطه وعلى رأسهم بري وجنبلاط رغم اعتراض وزرائهما في الحكومة.

أما النقاش الأكبر فكان حول الدولار الجمركي الذي اعتبر بعض الوزراء، ولا سيما الوزير مرتضى، أن له بعداً مالياً، أي إنه يحتاج إلى تشريع وهذه «مهمة مجلس النواب». ومع أن نائب رئيس الحكومة ووزير المال يوسف خليل أصرّا عليه، إلا أن الأخير طالب بسحبه لمزيد من الدرس. السبب الفعلي وراء السحب، هو أن لا أحد يتحمّل قراراً كهذا ستكون له مفاعيل ضريبية هائلة وتضخمية كبيرة.

(الأخبار)

الإنترنت غير الشرعي باقٍ بقرار الحكومة

حتى الساعات الأخيرة من جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في قصر بعبدا أمس، كان وزير الاتصالات جوني قرم متشائماً حول إقرار مرسومي تعديل الخدمات الهاتفية والإنترنت، ورفع تعرفة رسوم شركتَي الخليوي. لكن سرعان ما تجاوب كل الوزراء مع طرح مشروعي المرسومين من خارج جدول الأعمال، وكأن الغرض «تهريبهما» لتفادي أي رد فعل في الشارع قبل الجلسة. وبالفعل، أقرّ مجلس الوزراء مرسوم رفع كلفة الخلوي للخطوط الثابتة والبطاقات المدفوعة سلفاً اعتباراً من بداية تموز المقبل، على أن تصبح مرتبطة بمنصّة صيرفة. فعلى سبيل المثال، إذا كانت فاتورة الخط الثابت 100 دولار على سعر الصرف الرسمي، سيتم قسمتها على 3 لتصبح 33,3 دولار ثم يجري احتساب الدولار وفق سعر منصة صيرفة الذي بلغ أمس 23500 ليرة، لتصبح الفاتورة 782 ألف و550 ليرة لبنانية بدلاً من 150 ألفاً. أما في ما خصّ البطاقات المدفوعة سلفاً، فستطلق الوزارة في السوق بطاقتي تشريج للفئات المحدودة الدخل بقيمة 4,7 دولار و7 دولارات. وفي ما خصّ الموضوع المتعلّق بزيادة أسعار الخدمات المقدّمة من «أوجيرو»، فقد أقرّ المرسوم أيضاً، لكن مع تحفّظ. على الجزء الخاص بـ«قوننة» الإنترنت غير الشرعي، إذ التف رئيس مجلس الوزراء نجيب ميقاتي على الموضوع طالباً التأكد من تطبيق ملاحظات مجلس الشورى قبل تنفيذه. ولهذا الغرض، عيّن لجنة مؤلفة من وزراء المال والطاقة والعدل والاتصالات للبحث في هذا الشأن. ويبدو أن الهدف من هذه اللجنة هو «تطيير» الجزء الخاص بكارتيل مهربي الإنترنت.

تقرير

نصرالله: مقبلون على تحديات خطيرة

نبّه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله إلى أن «التحدي الداهم هو الأزمة الاقتصادية والمعيشية وأزمة الخبز والدواء والكهرباء وليس سلاح المقاومة»، لافتاً إلى «أننا لا نملك ترف الوقت وهذا يتطلب حركة طوارئ في البرلمان وتشكيل الحكومة».

وفي كلمة بمناسبة ذكرى وفاة القيادي في الحزب مصطفى بدر الدين شدّد نصرالله على أن «الانفتاح على الشرق والغرب يجعلنا نمنع الانفجار، وعودة العلاقات مع سوريا تفتح لنا باب معالجة أزمة النازحين». ورأى أن «استخراج النفط هو باب الأمل الأساسي للخروج من أزمتنا، لا التسول وقروض البنك الدولي». وقال إن «أكثر من يعرف الفريق الذي ندعوه للشراكة اليوم هم الأميركيون، ومنهم ديفيد شينكر الذي وصفهم بالنرجسيين والشخصانيين، أي انه لا تهمهم مصلحة البلد والناس». وأشار إلى أن «الانقسام في لبنان لا يزال موجوداً وهو اليوم حادّ، وبالتالي نحن مقبلون على تحديات كبيرة وخطيرة جداً». وتوجه إلى «من يناقش بالانتماءات الوطنية»، قائلاً: «نحن أكثر المعنيين بالحفاظ على البلد وهويته». وتابع: «نحن هنا ولدنا وهنا ندفن ولا يتوقعن أحد أننا سنضعف أو نتخلى عن بلدنا الذي دفعنا من أجله كل هذا الدم الغالي». واعتبر أن «العلاقات العربية والهوية العربية من الأمور التي لا يناقش فيها، لكن لا يتوهمن أحد أن العالم العربي قادر على حماية لبنان، وهو لم يستطع حماية فلسطين عندما كان قوياً وموحداً ومتماسكاً ولم يستطع حماية لبنان ولم يساعد في تحريره، والذي يحرر ويحمي هو شعبنا وإرادتنا ومقاومتنا. لا أحد في لبنان بعد 74 سنة من الصراع مع إسرائيل يمكنه أن يفتح حساباً للنظام الرسمي العربي». وسأل: «ماذا فعلت الدولة والسلطة لحماية لبنان في 17 أيار؟ ذهبوا إلى أسوأ خيار إلى التفاوض مع العدو من موقع الضعف والاستسلام وفاوضوا ووقعوا اتفاقية مذلة للبنان تنتقص من سيادته وتنتقص من كرامته وحريته على أرضه، ووافق عليها رئيس الجمهورية والحكومة وعرضت على مجلس النواب، وفقط نجاح واكيم وزاهر الخطيب هما من عارضا اتفاقية 17 أيار في مجلس النواب آنذاك، وكثر من أبناء الشعب اللبناني رفضوا اتفاقية 17 أيار وكان الرفض عابراً للطوائف، والمقاومة بكل فصائلها وقواها هي التي أسقطت 17 أيار».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

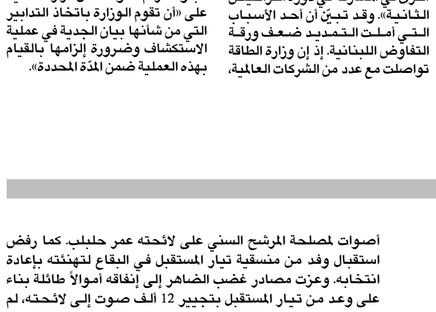

تقرير

جائزة آخر أيام الحكومة للفرنسيين... التمديد لـ«توتال»

مطلع هذا الشهر، «هرّبت» الحكومة قرار تمديد عقد شركة «توتال» لحفر البلوكين الغازيين 4 و9 واستكشافهما، بحجة صعوبة اجتذاب شركات دولية، رغم تلكؤ الشركة في تنفيذ التزاماتها، التلكؤ سببه على الأغلب ضغوط سياسية مرتبطة بملف الترسيم. وقرار التمديد هو، على الأرجح، هدية الحكومة للرعاة الفرنسيين لرئيسها

عبد الله قمح

منذ فوز شركة «توتال» الفرنسية، في دورة التراخيص الأولى عام 2018، بعقد حفر البلوكين 4 و9 واستكشافهما، لم تقوم «ضربة» واحدة في البلوك 9، واعتماداً على نتائج فحوص مخبرية لعيّنات استخرجتها بعد حفر بئر في البلوك 4، «حسمت» عدم وجود كميات تجارية من الغاز فيه، رغم أن العقد يلزمها حفر بئر ثانية. استناداً إلى ذلك، وإلى ذرائع أخرى تقنية أو بسبب ظروف «كورونا»، امتنعت الشركة عن تنفيذ بنود العقد وعن البدء بأعمال الحفر. غير أن الواضح أن وراء هذه المبررات ضغوطاً سياسية تتعلق بابتزاز لبنان لمنعه من بدء الحفر والتنقيب والاستخراج قبل إنهاء ملف ترسيم الحدود مع العدو الإسرائيلي. وقد عاد رسميون زاروا باريس، أخيراً، بأجواء «سلبية»، ونقلوا عن مسؤولين فرنسيين أن الشركة ليست في وارد استئناف أي أعمال في البلوك الرقم 9 حالياً. وهو ما سمعه وزير الأشغال علي حمية في العاصمة الفرنسية التي زارها في آذار الماضي.

رغم تلكؤ «توتال»، أدرج على جدول أعمال جلسة مجلس الوزراء التي عُقدت في 5 أيار الجاري طلب من الشركة الفرنسية لتمديد مهلة تنفيذ العقد والاستكشاف لثلاث سنوات، بعدما درسته هيئة إدارة قطاع البترول وأصدرت توصيتها في 20 نيسان 2022 (الرقم 2/2022) بالموافقة على التمديد بعد تعديلات في التفاصيل. وبعد درس الملف في الجلسة، وبناءً على اقتراح وزير الطاقة وليد فياض، أقرّ مجلس الوزراء تمديد مهلة تنفيذ عقد الاستكشاف لمدة ثلاثة أعوام في البلوك الرقم 9 (تنتهي في 21 أيار 2025)، ولمدة عام واحد في البلوك الرقم 4 (تنتهي في 22 تشرين الأول 2023).

ضمّن وزير الطاقة قرار التمديد بنداً يلزم الشركة بمقابل مالي في حال تخلّفها عن تنفيذ التزاماتها

التمديد، بحسب مصادر وزارية، جاء «بالاستناد إلى المصلحة اللبنانية التي تقضي بالاستفادة من إبقاء «توتال» في لبنان في ظل عدم رغبة شركات أخرى في المشاركة في دورة التراخيص الثانية». وقد تبيّن أن أحد الأسباب التي أملت التمديد ضعف ورقة التفاوض اللبنانية. إذ إن وزارة الطاقة تواصلت مع عدد من الشركات العالمية، مثل «بترورناس» و«روسنفت» والشركة القطرية وغيرها، لاستطلاع رغبتها في المشاركة في دورة التراخيص الثانية السارية حالياً (تنتهي في 15 حزيران المقبل)، لكنها تلقت ردود فعل سلبية. لذا، وفق المصادر، ليس من مصلحة لبنان إخراج «توتال» وسط صعوبة العثور على بديل. غير أن المصادر الوزارية لم تعط تفسيراً لعدم ضغط الحكومة على الشركة لإجبارها على تنفيذ التزاماتها في البلوكين 4 و9.

مصادر وزارة الطاقة، من جهتها، أشارت إلى أن التمديد لـ«توتال»، أدّى إلى تحصيل «المفاوض اللبناني» نقاط قوة. إذ إن الشركة طلبت التمديد من دون شروط ولمدّة زمنية طويلة نسبياً، ووفقاً للاتفاق الأساسي الذي جرى على أثره توقيع العقود بين الجانبين إثر فوزها بدورة التراخيص الأولى. غير أن الجانب اللبناني أدرج شروطاً جديدة. وعلمت «الأخبار» أن وزير الطاقة اشترط بنداً يلزم الشركة بمقابل مالي في حال تخلّفها عن تنفيذ التزاماتها، إضافة إلى تسليم البئر «المخطوف» في البلوك الرقم 4، وقد نصّ قرار التمديد على «أن تقوم الوزارة باتخاذ التدابير التي من شأنها بيان الجدية في عملية الاستكشاف وضرورة إلزامها بالقيام بهذه العملية ضمن المدّة المحددة».

إجبار المشتركين على تبديل هواتفهم

أقرّ المجلس المادة الرابعة في جدول الأعمال التي تنص على «إيقاف استخدام تكنولوجيا شبكات الجيل الثاني (2G) ونسبة كبيرة من الجيل الثالث (3G- U2100) التي تكلّف الدولة نفقات تشغيلية ورأسمالية باهظة تقدر بـ42,65 مليون دولار خلال السنوات الثلاث المقبلة». واستند وزير الاتصالات إلى دراسات مقدمة من «ألفا» و«تاتش» لإيقاف استعمال هذه الشبكات من دون تفكيكهما خلال مدة أقصاها 12 شهراً. إيقاف خدمات الجيل الثاني والثالث وفق الدراسة يتطلب من حوالي 232 ألف مشترك تبديل هواتفهم وأجهزتهم غير الذكية من الجيل الثاني بأجهزة تتماشى مع تكنولوجيا الجيل الثالث والرابع. لذلك ستقوم الشركتان بإبلاغ المؤسسات التجارية والمستهلكين بتبديل أجهزتهم خلال مدّة أقلّها 4 أشهر قبل البدء بإيقاف الخدمات. ومن المتوقع، أن تعمد محال بيع الهاتف إلى رفع الأسعار بشكل جنوني مع زيادة الطلب. إلا أن رفع سعر كلفة الخلوي سيدفع بالمواطنين إلى إعادة استخدام الهاتف الأرضي الأقل كلفة من مصاريف الهاتف الخلوي. وسيتطلب الأمر أيضاً تبديل نحو 5364 جهازاً تستخدم في المؤسسات الأمنية من جيش وقوى أمن والدفاع المدني، ووفق تقديرات ستبلغ كلفة الأجهزة الجديدة 162 ألف دولار (30 دولاراً للجهاز الواحد). إلى ذلك، يفترض تأمين 2,25 مليون دولار لمشروع الاعتراض القانوني و5,7 مليون دولار لمشروع تحديد الموقع الجغرافي، وهما أمران ضروريان لاستبدال التقنيات المعتمدة حالياً بحسب ممثلين للأجهزة الأمنية. واشترط الوزراء أن يكون التمويل مؤمناً، لذلك اقترح وزير الاتصالات تمويل هذه المصاريف من الوفر الذي ستحققه الشركتان نتيجة إلغاء الجيلين الثاني والثالث. مصادر في الشركتين تعتبر أن إلغاء الجيل الثاني و83% من الجيل الثالث سيؤدي إلى تراجع خدمات الاتصالات بشكل كبير بسبب الضغط الذي سيتركز على شبكة واحدة وموجة واحدة، وأن كلفة هذا الإجراء على نوعية الإرسال والخدمة سيكون كبيراً.

علم وخبر

إبراهيم إلى واشنطن

يتوجه المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم إلى واشنطن، غداً، تلبية لدعوة رسمية تتضمن لقاءات مع مسؤولين رفيعي المستوى في الإدارة الأميركية. مصادر مطلعة قالت إن نتائج الانتخابات النيابية «ستكون محور لقاءات إبراهيم الذي يرجّح أن يحمل رسائل أميركية إلى الأفرقاء اللبنانيين».

ميشال الضاهر غاضب من المستقبل

رفض النائب ميشال الضاهر الرد على اتصالات الأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري بعد فشل ماكينة تيار المستقبل بتجيير أصوات لمصلحة المرشح السني على لائحته عمر حليلب. كما رفض استقبال وفد من منسقية تيار المستقبل في البقاع لتهنئته بإعادة انتخابه. وعزت مصادر غضب الضاهر إلى إنفاقه أموالاً طائلة بناء على وعد من تيار المستقبل بتجيير 12 ألف صوت إلى لائحته، لم يحصل حليلب سوى على 2000 منها.

طحين وزير الاقتصاد للمرعبي

رغم أنّ أزمة الطحين كانت تلوح في الأفق منذ ما قبل الانتخابات مع نفاد المادة من المخازن، وزّع المرشح الخاسر في عكار طلال المرعبي «بونات» طحين خلال حملته الانتخابية على حساب وزارة الاقتصاد، علماً أن المرعبي هو خال وزير الاقتصاد أمين سلام!

انتخابات 2022

على طريقة 2005: مقايضة الرئيس بنائبه

منتصف ليل اليوم، تنتهي ولاية برلمان 2018، وتبدأ من الساعة الصفر من 22 أيار ولاية السنوات الاربع لخلفه. بيد أن دون مباشرته صلاحياته، تكوين ادارته الممثلة بهيئة مكتبه، واولها انتخاب رئيسه ونائب للرئيس. قبل ذلك ليس النواب الجدد سوى حبر على ورق

نقولا ناصيف

ما يحدث الآن في الخلاف على انتخاب رئيس للبرلمان المنتخب نائبه ليس الاول. سبق ان حدث بعد انقسام البرلمان المنتخب عام 2005 اثر اغتيال الرئيس رفيق الحريري وانسحاب القوات السورية في لبنان. حينذاك، كان فقد نائب المجلس المنتخَب منذ عام 1992 ايلي فرزلي موقعه، واشعرت النشوة والرغبة في تصفية حساب قديم والثأر السياسي قوى 14 آذار بفائض قوتها، بعد اسقاط الغالبية النيابية لحلفاء سوريا وانتقالها اليها، في مرحلة يراد فيها التحول الى نقيضها. ما ان أنجزت انتخابات 2005، على ابواب الاستحقاق التالي وهو انتخاب رئيس للمجلس الجديد، ابلغ النائب حينذاك سعد الحريري الى الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله رفضه التصويت للرئيس نبيه بري، وطلب منه اختيار اي مرشح آخر لرئاسة المجلس، وإن كان من الحزب نفسه، ولم يمانع في احد النائبين محمد رعد او محمد فنيش. جواب نصرالله الذي لم يتأخر التمسك ببري وحده رئيساً للمجلس. على مضض، انتهى المطاف بتسليم الحريري وحلفائه في قوى 14 آذار بالخيار غير القابل للمساومة، وإن تحت وقع تبدّل موازين القوى السياسية داخل الحكم وقتذاك.

الثمن المقابل، بسبب خسارة فرزلي، ان نقلت الغالبية الجديدة نيابة الرئاسة اليها بمرشح وحيد هو النائب فريد مكاري. ترجمت هذا الانقسام الارقام المسجلة في الجلسة الاولى للبرلمان الجديد في 28 حزيران 2005. حضر الى القاعة كل النواب المنتخبين - وفي الغالب والتقليد في اولى جلسات مجلس جديد لا يتغيب احد عن الصورة التذكارية وعن التعرف الى مقعده والى سواه. من 128 نائباً، حاز بري 90 صوتاً الى 37 ورقة بيضاء وورقة لاغية، بينما تقدّم عليه مكاري بانتخابه بـ99 صوتاً و26 ورقة بيضاء ومغلفين فارغين. حينذاك، بغية ارسال اشارة سلبية ذات دلالة الى الثنائي الشيعي، حجبت الغالبية اصواتاً عن بري، وهو ما لم تفعله الاقلية مع مكاري. في الانتخابات التالية عام 2009، في ظل الاكثرية والاقلية اياهما، تكرر المشهد دونما تكرار عرض 2005. فاز بري بـ90 صوتاً من المقترعين الـ127، ومكاري برقم ادنى هذه المرة هو 74 صوتاً بلا منافس. ردت الاقلية التحية بمثلها، بأن حجبت جزءاً من أصواتها في المرة الثانية. على مر وجوده التاريخي على رأس البرلمان، كانت الاصوات الـ90 في انتخابات 2005 و2009 الادنى في المسار الطويل لبري مذ بلغ الرقم الذروة عام 2000: 124 صوتاً.

تستعاد اليوم السابقة في ثالث تحوّل كبير تشهده برلمانات ما بعد اتفاق الطائف. الاول من كتلة واحدة (اعوام 1992 و1996 و2000)، ثم من كتلتين (عامي 2005 و2009)، فكتل مفككة (عام 2018)، وصولاً الى الآن من ثلاث كتل متوازنة تقريباً. ليس في برلمان 2022 مَن يمتلك الاكثرية المطلقة، ولا وطأة الانقسام تتيح تضافر كتلتين ضد ثالثة كي تقبض على النصف +1. اكثر من تلك التي سبقته، يملك البرلمان الجديد في ذاته بذور تعطيله، وربما بذور انفجاره ما لم يتداركه، من خلال مزيج عجيب من قواه يتطلب تفسيره - لا تبريره حتماً - مرور بعض الوقت وانتظار المحطات التالية. وما الصراع على انتخاب رئيس للمجلس ونائب للرئيس هذه المرة الا احدى علامات الانقسام. ليس نزاعاً على اعادة انتخاب الرئيس الحالي للمجلس، الشيعي الوحيد المرشح وفي الوقت نفسه مرشح اجماع المقاعد الشيعية الـ27. بل يقيم الخلاف في المنصب المحسوب قليل الاهمية، والبعض يعتبره ملحقاً بالمنصب الاول بعدما تلازما 13 عاماً (1992 - 2005) من خلال تناغم ثنائية بري - فرزلي، ثم في الاعوام الـ13 التالية (2005 - 2018) مترجماً بين الانقطاع والتباعد وفي بعض الظروف الاستفزاز من خلال ثنائية بري - مكاري. لا يزال ماكثاً في الذاكرة عامي 2007 و2008، ابان الشغور الرئاسي، عندما هددت قوى 14 آذار بفرض انتخاب رئيس للجمهورية من صفوفها بنصاب النصف +1 في فندق فينيسيا، وتكليف مكاري - بصفته نائباً للرئيس ذا صلاحية الرئيس - توجيه الدعوة الى جلسة الانتخاب، بذريعة سادّة ان رئيس المجلس استنكف عن الاضطلاع بمسؤولياته عن الصلاحية تلك، وهو تالياً - بغية الإيحاء باحترام قانون النظام الداخلي - متغيّب ومنقطع عن وظيفته. لم تطل التمثيلية هذه طويلاً. ما بعد انتخابات 2009 راحت كتلتا 8 و14 آذار تتحللان تدريجاً كي تختفيا تماماً في انتخابات 2018.

محور الاشتباك القائم حالياً يمسي اكثر وضوحاً:

1 - بداية الاجتهاد في المادة الثانية في النظام الداخلي للمجلس، القائلة بامهال رئيس السن 15 يوماً حداً اقصى لتوجيه الدعوة الى جلسة تكوين هيئة مكتبه (الرئيس ونائبه والمفوضون الثلاثة المقيّدة هذه طوعاً. ما بعد انتخابات 2009 راحت كتلتا 8 و14 آذار تتحللان تدريجاً كي تختفيا تماماً في انتخابات 2018.

محور الاشتباك القائم حالياً يمسي اكثر وضوحاً:

1 - بداية الاجتهاد في المادة الثانية في النظام الداخلي للمجلس، القائلة بامهال رئيس السن 15 يوماً حداً اقصى لتوجيه الدعوة الى جلسة تكوين هيئة مكتبه (الرئيس ونائبه والمفوضون الثلاثة المقيّدة ملزمة، والبعض الآخر امينا السر). البعض يقول ان المهلة مقيّدة وملزمة، والبعض الآخر انها مهلة حث وليس اسقاط. في الغالب، منذ انتخابات 1992، التأم البرلمان الجديد في يوم بداية ولايته وانتخب هيئة مكتبه، وحضر كله ما خلا استثناءات.

بعض الكلام الشائع ان بري - للمصادفة غير المسبوقة ان يكون رئيس السن والمرشح في آن معاً وان يسلّم الرئاسة بنفسه الى نفسه - لن يدعو الى جلسة ما لم يسبقها، كما التقليد المتبع، تفاهم على انتخاب الرئيس ونائبه. يقال، في تفسير معاكس، ان لا غضاضة في تخطي المهلة ما دامت غير مقيّدة بجزاء او إلزام. لم يسبق أن إختُبرت المادة الثانية على نحو كهذا. لكن المعلوم ايضاً ان الكتلتين الاخريين (الكتلة المسيحية الممثلة في التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية) ومجموعة نواب المجتمع المدني) ليستا في وارد التوافق المسبق، وتريدان فصل احد الانتخابين عن الآخر. يدرك هذان الفريقان انهما سيخسران انتخاب الرئيس، ويرغبان في تعويضه بحصول كل منهما على نيابة الرئاسة.

2 - أيا يكن الاجتهاد وتفسير المادة الثانية في النظام الداخلي، الا ان لتأخير التئام البرلمان وانتخاب هيئة مكتبه الى ابعد من المهلة المنصوص عليها، من شأنه الارتداد على الاستحقاقات التالية، واهمها اجراء الاستشارات النيابية لتسمية رئيس مكلف تأليف حكومة جديدة. وهي تبدأ في قصر بعبدا وتنتهي في ساحة النجمة. التعطيل الاول يؤول الى تعطيل ثان.

3 - لأن أياً من الاقليات الثلاث لا تملك بمفردها نصاب الغالبية (65 صوتاً)، يصح القول ان قياساً كهذا ربما يصبح احدى عادات جلسات الولاية الجديدة. اولى محاولات خلط الاحجام، ان رافضي انتخاب بري لا يملكون بديلاً منه، كما ان المستعجلين وضع اليد على نيابة رئاسة المجلس يحتاجون بدورهم الى النصف+1، وتالياً الى المكوّن الشيعي الممثل في حزب الله وحركة امل. ذلك ما يفضي الى حتمية التوافق وابرام صفقة.

تعطيل جلسة انتخاب هيئة المكتب بعطل الاستشارات النيابية لتأليف الحكومة (مروان بو حيدر)

الـ15 يوماً للدعوة الى جلسة الانتخاب مهلة حث ام اسقاط؟

(هيثم الموسوي)

جنبلاط بينَ غالبيتيْن: الجلوس على ضفة النهر أفضل

ميسم رزق

لم يخرُج وليد جنبلاط من الانتخابات النيابية إلا رابحاً. في أسوأ الأحوال يمكن القول بأنه أقل الخاسرين. أعطته صناديق الاقتراع كتلة من تسعة نواب هم تيمور جنبلاط، مروان حمادة، أكرم شهيب، راجي السعد، بلال عبدالله، فيصل الصايغ، وائل أبو فاعور، غسان سكاف وهادي أبو الحسن (كتلة الاشتراكي بعد عام 2018 ضمّت 8 أعضاء بعد استقالة اثنين منها هما حمادة وهنري حلو). ولو كانَ لجنبلاط حظّان لما كانَ ليظفَر بكتلة وازنة ويتخلّص في الوقت نفسه من خصميه التقليديين في الجبل الوزيرين طلال إرسلان ووئام وهاب. وفوق ذلك كله، سجل مكسباً إضافياً بفوز فراس حمدان في الجنوب الثالثة، ومارك ضو في عاليه، والأخيران ليسا بعيدين عن محيط الاشتراكي.

ليسَ بسيطاً أن يعبُر جنبلاط هذا الامتحان بنتيجة كهذه. بعدَ ثلاث سنوات من انتفاضة تشرين، وفيما كانت غالبية القوى السياسية تصارع للبقاء، تبيّن أن لرئيس الحزب الاشتراكي نفوذاً متغلغلاً في النفوس في الجبل وفي كل مكان له امتداد فيه. الآن يشعر جنبلاط بأن وزنه السياسي لم يتناقص بل زاد، ما يجعله أكثر الأطراف المطلوب دعمهم في المرحلة المقبلة بينَ «غالبيتيْن»، بمعزل عن المعادلات الرقمية التي أفرزتها الانتخابات.

بينَ حزب الله وحلفائه والتيار الوطني الحر من جهة، وأحزاب القوات والكتائب وبقايا المستقبل والمستقلين و«التغييريين»، تتجه الأنظار إلى موقف جنبلاط في الاستحقاق الأول الذي ستواجهه البلاد في الأسابيع المقبلة وهو الصراع على رئاسة مجلس النواب. أين سيقف زعيم المختارة؟ وهل سيكون ضمن الفريق «السيادي» الذي يسعى سمير جعجع إلى تزعمه أم يبقى في الوسط؟

قبل موعد الانتخابات، تعرّض جنبلاط لضغوط سعودية للسير في تحالف انتخابي مع جعجع، ووصل دعم الرياض للقوات حدّ الإيحاء بتزعّم جعجع الفريق الموالي للمملكة. أما الآن، وفيما يحاول جعجع لعب هذا الدور من خلال السعي إلى إنشاء تكتل مناهض لحزب الله والتيار الوطني الحر يجمع قوى سياسية و«تغييرية»، تكثر علامات الاستفهام حول اصطفاف جنبلاط في هذه المعادلة.

العارفون بالرجل يؤكدون أن انتخاب بري لولاية جديدة أمر خارج البحث بالنسبة لجنبلاط الذي سيمنح أصوات كتلته كلها لصديقه التاريخي. أما في ما يتعلق بالانضمام إلى الحلف الذي يسعى إليه جعجع، فهو «مذموم» بالنسبة لجنبلاط، ليسَ فقط لأنه يدرك بأنه «خيار» سيؤدي إلى أخذ البلاد إلى أقصى درجات التوتير كما في عام 2008، وليس لأنه يرفض المغامرة والحماسة غير المدروسة مجدداً. بل لأن جنبلاط لن يقبلَ بأن يكون ضمن فريق يُقاد من سمير جعجع الذي سيسعى في الأسابيع المقبلة إلى فرض نفسه أكثر فأكثر في المملكة، بالادعاء بأن الدعم الذي حصل عليها صُرف في مكانه الصحيح وانتزع الأكثرية النيابية من بد حزب الله وحلفائه.

تقول المصادر إن جنبلاط ذهبَ إلى تحالفات انتخابية مع جعجع مضطراً، فهو كانَ بحاجة إلى معراب كما كانت الأخيرة بحاجة إليه، وكانَ الاثنان يبحثان عن وسائل تمنع غرقهما في مستنقع الاستحقاق النيابي الذي تهيّبه الجميع.

لكن تجديد جنبلاط لشرعيته في الشارع الدرزي، فضلاً عن فوزه في اختبار البقاء وتفرده بالزعامة التقليدية لمدة 4 سنوات أخرى، كلها ستجعله «أقوى» وبغنى عن الحاجة إلى الالتحاق بفريق «السياديين»، القادمى والجدد. وهو إن تقاطع مع نواب «التغيير» في ما يتعلق بالخطاب الاقتصادي والمالي و«الثوري»، وتلاقى مع أحزاب وقوى 14 آذار في خطاب ضد سلاح المقاومة، إلا أنه سيترك لنفسه هامشاً للمناورة وتحقيق المكاسب. الجميع يعلَم أن الود المفقود بينَ جنبلاط وحزب الله والتيار الوطني الحر لا يضاهيه سوى بغض متبادل مع القوات اللبنانية، لذا سيختار رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي في الصراع الدائر بينَ الفريقين الجلوس على الضفة، حيث يفضّل دائماً، في انتظار ما سيجرفه إليه النهر.

انتخاب بري لولاية جديدة أمر خارج البحث بالنسبة لجنبلاط الذي سيمنح أصوات كتلته كلها لرئيس المجلس

مقالة

ما هي الغالبية المطلوبة لانتخاب رئيس مجلس النواب؟

جهاد إسماعيل *

من الخطأ الاعتقاد أن عملية انتخاب رئيس مجلس النواب تتطلّب، في الدورتين الأولى والثانية، 65 نائباً، تطبيقاً للنص الدستوري وسائر النصوص في النظام الداخلي لمجلس النواب، على اعتبار أن المادة 44 من الدستور تحدّد احتساب الغالبية انطلاقاً من أصوات المقترعين، لا من الغالبية الّتي يتألّف منها المجلس قانوناً (128 نائباً). ما يعني أنّ هذه العملية، برأينا، قد تحتاج إلى ما دون 65 نائباً، تبعاً للمسوغات التاليّة:

- لو أراد المشرّع الدستوري احتساب الغالبية من خلال أكثرية 65 نائباً، كان ذكر ذلك صراحةً قياسا على المادة 34 من الدستور بنصّها: «لا يكون اجتماع المجلس قانونياً ما لم تحضره الأكثرية من الأعضاء الذين يؤلّفونه». وكذلك المادة 57 من الدستور بنصّها في الفقرة الثانية: «عندما يستعمل رئيس الجمهورية حقه في إعادة النظر بالقانون يصبح في حل من إصدار القانون إلى أن يوافق عليه المجلس بعد مناقشة أخرى في شأنه وإقراره بالغالبية المطلقة من مجموع الأعضاء الذين يؤلفون المجلس قانوناً»، في حين أن المادة 44 من الدستور نفسه تنصّ على أن «في كلّ مرّة يجدّد المجلس انتخابه يجتمع برئاسة أكبر أعضائه سناً ويقوم العضوان الأصغر سناً بينهم بوظيفة أمين. ويعمد إلى انتخاب الرئيس ونائبه لمدة ولاية المجلس كل منهما بالغالبية المطلقة من أصوات المقترعين. وتبنى النتيجة في اقتراع ثالث على الغالبية النسبية...».

- لو أمعنّا النظر، قليلاً، في نصّ المادة 44 من الدستور اللبناني، نرى، بعين الموضوعية، بأنه يجد أساسه أو مصدره في النظام الداخلي الفرنسي، في الجمهورية الثالثة، الصادر عام 1876، عندما يحدد عملية انتخاب رئيس المجلس من خلال غالبية المقترعين لا من خلال مجموع عدد أعضاء المجلس قانوناً...

بناءً عليه، إذا حضر 100 نائب جلسة الانتخاب، وكانت المنافسة بين (أ) الّذي نالَ 60 صوتاً و (ب) الّذي نالَ 40 صوتاً، فإن الأكثرية المطلوبة، في الدورة الأولى، كما الثانية، هي 51 نائباً لا 65 نائباً كما استقرت عليه الممارسة الدستورية والسياسية، خلافاً للتفسير الّذي أدلينا به.

أما إذا اقتصرت العملية الانتخابية على مرّشح واحد (أ)، وحضر الجلسة 100 نائب، واقترع 80 نائباً لصالح (أ)، و20 نائباً اقترعوا ورقة بيضاء، ما يعني العدد المحتسب قانوناً وفعلياً هو 80 فقط، سنداً للنصّ الدستوري نفسه، وللمادة 12 من النظام الداخلي لمجلس النواب اللبناني: «لا تدخل في حساب الأغلبية في أيّ انتخاب يجريه المجلس الأوراق البيضاء...»، من دون أن يصل الأمر إلى إعلان الفوز بالتزكيّة، لأنّها تتطلبّ نصاً خاصاً تفتقده النصوص الناظمة (الدستور، النظام الداخلي، قانون الانتخاب...)، علاوةً على أن المادة 48 من قانون 2017/44 نظّمت حالة «التزكيّة» في حالة الترشيحات النيابيّة في الدوائر، حيث لا يمكن، برأينا، تطبيقها على موقع رئاسة المجلس، ما يستدعي من المشرّع التدخل، بوضوح، في تنظيمها بأحكام دستورية أو قانونية لا تقبل الشك أو الالتباس.

* أستاذ الأعمال التطبيقيّة في مادة القانون الدستوري في الجامعة الإسلامية

متابعة

على طريق القصر الجمهوري تجمّع عشرات اللبنانيين أمس، في محاولة أخيرة لتحصيل حق من حقوقهم. مرضى سرطان وتصلّب لويحي، أساتذة جامعيون، وناشطون من أجل المحافظة على ثروة لبنان النفطية، تجمّعوا وطالبوا... وهم يدركون مسبقاً أن أحداً لن يستمع إليهم

اعتصامات بالجملة: خرطوشة أخيرة قبل الخراب

زينب حمود

وسط الخراب الذي يضرب جميع مفاصل البلد: أزمة محروقات، وطحين، ودواء، وتعليم رسمي وخاص... عقدت حكومة «معاً للإنقاذ» جلستها الأخيرة أمس، فتمسّك البعض بـ"آخر خرطوشة" علّه يحصل على توقيع على ملفاتهم العالقة. وعلى أهمية هذه الملفات، لا سيما ملفي الدواء والجامعة اللبنانية، كان الحشد هزيلاً قرب القصر الجمهوري، لا يرتقي إلى مستوى الخراب الذي يعيشه اللبنانيون. والسبب يعود بشكل أساسي إلى «الخراب» ذاته الذي لا يسمح لهم بالوصول نظراً لكلفة المواصلات المرتفعة.

نعي الجامعة اللبنانية

تحرّك الأساتذة المتعاقدين في الجامعة اللبنانية كان أشبه بالمشي خلف جنازة يتيم. نعى ما لا يتعدى الستين أستاذاً جامعة الوطن. حملوا لافتات سوداء كتب على إحداها: «الجامعة اللبنانية... ما كنت أحسب أني سوف أرثيها، وأن شعري إلى الدنيا سينعيها، وأن من كنت أرجوهم لنجدتها يوم الشدائد كانوا من أعاديها». وفي رثائها، نعى الأستاذ هشام الغلو الجامعة «بعدما وصلنا إلى طريق مسدود».

منذ عام 2014 والأساتذة المتعاقدون يقومون بتحركات مكثفة ويتعرّضون للضرب، وينامون في خيم أمام السراي الحكومي من أجل إقرار ملف التفرغ، «وقاومنا حتى الرمق الأخير، لكنهم استنزفونا».

وبانتظار ولادة حكومة جديدة، حاول الأساتذة، رغم يأسهم، «إحداث صدمة»، على حدّ تعبير أحدهم، لعلها تؤثر في المعنيين في اللحظات الأخيرة، محمّلين مسؤولية «انهيار الصرح التربوي الوطني» إلى الرؤساء الثلاثة وراعية الأساتذة المتعاقدين، رئيس الجامعة، ووزير التربية. «فالسلطة السياسية طوال الفترة الماضية نجحت في ضرب الجامعة اللبنانية من خلال مسلسل تعطيل إقرار المراسيم بحجة أن حجرة الخلاف على مرسوم العمداء تعترض طريقهم».

لم تلتزم أساتذة الحقوق في الجامعة اللبنانية، وفاء حيدر، دعوة اللباس الأسود التي وصلتها. ترتدي الأبيض وتحتفظ بالأمل الذي سيعيد النبض إلى الجامعة. وتقول: «سنقاوم حتى آخر نفس، تماماً مثلما أدرّس طلابي المقاومة من أجل حقوقهم». تستمر بالإضراب حتى تحصل على حقها في التفرغ بعد 11 عاماً من التعاقد. لم يعد بإمكانها أن تصل من بيروت إلى كليتها في زحلة في ظلّ كلفة مواصلات مرتفعة في حين لا تتقاضى إلا كل سنتين مخصّصات فقدت قيمتها ولا تشمل التغطية الصحية وبدل النقل.

نزيد الدواء

على بعد أميال، هناك من يعتصم طمعاً بالحياة. مطلبهم الوحيد «الدواء». ومع أن اعتصام الأساتذة كان قاتماً وسوداوياً إلا أن «الفاجعة» تجدها هنا، تحت الخيمة، حيث تقف مجموعة حاملة بطاقة تعريف: «محاربو السرطان». سرقت ريتا شديق كلّ الأنظار بانكسارها ودموعها. تقول، غير قادرة على السيطرة على رجفة يديها: «قمت من فراشي لأن صوت أحدهم لا يفارقني وهو يصرخ وجعاً. يريد الموفرين، لكنه مقطوع». تروي هذه السيدة، ابنة الـ54 سنة حديثها بعفوية الأطفال. توسلت الوزراء المتجمعين لجلد الناس ومضاعفة ماساتهم: «اعنوا لنا الدواء».

يتسلح نقيب الصيادلة جو سلوم بالأمل «إلى أن تصحو الضمائر، فتُفتح اعتمادات لمرضى السرطان وتقرّ سياسة دوائية مستدامة وشاملة وتوزّع البطاقات الدوائية». ويحاول أن يوزع الأمل على المرضى. لكن، ما نفع أن تعطي مريضاً الأمل بالشفاء ما دمت لا تعطيه العلاج أولاً؟ يسأل رئيس جمعية بربارة نصار لدعم مرضى السرطان، هاني نصار. ويضيف: «مرضى السرطان البالغون يفتقدون للمؤسسات الحاضنة كتلك التي تهتم بالأطفال. ومع استمرار فقدان الأدوية وارتفاع فاتورة العلاج، يتقشى السرطان في أجسامهم ويودي بحياتهم. وقد توفت سيدة في الجمعية منذ يومين لأنها توقفت عن تناول الدواء الكفيل بإطالة عمرها».

> غياب دواء التصلّب اللويحي يصيب المرضى بالشلل

مرضى التصلب اللويحي

إلى جانب مرضى السرطان، يقف مرضى التصلّب اللويحي. مطلبهم واحد: «الدواء». لكن بفارق أن غيابه لا يؤدي بالضرورة إلى وفاة المرضى بل يحرّب حياتهم ويصيبهم بالشلل. وقد بدأ أثر عدم تلقي الدواء المفقود يظهر لدى البعض، كحال فتاة في الخامسة عشرة من عمرها توقفت عن الذهاب إلى المدرسة بعدما تفاقمت حالتها. «عجزت عن صعود السلالم والتركيز في الصف وحتى حمل القلم نتيجة التوقف القسري للعلاج»، كما تروي متطوّعة في الجمعية اللبنانية للتصلب اللويحي باسكال عبدالله. كما «توقف آخرون ممن تأثرت حواسهم وجهازهم العصبي عن العمل».

فقدان الدواء يعزّز الطبقية بين من يؤمّنه بأسعار مرتفعة بالدولار من الخارج ومن ينتظر عطف الدولة. منذ سنة وديانا، مريضة التصلب، من دون دواء. توجهت إلى بديل فانقطع أيضاً من الأسواق. سألت عن ثمنه في تركيا «فكان الرقم صادماً: 300$». أما نادين ياسمين، مريضة التصلب الخامسة عشرة من عمرها توقفت عن الذهاب إلى المدرسة بعدما تفاقمت حالتها. «عجزت عن صعود السلالم والتركيز في الصف وحتى حمل القلم نتيجة التوقف القسري للعلاج»، ما الذي يمكن أن يكسر قلب أب مسؤول أكثر من شعوره بالتقصير تجاه أولاده؟ وما الذي يجرح عاطفة أمّ حنون أكثر من الشعور بالعجز عن تلبية طلب بسيط لأولادها؟ مشاعر قاسية يعيشها الأهالي الذين تأكل رؤوسهم الأفكار السوداء حول مستقبل عائلاتهم في ظلّ أزمة اقتصادية مالية لا تنفك تتعقّد من دون أي أفق لحلّها

تحزّك أساتذة اللبنانية كان أشبه بالمشي خلف جنازة يتيم (هيثم الموسوي)

الدفاع عن الخط 29

شهد محيط القصر أيضاً تحرّكاً لجبهة الدفاع عن «الخط 29»، شاركت فيها مجموعة من الناشطين من أجل الحفاظ على حقوق الشعب اللبناني في ثرواته البحرية. وطالب المتظاهرون بإرسال إحداثيات المرسوم 6433 إلى الأمم المتحدة بأقصى سرعة ممكنة، حاملين لافتات كتب عليها: «تعديل المرسوم سيادة والتخلي عنه خيانة».

تقرير

القلق رفيق الأمّهات والآباء: لا ننام

فاطمة شرف الدين

«أنتم تنامون، أما أنا فأقضي الليل أفكّر في مستقبلكم!» هكذا اختصر محمد معاناته لأولاده، أثناء حواره معهم عن احتياجاتهم ومصروفهم المالي. وحال محمد هو حال معظم الآباء في لبنان، الذين تنهش رؤوسهم المخاوف بسبب الأزمة الاقتصادية التي حالت دون إتمامهم لواجباتهم تجاه أولادهم. وحال محمد كحال آباء كثيرين، لا ينامون، ويشعرون بالقهر نتيجة تقصيرهم، عنوةً، عن أداء واجباتهم وتأمين متطلبات أطفالهم من غذاءٍ وتعليمٍ وطبابةٍ وغيرها.

جميعنا في خطر

في سهرة عائليّةٍ، يقول علي، عاملٌ حرّ وربّ أسرة: «لا تعرف نهاية ما بدأوه، فكلّنا سنصبح فقراء بعد سنةٍ إذا استمرّ الوضع على هذا المنوال، لأنّ من كان لديه ذهبٌ أو فضة باعهما ليأكل أو يعلّم أولاده. ومن كان لديه أموالٌ في المصرف، العوض بسلامتك. ومن خبّأ أمواله في المنزل دون تحويلها إلى دولار، فقدت قيمتها، وللأسف هذا ما فعلته أنا بسبب ثقتي بالليرة اللبنانية. جميعنا في خطر». يستطرد: «حتّى الذين يتقاضون أجورهم بالدولار، لا أعتقد أنها تكفيهم لعيش حياةٍ مستقرّة وتأمين كامل مستلزمات أطفالهم، لأنّ الأسعار في ارتفاع بالدولار أيضاً، وليس فقط بالليرة اللبنانيّة».

جاد، وهو أبٌ لخمسة أولاد، تشغله صحة أولاده: «أفكّر إذا أصاب أحدَهم مكروهٌ ما، كيف سأتمكّن من تأمين تكاليف المستشفى؟ الضمان الصحيّ في كارثة، ولا يزال فرق التكاليف يُدفع حسب الليرة اللبنانية. من أين آتي بالمال لتغطية تكاليف استشفاء أحد أطفالي إذا مرض؟». يذكّر بالخبر الذي انتشر عن التأخر في استقبال الرئيس سليم الحص في المستشفى ويُضيف بغصّة: «يعني اللي بيمرض بهالبلد، زعيم أو مش زعيم، بيموت على باب المستشفى. ما في خيار تاني».

ويؤكد حسين، أبُ لطفلٍ واحد، هذا الواقع الذي يلمسه من خلال عمله في توزيع الأدوية: «في الحالات الطارئة، عندما أتمكّن من تأمين دواء منقطع لأحد الأطفال، أرى كيف يتحوّل الحزن في عيون والديه إلى لهفة. أخاف على ولدي أن يمرض، لا قدّر الله، وأن أبحث له عن دواءٍ ولا أجده».

أما أحمد، الذي عانى ليستطيع تأمين الدفء لعائلته هذا الشتاء: «وصرفت أكثر من نصف أموالي لكي أشتري المازوت»، يفكر منذ اليوم في الشتاء المقبل: «لا يمكنني تصوّر فكرة أن يمضي أولادي شتاء بارداً، لقد رأيت مشاهد التدفئة تحت البطانيّات في عدة منازل دخلتها لتقديم المساعدات إلى سكانها، وبعضهم كانت منازلهم خاليةً إلّا من بعض الأفرشة والأغطية لاحتواء الأطفال من البرد القارس. أخاف أن ينتقل هذا المشهد إلى منزلي أيضاً».

بين الأولويّة والكماليّات

والآباء في لبنان ليسوا وحدهم في معركة الرّغيف والدواء والماوى. بل تشاركهنّ الأمّهات المربّيات والعاملات، نضالهم. فالعاملات منهنّ يتشاركن مع أزواجهنّ عبء المصاريف، والمربّيات يلتزمن بنظام منزليٍّ قاسٍ مع الأولاد، تطول فيهِ لائحة الممنوعات، ويقتصر المباح فيه على أمورٍ بسيطة مثل شراء الخبز والأساسيّات فقط. أمّا الشوكولا وأخواتها، فممنوعٌ بها فقط في المناسبات. كما لا تغيب الأمهات الأرامل عن هذا المشهد القاسي أيضاً، فصبرهنّ كصبر أيّوب، دُوّوبات يَسعَيْنَ سعياً مضاعفاً. فَهُنّ يمارسن دور الأب والأمّ في آنٍ واحد، وكالجميع، عملهنّ برغم كثافته «لا يُتيح إمكانية تأمين جميع احتياجات الأطفال. لكنّ بركة الله ولطفه ورحمته، هي المحفّزات للاستمرار في السعي»، حسب قول إنعام، أمّ لثلاثة أولاد، فقدوا والدهم منذ سنة، بعد معاناته مع السرطان.

خلال صبحيّةٍ للجارات، تقول نور وهي أمّ لخمسة أولاد، كانت قبل الأزمة حريصة على أن تؤمّن لهم كلّ احتياجاتهم دون تقصير: «أنزعج عندما أفكّر في أنّني لم أعد قادرة على شراء ثياب جديدة لكلّ أطفالي في العيد. لم أكن أقصّر في حقهم سابقاً، أما اليوم فأوفّر مال الثياب لكي أؤمّن لهم الاحتياجات الأوّليّة كالتعليم. لأنّ الثياب أصبحت من الكماليّات». وهناك بعض الأهالي الذين يفكّرون أيضاً في كيفيّة تسديد الأقساط المدرسية المتصاعدة، لأنّ «أجر العمل لا يكفي لتسديد قسط تعليم طفل واحد في مدرسةٍ خاصة» حسب تعبير أحد الآباء العاملين في سوبرماركت.

وفي الدّكان، تستغلّ ريم نقاشاً بين زوجين على جودة منتج، لتقول لهما: «لم أعد أطعم أولادي المنتجات التي اعتادوا عليها. صرت أبحث عن الأرخص ولو كان أقلّ جودةً، لأنه إذا استمر الوضع هكذا، أخاف أن أفقد القدرة على إطعامهم». تُضيف متنهّدةً: «أحمد الله أنّني لا أزال قادرةً على شراء اللحمة من فترة لأخرى ولو بكمياتٍ قليلة، في حين أنّ بعض العائلات لم تعد قادرة على شراء مكعّب ماجي».

تأكل الأفكار السوداء رؤوس الأهالي وتُذيب قلوبهم، لأنهم يحملون مسؤوليةً تُرهق العقل وتجرح عاطفة الأبوّة أو الأمومة في داخلهم، أمام عجزهم عن تأمين مستقبلٍ آمنٍ لفلذات أكبادهم. وهم إذا ظهر أمامهم مصباح علاء الدين السحري، سيطلبون من المارد ثلاث أمنيات هي: استعادة أموالهم المنهوبة، دوام نعمة الصحة والفرح على أطفالهم وراحة البال. وتحقيق هذه الأمنيات، مثل علاء الدين ومصباحه والمارد، مُستحيلٌ اليومَ في لبنان!

يخاف الآباء من انتقال مشاهد العوز إلى بيوتهم (هيثم الموسوي)

قضية

مرضى السرطان من دون علاج... يصارعون الموت

كلّيرون انقطعوا عن العلاج (هيثم الموسوي)

راجانا حمية

لم يعد مريض السرطان يواجه «الخبث» من أجل الحياة، بل يصارع الموت بما أن خيارات النجاة من المرض باتت ضئيلة بسبب انقطاع معظم أدوية العلاج من المستشفيات ومن الصيدليات. لا إحصاء دقيقاً لما وصل إليه حجم الفقدان في سوق أدوية الأمراض السرطانية، مع ذلك، يمكن القول بسهولة: «إن 80% من تلك الأدوية باتت خارج متناول أيدي المرضى»، بحسب رئيس جمعية بربارة نصار لمرضى السرطان هاني نصار. هذا الرقم لا يأتي من العبث، بحسب نصار، وإنما «مما نعيشه يومياً مع المرضى، إذ تحوّل العمل من مساعدتهم على المواجهة إلى البحث عن أدويتهم أو التفتيش عن أدوية بديلة بأسعارٍ مقبولة لطلبها، سواء من تركيا أو الهند أو أي بلد آخر يتوفر فيها البديل». وهذه أزمة عمومية يواجهها المرضى اليوم، ولم تعد استثناء مع انقطاع شحنات الدواء منذ أربعة أشهر.

أمس، اعتصم مرضى السرطان عند مدخل القصر الجمهوري، حيث كانت تُعقد جلسة مجلس الوزراء الأخيرة ما قبل تصريف الأعمال. في جعبتهم مطلب واحد: إقرار بند فتح الاعتمادات وتحويل مبلغ الـ35 مليون دولار إلى شركات الأدوية لتأمين أدويتهم وإيجاد آلية في مجلس الوزراء لتحويل تلك الأموال في فترة «التصريف» لتأمين الاستمرارية في القطاع. وفي هذا السياق، بلغت نصار إلى أن وزير الصحة العامة، فراس أبيض، أكد أول من أمس في لقاء مع الجمعيات الخاصة بمرضى السرطان إلى أنه يجري العمل على وضع آلية للتحويل لأربعة أشهرٍ مقبلة.

تفاقم حالات المرضى

اليوم، يعيش مرضى السرطان بين أطباء الأورام، لا يمكن الحديث عن زيادة في أعداد الوفيات كون الفترة لا تزال قصيرة نسبياً للقياس، إلا أن البعض منهم يرى أن «الموت صار أكثر»، على ما يقول أحد الأطباء.

الفواتير بالدولار

وما يضاعف الأزمة جشع الكثير من المستشفيات التي استغلّت تقاعس الدولة تجاه المرضى، كما الرفع التدريجي للدعم عن بعض أدوية علاج السرطان وأدوية المستشفيات، فسارعت إلى استيفاء فواتير الدواء بالدولار الأميركي «حتى الأدوية المدعومة تختفي من تلك المستشفيات، فيضطر المريض القادر على ذلك إلى دفع سعرها بالدولار». وفي الغالب، ثمة فئة كبيرة من المرضى لم تعد قادرة على دفع ثمن علاجاتها في المستشفيات، فانقطعت عنه. وهنا، يشير نصار إلى أنه في أحد المستشفيات الجامعية الكبرى «والذي كان يعالج 40 مريضاً في اليوم، تناقص عدد المرضى فيه وفي الأسبوعين الأخيرين كان هناك بحدود ثلاثة مرضى يومياً». أما السبب، فليس انقطاع الدواء من البلاد وإنما «الدولارات الفريش» التي تصرّ المستشفيات على استيفائها من المرضى مقابل إكمال علاجاتهم.

ثمة جانب آخر يضاف إلى معاناة مرضى السرطان، وهو آلية ترشيد الدعم. فقد أسهمت هذه الأخيرة في «فقدان الأدوية أكثر وفي انحسار خيارات المرضى وغلاء بعض الأدوية، فبات شراؤها من الخارج أوفر»، بحسب نصار.

قضية

الصيادان حسن وخليل سبليني: ومن الديناميت ما قتل

نظمية الدرويش

شهر تماماً يفصل بين نشر «الأخبار» تقريراً توّج فيه البحّار نعيم سبليني، على لسان ولديه حسن وخليل، وبين وفاتهما أمس في الانفجار الناجم عن خلط مواد كيماوية تُستخدم للتفجير خلال صيد الأسماك. يومها، تحدّث الرجلان في ساحة العزاء التي أقيمت لوالدهما في بلدة السكسكية عن مهنة الصيد التي تعلماها على يديه. الساحة نفسها تحضرت أمس لاستقبال العزاء برحيلهما. صحيح أن المقال كان عن الوالد ولكن حسن وخليل سكبا من روحهما فيه، واختلطت قصص الوالد مع مغامراتهم سوياً في البحر. تحدّث عضو نقابة الصيادين والابن البكر حسن فيه عن تعلّقه بالبحر ومهنة صيد السمك منذ أن كان في عمر السابعة. ولم يخف خليل حماسته الشديدة في سرد حكايا والده وجده في البحر. إرث عظيم، صيدٌ وفير، عمليات إنقاذ، أمواجٌ متلاطمة، شمس حارقة، وتعبٌ كثير... لخّص حسن وخليل، «شهيدا لقمة العيش»، كما نعتهما بلدتهما، حصيلة أعمار قضوها في البحر. ولم يعلما أنهما سيكونا آخر ضحاياه، وعلى البرّ...

> يدرك الصيادون مساوئ الصيد بالديناميت لكنهم يحتاجون إليه

ثمة ما يشبه الإجماع بين الصيادين على أن الديناميت هو «الشرّ المطلق». وهو ما يؤكده نقيب الصيادين في لبنان، هاني الشلah، الذي يقول: «الديناميت هو الأكثر فتكاً بالبحر وبالثروة السمكية، وهو يقضي على كل شيء، على الأخضر واليابس، على الصغير والكبير، على البيض والأسماك الصغيرة، وعلى الشعاب المرجانية التي تحتاج إلى عشرات السنين لتعود إلى حالتها الطبيعية». ويشير إلى أن «الصيادين الذين يستخدمون الديناميت يعرفون أنه ممنوع، ويعرفون أضراره، لكنهم يضطرون إليه بسبب الفقر والحاجة».

ضحايا بالعشرات

من المعروف أن صيد الأسماك عبر الديناميت يكثر في لبنان، وعادة ما يقوم الصيادون بخلط مواد كيماوية وتفجيرها تحت الماء من أجل صيد عدد أكبر من الأسماك. ولكن بقدر ما يحصد الديناميت الأسماك فإنه حصد ويحصد العديد من الضحايا الذين يشتغلون به. مئات الضحايا في لبنان، والعشرات في منطقة ساحل الزهراني، تتراوح إصاباتهم بين بتر الأصابع أو بتر الأيدي، وصولاً إلى الخسارة الأكبر التي تمثلت أمس في وفاة الشقيقين حسن وخليل سبليني.

«ضيق الحال» هو ما يجعل صيادي الأسماك يهربون إلى هذه الوسيلة لضمان صيد وفير يؤمّن لقمة العيش في بلد الصعوبات، يقول أحد الصيّادين. وعلى الرغم من معرفتهم حجم خطرها والضحايا الكثر الذين يحملون أثرها طول حياتهم ويتجوّلون بيننا في الميناء ومنهم من يعمل بيد واحدة «إلّا أن الحاجة تبرّر الوسيلة في حالتنا». ويلفت صيّاد آخر إلى أنّ «التفلّت الأمني خلال الأحداث اللبنانية والحروب الإسرائيلية على لبنان سهّلا الصيد بالديناميت والترويج وانتشارها بين الصيادين وبطريقة عشوائية، وإن كانت تشهد تراجعاً في أيّام السلم والاستقرار الأمني». لا ينفي أن الصيادين يدركون مساوئ هذه التقنية في الصيد، عليهم وعلى الحياة البحرية «لكنهم لا يأبهون بسبب الحاجة إليها، ومن دون تأمين وسائل دعم لعمل الصيادين ووسائل بديلة تؤمن لقمة عيشهم سيبقى الصيد بالديناميت ملجأ الصيادين للصيد الوفير».

ملاحظات حول الانتخابات النيابيّة

أسعد أبو خليل *

لو حكمنا على مجريات السياسة في لبنان والعالم من خلال الإعلام الغربي (والخليجي الذي يُلهمه) للزمنا منازلنا. نقرأ منذ سنوات أن النظام الإيراني على وشك السقوط وأن حزب الله يفقد تأييده بين الشيعة وأن (إملأ الفراغ: يحيى شمص أو إبراهيم شمس الدين أو غازي يوسف أو علي مراد) على وشك أن يتسلّم زمام زعامة شيعة لبنان والإقليم من حسن نصرالله. الـ«واشنطن بوست» عنونت قبل أيّام أن حزب الله خسر الأكثريّة في المجلس لكن متن المقالة يوضّح للقارئ أن أحداً ليس لديه الأكثريّة في المجلس الجديد. وإعلام النظام السعودي الطاغي يصرّ على أن الحزب فقد تأييده حتى في الجنوب، ربما لأن علي خليفة نال 595 صوتاً ولأن علي مراد نال 2900 صوت (بالمناسبة، هل تدرون أن علي خليفة وعلي مراد نالا من التغطية من محطات الاعتياش على المال الخليجي أكثر ممّا ناله محمد رعد، صاحب أكبر عدد أصوات في الانتخابات؟) محمد شقير كتب مقالة عن الحزب وحلفائه في «الشرق الأوسط» تضمّنت المقالة وصف «الزلزال» و«الصدمة» و«الصاعقة» (و«الصفعة» في اليوم التالي)، تغيير في الأصوات بنسبة 10 (مع أو ضد) لا يشكّل زلزالاً.

الحزب يعاني من أكثر من مشكلة. هو هزم إسرائيل في حرب تموز. حقّق ما لم يتمكّن أي جيش عربي من تحقيقه في تاريخ صراعنا. نازل العدوّ على مدى ثلاثة وثلاثين يوماً. جريدة «جيروزاليم بوست» نشرت قبل يومين تعليقاً أن الحزب تعرّض لهزيمة شنعاء في لبنان، ربما لأن أسعد حردان سقط. إسرائيل لديها اليوم حلفاء في قلب العالم العربي: لم يكن هناك أفضل لإسرائيل من حلفاء أهم وأفعل من النظامين السعودي والإماراتي. النظامان يسيطران على الجامعة العربيّة (المتقاعدة عن العمل منذ وفاة جمال عبد الناصر) وعلى وسائل الإعلام العربي. النظامان يفرضان من يحقّ له أن يبتّ في منازل العرب في كل مكان في العالم. والنظامان يسيطران على الفن والترفيه، ما يجعل صناعة الثقافة خاضعة لسياساتهما وتحالفاتهما مع إسرائيل. والحلف المثلث الأضلاع (خليجي-إسرائيلي-غربي) مصمّم على استهداف الحزب وجعله يدفع ثمن نصره في حرب تموز. لم تكن إسرائيل تحترث للحركة الوطنيّة اللبنانية في عزّها لأنها لم تكن تشكّل تهديداً مباشراً لها، خصوصاً أن الحركة الوطنية اعتبرت أن دور حماية الجنوب من مهامّ منظمة التحرير بصورة أساسيّة. تعلم من التعليقات والعناوين الغربيّة عن الانتخابات أن الشعب اللبناني لا أهميّة له في دول الغرب: كل العناوين تقول: فليذهب لبنان إلى الجحيم. نحن معنيّون فقط بمصلحة وأمن إسرائيل. كل ما يهمّها يهمّنا، والعكس. وفي زمن منظمة التحرير، كان للغرب همّان: همّ مصلحة وأمن إسرائيل وهمّ استخدام لبنان ضد اليسار والقوميّة العربيّة وأعداء الصهيونيّة في المنطقة.

لم يصبح موضوع سلاح الحزب هكذا أولويّة بصورة عفويّة. راجعوا الأرشيف: في بداية الانتفاضة كان كل الكلام أن موضوع السلاح مؤجّل (حتى سامي الجميّل أقرّ بذلك مع شدّة اهتمامه بموضوع سلاح «هزبو لاه» نظراً إلى ما لدى «الكتائب» من علاقة تاريخيّة بإسرائيل ومن معاداة لأعداء إسرائيل). لكنّ المال الخليجي والغربي هطل على المحطات الثلاث. لم يكن التغيير ظاهراً كما ظهر على محطة «الجديد». هذه المحطة كانت في خطابها الممانع (بابتذال ومباشرة شديدة) بوقاً لكل محور الممانعة. وكان صاحب المحطة يظهر على محطته ويستفيض في الحديث عن المقاومة ودور المقاومة، ونذكر بعد اغتيال الحريري كيف أنه زار بشار الأسد وقال (بكل غرور): لو أن الزيارة تمّت من قبل، لكان لبنان تنعّم بهدوء أو سلام أفضل، أو كلاماً مزعجاً من هذا القبيل. فجاة، انتقلت المحطة إلى المحور المضاد، وكانت النقلة نافرة إلى درجة أن إعلاميّيها فجاة انتقلوا معها من الممانعة إلى الليبرالية الثوريّة المتماشية مع مصلحة دول الخليج. كيف يمكن ألّا ينجح مرشحو التغيير: قارنوا. ظهر مارك ضو وبولا يعقوبيان وواصف الحركة على المحطات أكثر بكثير مثلاً، من محمد رعد، الذي نال أكثر من 48 ألف صوت في آخر انتخابات. أي أن أصوات رعد تفوق بأضعاف المرات أصوات بولا مثلاً وبمرات أصوات ضو. لكن هؤلاء كانوا يظهرون ليس فقط على المحطات الثلاث البارزة والمؤثرة في الساحة اللبنانية بل كانوا يظهرون أيضاً على المحطات الخليجيّة.

وتجربة دور الإعلام في الانتخابات تحتاج إلى دراسة مفصّلة في قولبة الرأي العام. كان كل ضيف يظهر في أي من المحطات (واستمرّ ذلك بعد الانتخابات) يُطالَب على الفور بإعطاء رأي في سلاح الحزب. لم يُسأل أي مرشح عن رأيه مثلاً في التطبيع والتحالف الإماراتيّ مع إسرائيل. أنت تسأل عن خطر سلاح المقاومة فيصبح في أذهان الناس أن سلاح المقاومة خطر. أنت لا تسأل عن خطر إسرائيل كي يقتنع المواطن أن الخطر ليس من إسرائيل بل من مَن يعاديها. هذه ثقافة سياسية باتت مترسّخة في لبنان. هناك من يناصر إسرائيل ضد أعدائها. لم يكن مطلوباً من المرشح أن يدلي برأيه إلا في خطر سلاح الحزب. يستطيع المرشح مثلاً أن يظهر على «الجديد» ويتحدّث عن النظام السوري وأن يصفه بالقاتل والمجرم، لكن لو أن المرشح قال ذلك عن نظام خليجي لتوقّف البثّ على الفور. لكن اللعبة معروفة بأصولها والضيف يعرف اللعبة قبل الظهور ويعرف ماذا يريد أن يقول وما لا يستطيع قوله. والذي حدث بصورة مؤامراتيّة ليس أن هناك تبلوراً لرأي عام مهووس بسلاح الحزب بل إن الكل يتحدث بنفس صيغة الخطاب: بدأ السنيورة بإيعاز أميركي بعد حرب تمّوز بالحديث عن «ماكس فيبر» وحصريّة السلاح واحتكار الدولة لوسائل العنف، وتبعه الآخرون. بجد، تبدا العبارات وصيغ الخطاب في مطابخ وزارة الخارجيّة الأميركيّة، مثل عبارة «ثورة الأرز» أو عبارة «قوى التغيير»، ثم يصبح دارجاً على الألسن. لم يظهر أي مرشح مثلاً وعبّر عن عداء ضد سلاح الحزب بصيغ غير تلك التي يتحدّث بها الآخرون. يتحدّثون بنفس المفردات. وفي نهاية الحمى الانتخابيّة، أصبح خطاب العداء لسلاح المقاومة هو واحداً بين كل المرشحين: من اليسار و«ممفد» إلى سامي الجميّل. تنافست «ممفد» مع سامي الجميل لكن المنافسة لم تكن أبداً حول سلاح الحزب. توحّدت الرؤية والخطاب في العداء في نهاية العمليّة الانتخابيّة. وما تعرّض له إلياس جرادة كان خير مثال. جريمة جرادة ليس في أنه لم يعتنق دعم المقاومة في خطابه (على عكس الحزب الشيوعي قبل سنوات قليلة) بل هو تحدّث عن المقاومة بصيغة غير تلك المعتمدة من كل الفريق الـ14 آذاري وبميمنه المتمثّل بـ«المستقلّين». سيستمرّ ضرب جرادة بالأسلة حتى يصبح خطابه مماثلاً متطابقاً لخطاب كل الآخرين خارج فريق الممانعة. وليس هناك مجال مثلاً في الأحاديث للمساءلة في الطروحات عن المقاومة. مثلاً، عليك أن تقول إنك ضد سلاح المقاومة من دون أن تسأل عن البديل: الجيش؟ كيف ذلك؟ كيف يصبح الجيش بديلاً عن المقاومة؟ هل يستطيع جوزيف عون أن يردع إسرائيل؟ ألا يدخل جيش العدوّ إلى لبنان في غضون ساعات للتفتيش في المنازل في جنوب لبنان لو أن الجيش هو الذي يتولّى تخويف وردع إسرائيل؟ عليك أن ترفض المقاومة بالمبدأ وبلا كيف. والبديل؟ تُراوح الأجوبة بين «الدبلوماسيّة» و«الواقعيّة» (الأخيرة باتت لازمة لإبراهيم منيمنة) أو الجيش، ما غيره الذي يشكو همّه شهريّاً لضباط إسرائيل في حفلات السمر والسهر في الناقورة.

ويستفيض في الحديث عن المقاومة ودور المقاومة، ونذكر بعد اغتيال الحريري كيف أنه زار بشار الأسد وقال (بكل غرور): لو أن الزيارة تمّت من قبل، لكان لبنان تنعّم بهدوء أو سلام أفضل، أو كلاماً مزعجاً من هذا القبيل. فجاة، انتقلت المحطة إلى المحور المضاد، وكانت النقلة نافرة إلى درجة أن إعلاميّيها فجاة انتقلوا معها من الممانعة إلى الليبرالية الثوريّة المتماشية مع مصلحة دول الخليج. كيف يمكن ألّا ينجح مرشحو التغيير: قارنوا. ظهر مارك ضو وبولا

(هيثم الموسوي)

> هل الملامةُ على هجرة كل هؤلاء من غير الشيعة نحو المحور المعادي للمقاومة تقع فقط على المال والإعلام والمؤامرة، أم الحزبُ يحتاج إلى مراجعة ذاتيّة؟
>
> نستطيع أن نتحدث عن المؤامرة الخارجية (الخليجيّة-الإسرائيليّة-الغربيّة) ـ وأنا أتخصّص في الحديث عنها يومياً ـ لكن لا يكفي ذلك. هناك مؤامرة طبقيّة في الداخل

للحياة لأنه مضاد للديموقراطية. والإصرار على المناصفة الطائفيّة فُجحف بحق المسلمين لأنه يعطيهم حقّ تمثيل منقوص كثيراً. إن أرقام الفوز فاضحة في المقارنة بين بيروت الأولى وبين النبطيّة مثلاً. بولا يعقوبيان تفوز بـ3500 صوت فيما يفوز أمين شرّي بأكثر من 26 ألف صوت. هذا مضاد للديموقراطية ومضاد لوعد المساواة في الدستور. ويزيد في تقويض هذه الديموقراطية الاقتراعية بدعة انتخاب المغتربين، التي أصرّ عليها جبران باسيل. أي إن باسيل مسؤول بدرجة مباشرة عن جرّ حزب الله إلى قانون اقتراعي متنافر فقط لأنه يعتبره مناسباً لـ«حقوق المسيحيّين» أي إنه يضمن انتخابه وفوزه، خلافاً لدائرة أوسع لم يكن له حظ فيها. ولو أن الانتخابات جرت على مستوى الدائرة لكانت النتائج مختلفة تماماً. يجب على من يؤمن بالديموقراطية في الانتخابات المقبلة أن يصرّ على حظر الانتخابات للمغتربين لأن شروط التنافس والمجاهرة الإعلانية غير متوفرة وممنوعة في دول الخليج والغرب على أكبر حزب لبناني. سنعود في الانتخابات المقبلة إلى زمن المحادل، ولو اعترض باسيل على ذلك.

لكن نتلهّى نحن في العالم النامي بالانتخابات. ليس لنا حرّية ممارسة الديموقراطية. هذه الانتخابات تأثّرت كثيراً بالإنفاق المالي الخارجي (معظمه خليجي وغربي، ومحلّة «تايم» في الانتخابات الأخيرة فضحت كمّ المال الغربي-الخليجي خصوصاً أن الأزمة المالية في إيران قلّصت كثيراً الإنفاق الإيراني). والتدخّل الغربي الخليجي لم يكن سرّاً أبداً. ديفيد شينكر أخطأ (من منظور المؤامرة التي شارك في صنعها وتنفيذها) عندما ظهر في برنامج لـ«مؤسسة واشنطن» وتحدّث عن دوره في تجميع قوى «التغيير» وضحك كثيراً عندما روى عن دور أميركا في الضغط الاقتصادي على لبنان (مرة أخرى، يبرز أيضاً دور الإعلام في المؤامرة، إذ إن تسليط الأضواء على كلام شينكر كان واسعاً ومنتشراً إلى درجة أن محطة إسرائيلية في لبنان — هي حرفياً، محطة إسرائيلية، في الفكرة والتجهيز عند إطلاقها — «إل بي سي» اضطرّت إلى دعوة شينكر للظهور على الشاشة وذلك لتوضيح ما قاله في ساعة «تخلّ». هناك عقود مالية بين السفارة الأميركية والإدارة مع عدد من وسائل الإعلام وذلك لإبراز وجهة النظر والضيوف الأميركيّين، ويتخصّص في عدم مساءلة الضيوف الأميركيّين، الناشط التغييري الثائر، البرت كوستانيان، الذي يبدو أن الضيوف الأميركيّين يفضّلون استضافتهم من قبله لأنه لا يمكن أن يسألهم إلا تلك الأسئلة التي كان لاري كنغ يُمطرها على فرانك سيناترا، من نوع: «فرانك، لماذا نحن نحبك؟») أميركا لا تسمح بالديموقراطية في بلادنا، ولو سمحت هي تدعم الانقلاب عليها لو أصبحت مزعجة لها أو لمصالح إسرائيل (أميركا في الوقت الحاضر دعمت انقلابات على الديموقراطية في مصر وتونس والسودان). والمضحك أن لبنان — ألم تسمعوا؟ — استضاف زواراً أوروبيّين لمراقبة الانتخابات. وكانت ملاحظاتهم مملّة إلى درجة أن الإعلام لم يغطها. لكن الوفد الأوروبي كان له دور مرسوم بعناية سياسية من واشنطن. لو أن الحزب والحلفاء فازوا بأكثرية قوية، لكان دور الوفد الأوروبي إعلان بطلان الانتخابات وكانت أميركا ستسارع — كعادتها — إلى فرض عقوبات «معبقة» (هذه هي الصفة المفضّلة عند أميركا في الحديث عن عقوباتها الوحشية ضد الشعوب) ضد لبنان. لكن ماركس سنّر، ولم يفز محور الحزب وتنفّس الوفد الأوروبي الصعداء. وتعمل أميركا أيضاً من خلال وسائل إعلام وجمعيات محلية. هناك الجمعية اللبنانيّة لمراقبة الانتخابات التي صرحت واعترضت ونشرت على المواقع فيديو حيّاً لحادث «اعتداء» على المرشح وأصاف الحركة. لم تكن الجمعية-الأداة (ذات التمويل الحكومي الغربي) متأكدة من نتيجة الانتخابات وكانت تستعد لأوامر غربية بإعلان بطلان الانتخابات في حال فوز أعداء أميركا. لاحظنا أن شريط الاعتداء على واصف الحركة (والشريط أظهر هتافات سياسية ضده مع أصوات تدعو إلى تركه وشأنه، وظهر وهو يخرج من مركز الاقتراع وحيداً من دون هتافات أو اعتراض) اختفى ولم يعد هناك حديث عنه. ووسائل الإعلام الجديد («المستقلّة» (أي المموّلة من حكومات الغرب وسوروس) أسفرت عن وجهها في الانتخابات وتبنّت مرشحين وروّجت لهم وهي طبعاً أفنت ساعات في الدعاية ضد الحزب ومرشحيه وكل حلفائه — وكل ذلك ليس بالمجّان طبعاً. بدلاً من التلهي بالديموقراطية الممنوعة عنا، يمكن التفكير في حلول جذرية لمشاكلنا الاقتصادية المرتبطة أيضاً بالحصارات الأميركية في بلادنا.

لن يكون هناك غلبة لأحد في لبنان. والتفكير في نزع سلاح الحزب هو إعلان انتخابي مدفوع الثمن. ليس هناك مَن هو في وارد التفكير بعد أن هُزمت إسرائيل نفسها على يد المقاومة. يستطيع جوزيف عون في المجالس المغلقة أن يعد وأن يزهو وأن يصوّر مكانته الشعبية بطريقة تدغدغ القلوب في واشنطن لكن الجميع يعرف الحقيقة — وقد اعترف بها دفيد هيل نفسه، صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» اعترفت بحقيقة أن الانتخابات لن تؤثّر على مكانة المقاومة العسكرية. ينسى البعض أن هؤلاء المتطوّعين هزموا القوات المتعدّدة الجنسيّات (أي «الأطلسي») في الثمانينيات عندما كانت قوّة هؤلاء المتطوّعين نحو خُمس ما هي عليه اليوم. إسرائيل وحلفاؤها نجحوا وينجحون في مخطط عزل الحزب طائفياً في لبنان. كل هذا المخطط كان من أجل فك التحالف بين التيار والحزب. حاولت أميركا بعد اغتيال الحريري أن تفصل بين الحزب والحركة لكنها فشلت لأن المزاج الجنوبي يشعر بالحصار — وعن حق. عندما يُقال لأكبر طائفة مقيمة في لبنان بأنها «جالية إيرانية» لا تتوقّع أنها ستنجذب إليك. منذ اغتيال الحريري حاولت القوى المتحالفة مع الخليج أن تعرض على الشيعة هذا الخيار: نحن نقود محوراً طائفياً ينبذ الشيعة لكنّنا نسمح لك بالانضمام إليه لو نبذتم المقاومة جهاراً. ولهذه فإن الشيعة في إعلام الخليج هم أشد الناس كراهية للشيعة لأن هؤلاء مطالبون بإثبات الولاء الطائفي للمعادين للطائفة التي ولدوا فيها. فقد الحزب أنصاره من السنة والدروز والمسيحيّين في الجنوب. هذا عنصر خطر لأن ذلك يعني أن المعركة المقبلة ستشهد دسائس أكثر من حرب تموز. هل الملامةُ على هجرة كل هؤلاء من غير الشيعة نحو المحور المعادي للمقاومة تقع فقط على المال والإعلام والمؤامرة، أم الحزبُ يحتاج إلى مراجعة ذاتيّة لتقييم الأداء، خصوصاً في مرحلة ما بعد الانتفاضة؟ المدهش ليس أنه كان هناك مؤامرة خطيرة ضد المقاومة، لا، المدهش لو أنه لم يكن هناك مؤامرة بعد تحقيق النصر والحاق الهزيمة والمذلّة بإسرائيل.

الحرب ليست على الأبواب. المقاومة تُخيف إسرائيل وتردعها بما فيه الكفاية. الحرب المقبلة هي حرب طبقية بين الجائعين والمعوزين والفقراء والمعذّبين والخاسرين وبين زعماء الفساد والطبقة الحاكمة برمّتها. هذه المعركة هي الراهنة وتحديد الموقف منها سيحدّد موقع أي حزب في الانتخابات المقبلة. إن خسارة الحزب لحلفاء له يتعلّق بدوره ودور حلفاء له في حماية النظام وفي الغرف من دولة الفساد. نستطيع أن نتحدث عن المؤامرة الخارجية (الخليجيّة-الإسرائيليّة-الغربيّة) — وأنا أتخصّص في الحديث عنها يومياً — لكن لا يكفي ذلك. هناك مؤامرة طبقيّة في الداخل من المُترفين المترهّلين الناهبين ضد بقيّة الناس. والطبقة الحاكمة تغيّر أدواتها، تستعين حيناً بأحزاب تقليدية وبأشخاص من كل الطوائف ومن ملاحدة لو تطلّب الأمر. والأدوات الجديدة للمؤامرة الطبقيّة ستحاول جاهدة أن تحافظ على النظام القائم: لاحظوا كيف أن قوى «الثورة» و«التغيير» تُجمع على ضرورة الحفاظ على «النظام الاقتصادي الحرّ». هذا الإيمان بالاقتصاد الحرّ هو إعلان حرب ضد كل ضحايا النظام الرأسمالي الذي أودى بكم إلى التهلكة.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

انتهت الانتخابات: الأزمة أكثر تعقيداً

سعد الله مزرعاني *

سوف نكون بحاجة إلى وقت أطول من أجل الإحاطة بكامل جوانب ونتائج المعركة الانتخابية التي خيضت في لبنان وبلاد الاغتراب في الفترة الواقعة ما بين 6 و15 أيار الجاري. رغم ذلك، ومع التحسّب للسهو والخطأ، يمكن الآن، وكبداية لتقييم متكامل ما أتيح ذلك، إدراج مجموعة من العناوين الأساسية. من جهة ثانية، فإنّ الإسراع في استخلاص الدروس، هو أكثر من ملحّ لأن الأزمة مفتوحة. هي مرشحة بقوة لمزيد من التفاقم اقتصادياً وسياسياً، وربما أمنياً، مع ما يُلحق ذلك من كوارث إضافية بالأكثرية الساحقة من الشعب اللبناني الذي يُكابد واحدة من أكثر الأزمات في العالم، إفقاراً وخراباً وعبثية.

في الوقائع والمعطيات والمميزات، إنّ استحقاق عام 2022 قد وقع في خضم أزمة طاحنة حوّلت حياة اللبنانيين، المقيمين والمغتربين (الجدد خصوصاً، والذين شاركوا في الانتخابات بكثافة) إلى كابوس ما زالت فصوله تتوالى. وإن شكوك عدم حصول الانتخابات، بالإلغاء، ظلّت قائمة حتى مباشرة المرحلة الأخيرة لاقتراع المقيمين، وأن احتمالات تعطيلها استمرت متوقعة حتى الدقائق الأخيرة من عمليات الفرز (أسباب عديدة ومتباينة، فعلية ووهمية، كانت تغذي هذا الاحتمال). ولّد ذلك وسواه، مزاجاً شعبياً، وحتى سياسياً، متناقضاً بشأن مسألة المشاركة: لجهة الاندفاع أو الانكفاء. الشقّ النسبي (المشوّه بالصوت التفضيلي) في قانون الانتخاب، أربك المشاركة في مرحلة تعاظم فيها التفكّك والفردانية والفئوية والتسلّق وتعدّد الولاءات. ثُمّ يأتي الدور الهائل وغير المسبوق للتدخل الخارجي: الغربي (الأميركي خصوصاً) والعربي السعودي (بالدرجة الأولى). وهو دور شامل ومتواصل ومتشعّب: من السياسة إلى الاقتصاد والمال والإعلام (المستأجر والمموّل والمسخّر) والنشاط الميداني والزيارات المتواصلة (شملت أمين عام الأمم المتحدة!) والعقوبات والتفاوض مع العدو والعرقلة والمساعدات والمقاطعة وسحب السفراء... وصولاً إلى الرشوة وتركيب اللوائح وصياغة الشعارات التي تمحورت حول سلاح المقاومة (من أبرز ضحايا هذا التدخل إقصاء سعد الحريري ثم محاولة إعادته بالإكراه المجاني). في مجرى احتدام المعركة تم استحضار سلاح آخر مجرب وفعّال: طائفي ومذهبي ومناطقي كانتوني بمشاركة مباشرة للمرجعيات الدينية وبأعلى الأصوات. من جهتهم، ثابر عتاة المنظومة الحاكمة على المراوحة في النظام المتخلّف والفاشل نفسه: بوسائل الإنكار والخداع والفئوية والمحاصصة والعصبيات والتبعية، وبالرهان على الاحتواء والتيئيس، وعلى تعب الناس وعجزهم عن مواصلة الاعتراض، وبالتالي عن المحاسبة والتغيير.

رغم كل ذلك، كان للأزمة مفعولها ونتائجها الطبيعيين، ولو جزئياً، بوصفها، أساساً، ميداناً للصراع الاجتماعي الطبقي، بمحتواه ومداه المحلي والإقليمي والدولي. لقد كان الشائع، بل الراسخ، أن الشعب اللبناني مدمن على الالتحاق والهوان، وأنّ منظومته ونظامه السياسيين محصّنان ومصفّحان ضد الاختراق والمحاسبة. وفقاً لهذه المقولة، مارست المنظومة الحاكمة سياسة التجاهل والمكابرة طيلة حوالى ثلاث سنوات من الانتفاض والاحتجاجات. ومضت إلى الانتخابات واثقة من قدرتها على التجديد لنفسها وعلى احتواء السخط الشعبي من خلال الخداع والوعود والتيئيس، وخصوصاً من خلال شحذ سلاحها المفضل والمجرّب وهو سلاح العصبيات الطائفية، والمذهبية خصوصاً. لكن ضخامة الأزمة وتعاظم المتضرّرين وتعمّق النقمة، مكّنت حركة الاحتجاج من أن تحطّم عدداً من الحواجز والرواسخ والمعادلات. تقدّمت الصفوف، خصوصاً الطبقة الوسطى الأكثر تضرراً ومعاناة من الخسارة والخراب، مزودة بما كسبته من الوسائل الحديثة في التحريض والتواصل والتكتل، وتمكنت من اختراق أسوار المجلس النيابي بنسبة تقارب الـ 13% من عدد أعضائه. أطاح انتصارها هذا رموزاً ووجوهاً قديمة أو جديدة اعتاد بعضها الدفاع عن المنظومة والنظام بأقذر الوسائل!

في امتداد ذلك، تبين أنّ أزمة غير مسبوقة بحجم الأزمة اللبنانية المتمادية، لم يكن لها، إطلاقاً، أن تمر دون أن تؤدي إلى حد أدنى من المحاسبة والمساءلة والتغيير! للصراع الاجتماعي، ولو غير ناضج الشروط بالكامل، قوانينه ونتائجه، وهو أمر جرى، دائماً، الداب على طمسه. والأسوأ أن التدخل الخارجي قد حرص، هو الآخر، على توجيه المسؤولية، وبالتالي النقمة والاحتجاجات، ليس ضد الطاقم الحاكم والنظام القائم، بل نحو هدف آخر يتصل بالصراع الدائر في المنطقة وفي العالم، والذي تديره وتغذّيه لمصلحتها ومصلحة أدواتها وحلفائها الولايات المتحدة الأميركية.

يقودنا هذا الأمر إلى طرح مجموعة عناوين بشأن مسار الاحتجاجات. وهي عناوين جرى تناولها أو التنبيه بشأنها، من قبل حريصين، منذ بدايات الانتفاضة. المقصود الدعوة إلى أن يكون للانتفاضة برنامج بديل وأولويات واضحة وخطة تحرك وتعبئة وتحشيد هادفة. ولن يتم ذلك أو يكتمل أو يستمر بدون قيادة تنسّق وتطور وتستثمر لمصلحة التحرك وصولاً إلى الهدف المنشود. الطابع العفوي الغالب، ونقص التجربة وأحياناً الوعي والإرادة، عوامل قادت إلى تجاهل كل ذلك لحساب شعارات من نوع: «كلنا قيادة»، «بدنا حقوقنا»، «مطالبنا معروفة»... وتباعاً، تبيّن أن ثمّة من يحاول تعميق هذا النوع من التناول العفوي أو العبثي. كان الهدف هو السعي لمصادرة واستغلال الاحتجاجات وتوجيهها وفق مصالح وأغراض متعارضة مع مصالح المنتفضين ومع الشروط والأولويات الحقيقية المطلوبة، حيال المسؤوليات والبدائل. ليست المدة الفاصلة ما بين بدء الاحتجاجات وموعد الانتخابات بسيطة، ولا الأهوال والخسائر من النوع الذي يمكن تحمّله، ومع ذلك تبيّن أن جميع أطراف الانتفاضة، بمن فيهم قوى التغيير القديمة والعريقة، قد عجزوا عن التوحد، والتنسيق في ما بينهم، سواءً على المستوى السياسي أو على المستوى الاقتصادي الاجتماعي.

في مجرى ذلك تقدّم شعار نزع السلاح وإلغاء «الدويلة» ليصبح هو الأعلى صوتاً في «المنصات» والإعلام المدفوع الأجر والمسخّر لهذا الغرض، وفي حملات ضارية، استفادت من إجرام وفئوية المنظومة، ومن أخطاء وثغرات المقاومة ومن عجز وفشل السلطة، لتشويه المشهد وإشاعة اليأس والتبعثر في المواقف والأولويات والولاءات.

ينبغي القول، في امتداد ذلك، أن الانتصار الشعبي حقيقي وواعد. لكنه محدود وجزئي وهش. هو واقعياً غير حائز، دون جهد وغربلة، وفرز، على شروط ومتطلبات الاستمرارية والتقدّم في معركة مفتوحة، بلا أفق، وشديدة التداخل ما بين تناقضات وصعوبات الداخل وتدخلات وتأثيرات الخارج.

انتقلت الأزمة بعد الانتخابات إلى طور جديد وتوازنات مختلفة، ولو بنسبة محدودة. كيف نبني على ما تحقّق؟ كيف يمكن تحرير الانتصار من الأدران الداخلية والاستغلال الخارجي؟ ما هي مسؤولية القوى اليسارية والوطنية؟ ما هي مسؤولية المقاومة، بعد أن سُجّل في مرماها، سياسياً وإعلامياً ومعنوياً، عدد غير قليل من الأهداف؟! وهذا ما سيكون موضوعنا في مقاربة لاحقة.

* كاتب وسياسي لبناني

البلاد | ملف | سيف القدس: «ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل»

باسْم غزة... التي «خلقت من جزمةٍ أفقاً»

يوسف فارس

على رغم أنه لا يمكن القفز على حالة الجدل التي يعيشها الشارع الغزّي منذ سنوات حول تعريف مصطلح «الانتصار»؛ وذلك بالنظر إلى التكلفة البشرية والمادّية العالية التي خلّفتها الحروب المتتالية، وأيضاً التحكّم الإسرائيلي بمتطلّبات الواقع الإنساني، والذي يعطي العدو هامش تضييق الخناق بعيشاً، وتنغيص حياة السكّان في أدقّ تفاصيل حياتهم، ليَظهر كمَن استطاع تفريغ شعارات المقاومة العالية من مضمونها، إلّا أن أحداً لا يستطيع إغفال جملة من الإنجازات التي حقّقتها معركة «سيف القدس» العام الماضي، وتُواصل في السياسة قبل العسكر، يمكن القول إنّ المقاومة في غزة جَبَرت في حرب أيار 2021، كَسراً أنتجته الصراعات الداخلية والأزمات المعيشية التي توافقت مع فوز حركة «حماس» في الانتخابات التشريعية عام 2006، فخلال 15 عاماً من الانقسام السياسي وحتى الشعبي، بين جغرافيا البلاد المفتّتة في الضفة والداخل وغزة وحتى الشتات، اشتغلت السياسة الإسرائيلية، المسلّحة بقدرة كبيرة على التحكّم بعوامل صناعة الترف تحت الاحتلال، أو الإفقار حتى في ظلّ الانعتاق منه كما في غزة، على تشكيل «كوتا» جامدة من الهموم المناطقية التي تشغل أصحابها عن التفكير بمَن سواهم من أبناء الوطن.

في غزة مثلاً، عملت إسرائيل على رفع تكلفة الفعل المقاوم، وتدفيع السكان فاتورة عملية خطف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط عام 2006، في شكل حربَين مدمّرتَين، أولاهما كانت عام 2008 - 2009، والثانية التي أعقبت اغتيال مهندس صفقة التبادل أحمد الجعبري عام 2012. وحتى عام 2014، شكّل اختراق واقع الحصار المتأزّم، العنوان الذي كانت تبحث فيه المقاومة عن نهاية مشرّفة للحرب التي استمرّت 51 يوماً، عبر تحصيل ميناء بحري ومطار يتغلّب على قهر الجغرافيا، والذي تضاعفت حدّته بعد إسقاط حُكم «الإخوان المسلمين» في الجارة الكبرى للقطاع.

ويتبدّى منجز «سيف القدس» الأكبر، في كونها استطاعت إعادة الاعتبار من جديد إلى الهموم الوطنية الكبرى، وعلى رأسها المدينة المقدّسة. كان إعلان قائد أركان المقاومة في القطاع، محمد الضيف، عن ساعة الصفر لبدء الحرب، من دون أيّ شروط مطلبية لوقفها من مثل فتح المعابر، أو دخول المنحة القطرية، أو حلّ أزمة الكهرباء، أو تسهيل سفر المواطنين، بمثابة إعادة شاملة للصراع الفلسطيني مع الاحتلال إلى مربّعه الأول، حيث استطاعت المقاومة، وعلى رأسها حركة «حماس» التي مورست ضدّها حرب هائلة لكيّ وعيها وتدجينه، أن تُعيد سلاحها إلى وظيفته البكر، المتمثّلة لا في حماية «سلطة المقاومة» التي حاول الاحتلال الإيحاء بأنها مهدّدة بالإسقاط، بل بمقارعة أهداف المشروع الإسرائيلي الذي يتخذ من إلهاء الفلسطينيين بأوضاعهم الداخلية ستاراً للتمدّد. وبالعودة إلى جدلية تحقيق الانتصار، والتي ينبغي أن يُعاد تجليسها في وعي العوام، فإن القدرة على عرقلة مساعي الاستيطان والتهويد، في ظلّ واقع عربي متداعٍ سياسياً، وانشغال دولي عن الصراع، إنّما تمثّل نقطة فارقة يُجبر الانتباه إلى حجمها؛ إذ إنه أوّلاً وأخيراً، لا يمكن القضاء على كيان احتلالي خُلق ليبقى ويتمدّد، بالضربة القاضية، بل إن مراكمة الإنجازات الصغيرة، والمحافظة على حالة المشاغلة ورفع تكلفة بقاء الاحتلال، هي ما يهدّد وجوده وتوسّعه. في السياسة أيضاً، استطاعت معركة «سيف القدس» أن تستنهض حالات كانت إلى وقت قريب، خارج الاعتبار والاختبار. والحديث هنا ليس عن مدن الضفة ومخيّماتها، إنّما عن الداخل المحتلّ الذي مارست إسرائيل بحقّه كافة أساليب التغييب والأسرلة، فجاءت المعركة لتُعيد اللُّحمة الوطنية إلى كلّ هذا المكوّن الذي تفرّقه الجغرافيا والحواجز والظروف الضاغطة.

أمّا في الميدان، فقد بقي سطر محمود درويش الشعري في توصيفه، في القطاع المحاصر بحراً وبرّاً وجوّاً، حيث استطاع الفدائي أن «يخلق من جزمة أفقاً». والمفارقة أن تلك «المعجزة» لم تستند، هذه المرّة، إلى أدوات الفعل المقاوم التي وصلت الأذرع العسكرية للفصائل تطويرها منذ الانسحاب الإسرائيلي من غزة عام 2005، والذي حرم المقاوم من فرصة الاشتباك المباشر، وسعت من خلاله إسرائيل إلى تصغير الأهداف بعوائق تكنولوجية ووسائل رقابة وأراضٍ مبسّطة شاسعة المساحة، تحيط بكامل السياج الحدودي الشرقي مع القطاع، ما يحرم المقاومة ليس من الفعل المقاوم فقط، إنّما من النتائج السياسية والوطنية التي يمكن تحقيقها من خلال هذا الفعل. لقد جاءت معركة الثامن والعشرين من رمضان لكي تثبت نجاعة الأدوات المعدّة بدائية مثل الصواريخ، في تحقيق أهداف ذات بُعد استراتيجي وطني كبير. صحيح أن ما يمكن لصواريخ أو لمائة صاروخ محدود الأثر أن يحقّقه في ظلّ نظام التحذير المبكر، الذي يسمح للمستوطنين، منذ انطلاق الصاروخ وحتى قبل لحظة سقوطه، أن يختبئوا بكلّ أريحية في الملاجئ المحصّنة قبل وصوله، هو قدْر لا يُذكر على صعيد الخسائر البشرية وحتى المادّية، لكنه وسيلة استطاعت خلال 11 يوماً من الحرب أن تُحوّل أنظمة الإنذار المبكر، إلى نقمة في مفعولها الضمني. ولعلّه يكفي للتدليل على ذلك القول إن بضعة آلاف من الصواريخ، ذات المديات المتفاوتة، استطاعت فرض حظر التجوّل وتعطيل كافة مظاهر الحياة المدنية والصناعية، من مستوطنات غلاف غزة، وحتى عمق 250 كيلومتراً، والذي دُشّن استهدافه بصاروخ «عياش»، وفُرض فيه حظر جوّي مؤقّت على مطار «رامون».

> يتبدّى منجز «سيف القدس» الأكبر، في كونها استطاعت إعادة الاعتبار من جديد إلى الهموم الوطنية الكبرى

وفي الضربة الصاروخية التي استهدفت مدينة تل أبيب مساء اليوم الثاني من المعركة (2021/5/11)، بـ130 صاروخاً، وهي الضربة غير المسبوقة منذ احتلال فلسطين عام 1948، لم تُعِش تل أبيب وضواحيها خلال الخمس دقائق التي استغرقتها الرشقة، انفجارات صواريخ المقاومة فقط، بل أضيفت إليها انفجارات صواريخ «القبّة الحديدية»، فإذا كان الحدّ الأدنى الذي تطلقه «القبّة» لاعتراض الصاروخ الواحد هو صاروخ «تامير»، فإن المنظومة أطلقت 260 صاروخاً من هذا النوع. وبإضافة 130 صاروخاً أطلقتها المقاومة، تكون تل أبيب قد عاشت 390 انفجاراً خلال خمس دقائق، ما بين صواريخ تنفجر في السماء وأخرى تسقط وتصيب أهدافها، وتتسبّب بإصابات وأضرار. كلّ ذلك كان واقعاً جديداً تتعرّض له تل أبيب لأوّل مرّة، وهنا، يتبدى الأثر الذي يخلّفه هذا السلاح الآخذ في التحسّن والتطوّر، كمّاً ونوعاً، ويعيدنا إلى الحديث عن أهمّية ما يحدثه دويّ الانفجار من أثر لناحية تقويض حالة الاستقرار، ورفع تكلفة الاحتلال والبقاء على هذه الأرض.

في الميدان أيضاً، استطاعت المقاومة، من خلال توظيفها الذكيّ لعدد من الوسائل القتالية التقليدية، مثل «الهاون» و«صواريخ 107» قصيرة المدى، والتي استُخدمت بكثافة، تقويض إمكانية استخدام أهمّ أسلحة جيش الاحتلال، وهو سلاح المشاة، إذ وضعت المؤسّسة الأمنية الإسرائيلية، بفعل ذلك، سيناريو التدخّل البرّي خارج الحسابات، فثمّ برز الكورنيت الذي استُخدم على نحو مدروس، ليس في لجم سلاح المشاة، بل في زيادة العبء الأمني في البحث عن نقاط آمنة للتموضع في عمق الشريط الحدودي، بما لا يسمح لأيّ من تلك الصواريخ المتأهّبة بالانقضاض على هدفه.

(أ ف ب)

وفي الأنفاق... «نربّي الأمل»

ليس من المبالغة القول إنّ عملية «مترو حماس» التي استمرّت إسرائيل في الإعداد لها طوال عشر سنوات سبقت معركة «سيف القدس»، هي واحدة من أهمّ الأوراق التي كان يعتقد الاحتلال أنها الورقة الرابحة التي يمكن أن تحقّق له إنجازاً ميدانياً ونفسياً، يُعيد الأذرع العسكرية 15 عاماً إلى الوراء، ويراكم من قوّة الردع الإسرائيلي الذي من شأنه أن يشذّب نبرة الخطاب المقاوم المرتفع في القطاع. كما أنها كانت بمثابة رهان لدى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، بنيامين نتنياهو، للتأسيس على نتائجها في إعادة بناء حضوره في المشهد الداخلي، وهو ما يفسّر إصراره على استخدامها على رغم التحذيرات التي وُجّهت إليه من إمكانية فشلها.

وقامت خطّة «المترو» على افتعال مناورة إيهام متكاملة العناصر، تحشد قوات المشاة في الجيش الإسرائيلي، بموجبها، عشرات الآليات العسكرية بمحاذاة السياج الحدودي لشمال قطاع غزة، ثمّ تبدأ وحدات المدفعية بالتمهيد الناري على نحو مكثّف، قبل أن يسرّب الاحتلال خبراً عبر الإعلام العبري، مفاده بأن الجيش متّجه إلى تنفيذ عملية برّية شاملة في القطاع. وعلى إثر ذلك، كان يُفترض بالمقاومين المبادرة إلى تذخير الأنفاق، وتجهيزها للخطة الدفاعية التي تعدّ هذه الشبكة الممتدّة في مناطق قطاع غزة كافة، عمادها الأساسي. إلا أنه في تلك الليلة، امتلكت استخبارات المقاومة تقديراً ناجزاً بأن العدو لن يُقدم على تنفيذ عملية برّية. ومع بدء «الخديعة الكبرى»، صدرت التعليمات للتشكيلات القتالية بإعادة التموضع وفق الوضع العادي، وبهذا لم تنجرّ المقاومة إلى حيث يريد الاحتلال.

وبعد أربعين دقيقة من القصف المكثّف، الذي شاركت في تنفيذه 160 طائرة في آن واحد، أعلن نتنياهو أن جيشه استخدم تدمير مئات الكيلومترات من أنفاق المقاومة، وقتْل عشرات المقاومين، خلال عملية قصف مركّز استهدفت شبكة الأنفاق شمال غزة. ولما كان الحيّز الذي تحدّث عنه نتنياهو سرّياً، ولا يمكن معاينته للتأكّد من صدقيّة الإعلان الإسرائيلي، سارعت المقاومة إلى نشر توثيق لمقاتليها واستعداداتهم داخل الأنفاق، بهدف تفنيد دعاية الاحتلال، وتجاوز التأثير النفسي لهذا الإعلان على الحاضنة الشعبية. وعقب انتهاء الحرب، خرج قائد «حماس» في غزة، يحيى السنوار، وأكد أن الأنفاق التي يتجاوز طولها 500 كيلومتر، لم تتضرّر إلا بنسبة 5%. وبعد عام من «سيف القدس»، أكدت هذا الإطار، بكشف مصدر في المقاومة أن «الاستهداف الإسرائيلي للأنفاق، التي لم تستلزم مجريات المعركة استخدامها، ساهم فعلياً في تحديد جزء محدود منها دون تدميرها، لكنه في المقابل، كشف عن تكتيكات سرّية طوّرتها إسرائيل خلال عشرة أعوام، واستخدمتها دون نتيجة»، مبيّناً أن «الاحتلال كشف مثلاً عن سلاح الغاز القاتل الذي تمّ حقن الأنفاق به، بدون أن يستطيع قتل العدد المشتهى من المقاومين، وبدون أن يقدم على عملية اجتياح برّي، ما يعني أنه أعطى المقاومة فرصة مقبلة لاتّخاذ خطوات وقائية لإبطال سلاح الغاز». ويؤكّد المصدر أن الأضرار التي لحقت بالصحيفة العبرية، فإن الخطة الأصلية كانت تُشير إلى إمكانية القضاء على نحو 800 مقاتل من قوات النخبة في «كتائب القسام» داخل الأنفاق، حيث شاركت 160 طائرة في الهجوم الذي سُمّي «ضربة برق».

(الأناضول)

وعلى الرغم من تعرّض المقاومة لعدوان غير مسبوق، عبر تكثيف الغارات الجوية التي طاولت أكثر من 1500 هدف خلال عشرة أيام وثماني ساعات، إلّا أنها استطاعت المحافظة على قيادة العمق لديها متماسكة. وفي هذا الإطار، يكشف مصدر في المقاومة أن «الاستهداف الإسرائيلي للأنفاق، الذي لم تستلزم مجريات المعركة استخدامها، ساهم فعلياً في تحديد جزء محدود منها دون تدميرها، لكنه طوّرتها إسرائيل خلال عشرة أعوام، واستخدمتها دون نتيجة»، مبيّناً أن «الاحتلال كشف مثلاً عن سلاح الغاز القاتل الذي تمّ حقن الأنفاق به، بدون أن يستطيع قتل العدد المشتهى من المقاومين، وبدون أن يقدم على عملية اجتياح برّي، ما يعني أنه أعطى المقاومة فرصة مقبلة لاتّخاذ خطوات وقائية لإبطال سلاح الغاز». ويؤكّد المصدر أن الأضرار التي لحقت بالأنفاق تمّ تداركها، عبر خطة صيانة محكمة، ودراسة مخابراتية دقيقة لِما ينبغي ردمه وهجره بسبب انكشافه واستهدافه من قِبل الاحتلال، وما يمكن الإبقاء عليه وربطه في مسارات جديدة.

يوسف ...

حتى لا نبقى أسرى «المواطنة الكولونياليّة»

> «يتحدّثون عن أقلّية عربية. هذه ليست حقيقة. الأقلّية هي يهودية وليست عربية. نحنُ أقلّية. يجب معرفة هذه الحقيقة».
>
> دافيد بن غوريون، جلسة الحكومة، 15,11,1953

محمد قعدان

في سؤال البداية

عملية التأسيس للدولة اليهودية [الحرب والتطهير] لم تُحقّق مفهومها المجرّد في التطهير الكامل للأراضي المحتلّة من العرب الفلسطينيين؛ إذ بقي، لسياقات وعوامل عديدة، أكثر من 150 ألف عربي فلسطيني في أراضيهم، ليندرجوا لاحقاً في إطار «المواطنة الكولونيالية». وفي عام 1949، بعد إتمام اتفاقيات وتفاهمات، توقّفت الحرب عند خطّ الهدنة، الذي أصبح بمثابة الحدود النظرية لإسرائيل، والمعترَف بها دولياً قبل حرب حزيران 1967. في تلك الأثناء، شيّدت المؤسّسة الصهيونية حُكماً وأجساماً عسكرية للسيطرة على الفلسطينيين، ومصادرة أرضهم، ومُلاحقة النشطاء السياسيين والمثقّفين، وتقطيع أوصال القرى والمدن عن بعضها عن بعض، وتحفيز المحسوبيات والعمالة في المجتمع الفلسطيني لصالح مؤسّسات صهيونية والحزب الحاكم «مابامي»، مقابل الحصول على الحقوق الأساسية مثل العمل والسكن.

لم تملك المؤسسة الصهيونية خطّةً واضحة المعالم إزاء العرب الفلسطينيين الباقين. لذا، نتجَ توجّهان لديها للتعاطي مع هؤلاء: الأوّل انعزالي، يدعو بشكل واضح إلى عزل الفلسطينيين وتثبيت الحُكم العسكري والمعازل ونظام التصاريح، ثمّ العمل باستراتيجية واضحة لطردهم من المنطقة العسكرية الوسطى (المثلّث) إلى المملكة الأردنية، ومن المناطق العسكرية الشمالية (الجليل) إلى لبنان، وأخيراً من المنطقة العسكريّة الجنوبية (النقب) إلى مصر وغزة. وكان على رأس هذا التوجّه، دافيد بن غوريون وموشيه ديّان. أمّا التوجّه الاندماجي، فقد نظر إلى العرب الفلسطينيين على أنهم فرصة لإثبات حسن نيّة إسرائيل أمام العالم ووعودها بالديموقراطية، بالإضافة إلى معالجة العنصرية والكراهية لدى الجماعة اليهودية الاستيطانية. ومن المهمّ التأكيد أن استراتيجية الاحتواء القسرية هذه لا تعني المنظومة الإسرائيلية. لم يملك بشارة من الحقّوق، وصناعة الفرد العربي الإسرائيلي في مرافق الدولة الأكاديمية والمعرفية والمخابرات والمستشاريات الحكومية المختلفة.

هكذا، بُنّا في مواجهة مشروع المواطنة بأشكال متعدّدة، لنتخيّل الأمر كالتالي: المؤسّسة طرحت مشروعاً ليس واضحاً، ونحن نقابل ذلك بطروحات نقدية تتأسّس على ما طرحتْهُ المؤسسة، وهو ما أوصل إلى أزمةٍ في السنواتِ الأخيرة. سنحاول في هذا المقال إعطاء شروحات لتطوّر المشروع وأزمته، وما سَكَلته هبّة أيار من فسحة للخروج منه.

عن جذور الأزمة

أبدأ في تحديد ملامح تشكّل الأزمة تدريجياً في ثلاثة مواقع أساسية متعلّقة بالخطاب السياسي: انشقاق داخل «الحزب الشيوعي» الإسرائيلي وانطلاق القائمة «الشيوعية» الجديدة «راكاح» (1965)؛ تأسيس «التجمّع الوطني الديموقراطي» (1995)؛ انشقاق داخل «القائمة المشتركة» وطرح خطاب «مؤثّر ومحافظ» حتى انضمام «الأنفاق به، بدون أن يستطيع قتل العدد المشتهى من المقاومين، وبدون أن يقدم على عملية اجتياح برّي، ما يعني أنه أعطى المقاومة فرصة مقبلة لاتّخاذ خطوات وقائية لإبطال سلاح الغاز». ويؤكّد المصدر أن الأضرار التي لحقت بالأنفاق تمّ تداركها، عبر خطة صيانة محكمة، ودراسة مخابراتية دقيقة لِما ينبغي ردمه وهجره بسبب انكشافه واستهدافه من قِبل الاحتلال، وما يمكن الإبقاء عليه وربطه في مسارات جديدة.

يوسف ...

لعدوان غير مسبوق، عبر تكثيف الغارات الجوية التي طاولت أكثر من 1500 هدف خلال عشرة أيام وثماني ساعات، إلّا أنها استطاعت المحافظة على قيادة العمق لديها متماسكة. وفي

هذا الإطار، يكشف مصدر في المقاومة أن «الاستهداف الإسرائيلي للأنفاق، التي لم تستلزم مجريات المعركة استخدامها، ساهم فعلياً في تحديد جزء محدود منها دون تدميرها، لكنه

طوّرتها إسرائيل خلال عشرة أعوام، واستخدمتها دون نتيجة»، مبيّناً أن «الاحتلال كشف مثلاً عن سلاح الغاز القاتل الذي تمّ حقن الأنفاق به، بدون أن يستطيع قتل العدد المشتهى من المقاومين، وبدون أن يقدم على عملية اجتياح برّي، ما يعني أنه أعطى المقاومة فرصة مقبلة لاتّخاذ خطوات وقائية لإبطال سلاح الغاز». ويؤكّد المصدر أن الأضرار التي لحقت بالأنفاق تمّ تداركها، عبر خطة صيانة محكمة، ودراسة مخابراتية دقيقة لِما ينبغي ردمه وهجره بسبب انكشافه واستهدافه من قِبل الاحتلال، وما يمكن الإبقاء عليه وربطه في مسارات جديدة.

يوسف ...

اعتقد بشارة أن ظواهر الأسرلة أصبحت جزءاً كبيراً وحاضراً في الداخل المحتلّ، ويجبُ مكافحتها، إذ إن ما يميّزها هو الرغبة فيها لذاتها. ومن هنا، نشأ حزب يعبّر عن الحركة الوطنية كاملةً، سيؤسّس لروافد جديدة نجحت بالفعل في تقليص الأسرلة في مساحات عدّة ثقافية وفنية واجتماعية وتربوية، واستطاعت إعادة الزخْم إلى الهوية الفلسطينية منذ أواخر التسعينيات. على أن الصيغة الجديدة هذه لم تستطع، هي الأخرى، معالجة القضايا البنيوية لدى المجتمع الفلسطيني، حتى مع وصولها إلى مداها الأبعد، بحصول «القائمة المشتركة» على 15 مقعداً. باختصار، لا تحقّق معادلة التوازن مكتسبات مادّية، اقتصادية واجتماعية وسياسية، للفلسطينيين، بل تُحافظ على علاقات قوّة تضمن للدولة اليهودية من موقع الفرد الاصلاني أو الأسود داخل الولايات المتحدة، أي الاندماج في الأجهزة الرسمية من دون أيّ تغيير بنيوي في القضايا الجماعية الأساسية للمجموعات المُستهدَفة.

في هذا الصدد، نجد أن الشيوعيين كانوا الأوائل في طرح معادلة التوازن كمشروع سياسي، مقابل معادلة الدولة والحُكم العسكري (الولاء/ الحقوق)، بمعنى إنهاء الحُكم العسكري، ثمّ إنهاء عملية تشويه التمثيل من خلال المحسوبيّات وعملاء الحزب الحاكم (مابامي)، ولكن من دون الاعتراض على «حقوق إسرائيل المشروعة»، والانتماء إليها على أساس قانوني/ حقوقي. طرح جمال موسى، عضو اللجنة المركزية، آنذاك، نقطةً تعنينا في ما يخصّ معادلة «تغيير السياسة الإسرائيلية إلى سياسة سلام وعدم ارتباط [عدم انحياز]. وإلى حلّ القضية الفلسطينية حلّاً عادلاً بالاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب العربي، وحقّ اللاجئين في العودة لفتح طريق السلام، واعتراف الدول العربية بحقوق إسرائيل المشروعة» (10 أيلول 1965/ الاتحاد). في هذا الاقتباس تحديداً، نجد بداية إرساء معادلة التوازن، التي تتمثّل في «المواطنة/ الحقوق»، ولكن من دون مناقشة مضمون المواطنة وتفاصيلها، وهذا ما سيُطوّره عزمي بشارة.

إزاء ذلك، لم تكن خارجة من السياق الانفجارات الحاصلة في اتّجاه المواجهة المباشرة والاشتباك مع الاستعمار والأجهزة العسكرية مثلما حصل في عدّة فترات تاريخية، كما في «يوم الأرض» عام 1976، و«هَبّة الكرامة» في أيار 2021. والأخيرة تحديداً جاءت نتيجة تراكمات فشل معادلة التوازن منذ عام 2015، وتأسيس «القائمة المشتركة» باعتبارها قوّة عربية موحّدة كبيرة ومؤثّرة، بالإضافة إلى «خطّة 922» والتي ظنّ البعض أنها ستلبّي حاجات المجتمع العربي. إلّا أن العجز عن معالجة القضايا البنيوية الرئيسة للمجتمع الفلسطيني في الداخل المحتلّ، جدّد أزمة معادلة التوازن، التي استنفدت هذه المرّة جميع إمكاناتها.

«التجمّع» ومعادلة التوازن

أدرك عزمي بشارة، في عام 1995، الأزمة في معادلة الشيوعيين، ومآلاتها، وتصاعُد قوّة التيار الإسرائيلي الأكثر وضوحاً. لذا، عمل على إيجاد صيغة جديدة لمعادلة التوازن، بحيث استطاع أن يجعل هذه الأخيرة أكثر حيوية وتماسكاً إزاء المنظومة الإسرائيلية. لم يملك بشارة مشروعاً مغايراً لَمّا قدّمته «راكاح» في عام 1965 («الحزب الشيوعي الإسرائيلي» لاحقاً)، و«الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة»)، إنّما حاول استقطاب قطاعات وفئات جديدة من الجمهور الفلسطيني إلى هذا المشروع. وقد ساهم في التنظير لمسألة تعريف الدولة اليهودية وتجسيدها السياسي والقانوني، وتعريف المواطنة وربطها بمفهوم السكّان الأصلانيين، بمعنى إعادة بناء شرعية الفلسطيني وأحقيّته في المواطنة ربطاً بكونه جزءاً من مجموعة أصلانية، بما يجعل بالإمكان خلْق صيغة توازن جديدة بين المواطنة الإسرائيلية والمطالبة بها كاملةً من جهة، والهويّة القومية الكاملة على أساس الوجود الفلسطيني الأصلاني السابق لوجود المستوطنين.

اعتقد بشارة أن ظواهر الأسرلة أصبحت جزءاً كبيراً وحاضراً في الداخل المحتلّ، ويجبُ مكافحتها، إذ إن ما يميّزها هو الرغبة فيها لذاتها. ومن هنا، نشأ حزب يعبّر عن الحركة الوطنية كاملةً، سيؤسّس لروافد جديدة نجحت بالفعل في تقليص الأسرلة في مساحات عدّة ثقافية وفنية واجتماعية وتربوية، واستطاعت إعادة الزخْم إلى الهوية الفلسطينية منذ أواخر التسعينيات. على أن الصيغة الجديدة هذه لم تستطع، هي الأخرى، معالجة القضايا البنيوية لدى المجتمع الفلسطيني، حتى مع وصولها إلى مداها الأبعد، بحصول «القائمة المشتركة» على 15 مقعداً. باختصار، لا تحقّق معادلة التوازن مكتسبات مادّية، اقتصادية واجتماعية وسياسية، للفلسطينيين، بل تُحافظ على علاقات قوّة تضمن للدولة اليهودية السياسي، بل أن تنحصر بالممارسة الهويّاتية الثقافية في القرية و/ أو المدينة العربية، مع ما يعنيه ذلك من أخْذ دور في قمع الشعب الفلسطيني، وتثبيت البنى الاستعمارية، كما في حالة اقتحامات المسجد الأقصى وتحريش النقب في الأشهر الأخيرة.

في المقابل، مثّلت الهبّة انفجاراً لمعادلة التوازن عبر مسار أكثر جذرية ووطنية إزاء جميع الخطابات السياسية، وعلى رأسها خطاب «القائمة العربية الموحّدة»، بدأنا نرى مقدّمات الهَبّة منذ كانون الثاني، على أساس الموضوع الأكثر راهنيّة وإلحاحاً، وهو الجريمة المنظّمة وقتل الفلسطينيين على أيدي مجموعات إجرامية (تغذّيها الأجهزة العسكرية الإسرائيلية). لذا، رأينا نضالاً واسعاً انخرط فيه مجتمع كامل من الشمال حتى الجنوب، بخطاب موحّد وطني وجذري، بادر إلى خلق البديل بعيداً عن القيادة الحزبية ومعادلة التوازن، وأيضاً اشتبك بعنف مع الخطاب الاندماجي الفجّ لمنصور عبّاس. إذاً، ومع اشتداد حدّة الأزمة، وفقدان إمكانية التأثير وفقاً للمعادلة التقليدية، بدأت تتّضح أمامنا الخيارات، ومن دون أوهام في إمكانية التغيير عبر «اللعب على الحبلين»: اختار منصور عبّاس مساراً إسرائيلياً، وعلينا إيجاد الطريق المُقابلة، أي الخيار الوطني والكفاح الشعبي.

تمهيد لمشروع الاشتباك

«هناك تطورات وأعمال شغب في المدن المختلطة، هذا أمر غير مقبول ولا يُحتمل. هذا يذكّرنا بأحداث كانت في الماضي مع شعبنا، لا نستطيع قبول ذلك في هذه الدولة».

بالطبع، الشريحة الأوسع في المجتمع العربي الفلسطيني، الواقعة تحت المواطنة الكولونيالية، هي غير المشاركة في انتخابات «الكنيست» لأسباب عدّة، وهي لا يمكن تأطيرها في معادلة التوازن. وطبعاً، لا ننسى الفئة الشابّة، فهي لا تكترث بمعادلات القيادة وأوهامها، وما تنتظره هو حلّ القضايا الرئيسة بالنسبة إليها، من عمل ومسكن وأرض ومدرسة. «أعمال الشغب» وما تلاها استطاعت أن تخلق نواةَ مسار بديل للمجتمع الفلسطيني المحتلّ تجسّدت إمكاناتها في جانبَين: الأوّل، هو المُشاركة الواسعة بعدما مضى وقت طويل منذ أن انخرطت فئات مسحوقة، هي أقرب إلى أحزمة الفقر، في الفعل السياسي الاحتجاجي والمُشتبك مع الأجهزة العسكرية. لقد باغتت هذه الكثافة والقوّة قوّات الاحتلال في العديد من المناطق والبلدات، حتى في تلك التي تُعتبر هادئة مثل كفرقرع وكفرمندا وكابول وباقة الغربية وكفرياسيف وعيلبون والطيبة وغيرها. عُنصر المفاجأة هنا ساهم بشكل كبير في بلبلة جنود الاحتلال، وخصوصاً في اليومَين الأول والثاني؛ إذ إنني أتذكّر هشاشة حضورهم إزاء الوجود الشبابي الفلسطيني أمام مقرّات الشرطة ومفارق رئيسة في البلدات والمدن. لقد كان المشهد بأكمله معبّراً عن تراكم محطّات عينيّة، منذ بداية العام في أم الفحم والاحتجاج ضدّ الشرطة من أجل قضية «الجريمة المنظّمة وانتشار القتل والعنف»، ثمّ الشيخ الجرّاح باعتباره من الأحياء العربية الأخيرة التي تحضَن الوجود العربي إلى جانب البلدة القديمة والمسجد الأقصى، ثمّ باب العمود، والاعتداء على المسجد الأقصى، وما أعقب ذلك من اندلاع معركة «سيف القدس» والعدوان على قطاع غزة. لم يدرك المستعمِر، مع كلّ أجهزته العسكرية والاستخبارية، الربط بين جميع المحطّات، وأثره على الجموع الفلسطينية عامّة، وتداخل القضايا جميعها. وعلى هذا الأساس، وجدناهُ في موقع المرتبك، ومَن فقدَ السيطرة حرفياً، وهو ما تجلّى بوضوح في المدن الساحلية والمختلطة، وخصوصاً في عكّا واللدّ، حيث ظهر ضعف السيادة وأدواتها في السيطرة على الفلسطينيين غير المسلّحين، واستطاع الشباب إهانة جميع رموزها وأدواتها.

> مشروع الاشتباك هو الخيار الأكثر وطنية، بوصفه انتقالاً من مرحلة التوازن إلى مسار مغاير

أمّا الجانب الثاني، فهو عجلة الشباب ومبادرتهم إلى تنظيم أنفسهم على عدّة أصعدة، وهي: أوّلاً، الصعيد الحركي، حيث استطاعت مجموعات واسعة ومتفرّقة من الشبّان والشابّات تنظيم نفسها، في إطار أكثر من عشرة أجسام شبابية جديدة، دعمت استمرارية العمل الاحتجاجي بوسائل مختلفة، من ورشات وفعاليات أطفال ورسم جداريات وندوات وحواريات، جميعها ساهمت في جعل الهَبّة حالة اجتماعية وثقافية، وفي الوقت نفسه حالة سياسية. كما أنها شكّلت رافداً أساسياً لنشر مبادرات وحملات ومطالب وطنية عامة، بما أدّى مثلاً إلى إنجاح «إضراب الكرامة»، الذي لولا وجود هذه الأجسام، لكان من الصعب تعميمه، ثمّ جعله يوماً وطنياً تتفاعل فيه جميع شرائح البلدة، في التظاهر والنشاطات الوطنية.

كذلك، استطاعت مجموعة من الشباب الفلسطيني تأسيس جسم لتقديم الدعم النفسي للمعتقلين وأهاليهم، ما يساعد في تقوية الشعور والتماسك الجماعي عند الفلسطينيين، خصوصاً في ظلّ استهداف الأطفال والفتيان بشكل غير اعتياديّ في هذه الهَبّة؛ إذ إنهم شكّلوا غالبيّة المعتقلين (14-17)، واحتاجوا إلى علاج نفسي في ما بعْد، بناء ذواتهم الجماعية، وإعادة الاعتبار إلى معنى الفداء والتضحية في سبيل الجماعة، ولا سيما على إثر الهجوم على هذه المعاني من قِبَل عملاء الاحتلال وأصحاب الخيار الاندماجي، ثمّ بدأت تتشكّل لجان محامين للتطوّع دفاعاً عن المعتقلين، ثمّ تأسّست لجنة عامّة قطريّة للدفاع عن المعتقلين في المدن الأكثر تعرّضاً للاستهداف. وتبعَ ذلك بعد أشهر من الهَبّة، تأسيس «صندوق الكرامة» بهدف جمع تبرّعات لسدّ حاجات المحامين الذين كُلّفوا بملفّات كبيرة تحتاج إلى متابعات لأشهر طويلة، فضلاً عن حاجات أهالي المعتقلين، وخصوصاً مَن هم في عوز شديد.

خِتاماً، مشروع الاشتباك هو الخيار الأكثر وطنية، بوصفه انتقالاً من مرحلة التوازن إلى مسار مغاير، يتجاوز «المواطنة الكولونياليّة» التي لن تستطيع أن تصمد على أيّ حال.

البلاد | ملف | سيف القدس: «ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل»

«محور القدس»: بيئة استراتيجيّة أفضل... إرادة قتال أعلى

قاسم س. قاسم

في عام 2015، تلقّى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، رسالة تعزية من القائد العام لـ«كتائب القسام» محمد الضيف، بعد اغتيال العود مجموعة مقاومين في القنيطرة السورية. قال الضيف في رسالته: «ثابت لازماً على كل القوى المقاومة والحيّة في الأمّة أن تدير معركتها القادمة وأحدة، تتقاطع فيها النيران فوق الأرض المحتلة». حينذاك، ربما بدا هذا الكلام مجرد مشاعر عاطفية. في ذاك العام، كان المحيط الاستراتيجي لإسرائيل مريحاً: حزب الله منشغل في سوريا، الجيش السوري جرى تدمير قدراته، غزة معزولة وخارجة من عدوان 2014، الضفة هادئة نسبياً برغم من «هبة السكاكين» التي استطاع العدو والسلطة خفض وتيرتها، ما جعل كلام الضيف حينها كما لو أنه خارج الواقع. لكن منذ الكلام الصادر عمّن لديه علم وإدراك بالواقع الاستراتيجي المتغيّر لإسرائيل، «الرضوان»، «يقتربون من القدرات التي توجد لدينا. هم يعرفون العمل مع غطاء استخباري ومع النيران والوسائل القتالية الأخرى، مثلما فعلوا إلى جانب الروس والإيرانيين في القتال في سوريا».

أمّا في ساحة غزة، فالمقاومة في حالة تطور كبير. قدرات القوات الخاصة لفصائل المقاومة، خاصة القوى البحرية، تُرفق قادة جيش العدو، وهو ما دفع حكومة العدو إلى بناء عائق بحري وجدار حول القطاع خوفاً من هجوم المقاومين. إسرائيل التي ارتكبت المجازر في عام 1948 لتفريغ الأرض من الفلسطينيين لا تستطيع اليوم إخلاء عائلة واحدة في حي الشيخ جراح خوفاً من صواريخ المقاومة.

في المقابل، يعيش الجيش الإسرائيلي حالة تدهور وتراجع، ظهرت في انخفاض الدافعية في التجنيد في سلاح المشاة والمدرعات، إذ كشفت «القناة 12» أنه في آذار الماضي اضطر جيش العدو للتعامل مع مشكلة غير متوقّعة، حيث رفض حوالي 50 مجنداً الخدمة كمقاتلين في سلاح المدرعات، ما أجبر الجيش في قاعدة

> **تدهور الواقع الإسرائيلي ليس منحصراً بالجيش، أداة العدو الضاربة، فالمجتمع أيضاً تغيّر**

الفرز والاستيعاب على اتخاذ سلسلة من الخطوات لإقناعهم، فاستدعي ضباط من سلاح المدرعات لإجراء محادثات تحفيزية مع الرافضين. وقد أخذ 30 من الشبان الرافضين لمشاهدة تدريب للدبابات بالذخيرة الحية جنوب فلسطين المحتلة، حيث اقتنع بعضهم بالفعل، لكن عشرة منهم على الأقل أصروا على موقفهم فوضعوا رهن الاحتجاز في قاعدة الفرز والاستيعاب. انخفاض دافعية الخدمة في الألوية القتالية ليس محصوراً في سلاح المدرعات، ويصل إلى أكثر الألوية أهمية: لواء المشاة - العمود الفقري لأي جيش. فقد اعتبر مفوض شكاوى الجنود السابق إسحاق بريك، في مقال في «هآرتس»، أنه يجب إخراج سلاح المشاة «من انحطاطه: ترتيب القوات والميزانية والقوة البشرية التابعة لسلاح المشاة تم تقليصها في السنوات الأخيرة إلى تحت الخط الأحمر»، مشيراً إلى أن الجيش، وعلى عكس ما يدّعيه، «لا يمكنه الرد في حرب متعددة الجبهات. أي خمس جبهات في الوقت ذاته: لبنان وسوريا وغزة واشتعال في يهودا والسامرة (الضفة) لعشرات آلاف الأشخاص من التنظيمات المسلحة وفوضى يقوم بها آلاف المشاغبين العرب والبدو داخل إسرائيل الذين لديهم سلاح وذخيرة». ووصف قوات الاحتياط بأنها «غير مؤهّلة للحرب ووصلت إلى الحضيض»، مؤكداً أن الجيش يمكنه «التعامل بصعوبة مع جبهة ونصف جبهة وليس مع خمس جبهات مثلما ستكون الحال في الحرب القادمة». انخفاض الحافزية لدى جيش العدو طاول ضباطه، الذين أكد بريك أن السنوات الأخيرة شهدت هروب بعضهم ومنهم ضباط «جيدون برتبة رائد، إلى الخارج، لأنهم لا يريدون الخدمة في جيش متوسط الحجم لا يحترم قدراتهم، ولا يعطيهم حقهم»، إذ يفضل هؤلاء العمل كمستشارين في شركات تعطيهم معاشات ومميزات تفوق التي يقدمها لهم العدو.

الجدير ذكره أن شخصية وعقلية ونفسية ونوعية الضباط الموجودة حالياً تختلف عن تلك التي كانت موجودة خلال النكبة. الخبرة التي استحصل عليها هؤلاء بقتالهم مع الإنكليز خلال الحربين العالميتين، الأولى والثانية، جعلتهم أفضل من الضباط الإسرائيليين الموجودين في الجيش الإسرائيلي حالياً، إذ قد يقضي أحدهم طوال فترة خدمته على جبهة هادئة لا تتحرّك ويكون همّه محصوراً بالحياة والعمل بعد تقاعده.

وتدهور الواقع الإسرائيلي ليس منحصراً بالجيش، أداة العدو الضاربة، فالمجتمع أيضاً تغيّر، وما كان موجوداً عام 1948 وما قبله انتهى؛ لا استعداد للتضحية ولدفع الثمن الذي دفعه الأسلاف عند تأسيس الكيان. هذا ما انعكس على أداء الجيش الذي يخشى من شن أي حملة برية خوفاً من رد فعل أهل القتلى. كما أن حالة الرفاهية التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي ستنعكس سلباً عليه في أي حرب مقبلة، ما يحتم على هؤلاء تغيير نمط حياتهم المترف. لهذا الغرض كرّر قادة الجيش أنه في أي حرب مقبلة مع أي جبهة لن يستمر سكان تل أبيب في احتساء القهوة في المقاهي وعليهم الهروب إلى الملاجئ؛ وهو ما أثبتته حرب العام الماضي.

والیوم، الوعي لدى الإسرائيليّين لم يعد مثلما كان في عام 1948؛ لم يعد هناك أشخاص مثل الآباء المؤسسين للكيان أغلبهم ناجون من المحرقة النازية أو آباؤهم ناجون منها. فهم عندما قاتلوا في ذلك العام كانوا يقاتلون لتاسيس حلمهم وملجئهم. و«التعاطف الدولي» الذي كان موجوداً تجاههم حينذاك لم يعد موجوداً يومنا هذا، وهو ما تحاول الخارجية الإسرائيلية التصدي له، خاصة مع بروز جيل في الجامعات الأميركية لا يبتلع الرواية الإسرائيلية كما هي.

وعلى رغم المسار الانحداري لواقع الكيان، فإنه في بعض المحطات يجد من يحاول انتشاله، مثل الدول العربية المطبّعة. لكن، في المقابل، هناك محور تشكّل العام الماضي خلال معركة «سيف القدس»، يمتدّ من طهران إلى غزة. محور شاركت غالبية قوى المقاومة الموجودة في مختلف ساحاته، كلٌّ بطريقتها، في المعركة: مُسيَّرات من سوريا والعراق، إطلاق صواريخ من لبنان، وتواصل حركة «أنصار الله» اليمنية مع المقاومة في غزة بهدف التعاون لقصف جنوب فلسطين المحتلة. محور أكد في عام 2021 ما جاء في رسالة الضيف عام 2015: في أي حرب كبرى سه «تتقاطع النيران فوق الأرض المحتلة».

(أ ف ب)

تشكّله هذه القوات، خاصة بعد الخبرات التي استحصلت عليها من المعارك الحية التي خاضتها في سوريا، وبذلك أصبح لدى حزب الله جيل مقاتل خاض حرباً حقيقية، تعلّم إدارة سلاح المدفعية والطيران ميدانياً، على عكس جنود جيش العدو الذين لم يعيشوا منذ عام 2006 أي حرب فعلية. هذا الواقع الجديد عبّر عنه قائد فرقة 91، «فرقة الجليل»، العميد شلومي بندير، في مقابلة مع صحيفة «هآرتس»، حيث اعتبر أنه أصبح لقوة «الرضوان» أدوات «لم تكن لديها في عام 2006، على رأسها برنامج وقدرة هجومية في أراضينا. لقد زادت منظومة النيران الموجّهة إلى جبهتنا الداخلية وحسّنت قدراتها الدفاعية أمام عملية برية إسرائيلية»، مكرراً وصف رئيس الأركان أفيف كوخافي بأن حزب الله أصبح «جيش إرهاب، وإحدى الدلائل الواضحة على الانتقال من عصابات إلى جيش هي تطوير تشكيلات هجومية واسعة». واقرّ بأن عناصر «الرضوان»، «يقتربون من القدرات التي توجد لدينا. هم يعرفون العمل مع غطاء استخباري ومع النيران والوسائل القتالية الأخرى، مثلما فعلوا إلى جانب الروس والإيرانيين في القتال في سوريا».

أمّا في ساحة غزة، فالمقاومة في حالة تطور كبير. قدرات القوات الخاصة لفصائل المقاومة، خاصة القوى البحرية، تُرفق قادة جيش العدو، وهو ما دفع حكومة العدو إلى بناء عائق بحري وجدار حول القطاع خوفاً من هجوم المقاومين. إسرائيل التي ارتكبت المجازر في عام 1948 لتفريغ الأرض من الفلسطينيين لا تستطيع اليوم إخلاء عائلة واحدة في حي الشيخ جراح خوفاً من صواريخ المقاومة.

في المقابل، يعيش الجيش الإسرائيلي حالة تدهور وتراجع، ظهرت في انخفاض الدافعية في التجنيد في سلاح المشاة والمدرعات، إذ كشفت «القناة 12» أنه في آذار الماضي اضطر جيش العدو للتعامل مع مشكلة غير متوقّعة، حيث رفض حوالي 50 مجنداً الخدمة كمقاتلين في سلاح المدرعات، ما أجبر الجيش في قاعدة

> **تدهور الواقع الإسرائيلي ليس منحصراً بالجيش، أداة العدو الضاربة، فالمجتمع أيضاً تغيّر**

الفرز والاستيعاب على اتخاذ سلسلة من الخطوات لإقناعهم، فاستدعي ضباط من سلاح المدرعات لإجراء محادثات تحفيزية مع الرافضين. وقد أخذ 30 من الشبان الرافضين لمشاهدة تدريب للدبابات بالذخيرة الحية جنوب فلسطين المحتلة، حيث اقتنع بعضهم بالفعل، لكن عشرة منهم على الأقل أصروا على موقفهم فوضعوا رهن الاحتجاز في قاعدة الفرز والاستيعاب. انخفاض دافعية الخدمة في الألوية القتالية ليس محصوراً في سلاح المدرعات، ويصل إلى أكثر الألوية أهمية: لواء المشاة - العمود الفقري لأي جيش. فقد اعتبر مفوض شكاوى الجنود السابق إسحاق بريك، في مقال في «هآرتس»، أنه يجب إخراج سلاح المشاة «من انحطاطه: ترتيب القوات والميزانية والقوة البشرية التابعة لسلاح المشاة تم تقليصها في السنوات الأخيرة إلى تحت الخط الأحمر»، مشيراً إلى أن الجيش، وعلى عكس ما يدّعيه، «لا يمكنه الرد في حرب متعددة الجبهات. أي خمس جبهات في الوقت ذاته: لبنان وسوريا وغزة واشتعال في يهودا والسامرة (الضفة) لعشرات آلاف الأشخاص من التنظيمات المسلحة وفوضى يقوم بها آلاف المشاغبين العرب والبدو داخل إسرائيل الذين لديهم سلاح وذخيرة». ووصف قوات الاحتياط بأنها «غير مؤهّلة للحرب ووصلت إلى الحضيض»، مؤكداً أن الجيش يمكنه «التعامل بصعوبة مع جبهة ونصف جبهة وليس مع خمس جبهات مثلما ستكون الحال في الحرب القادمة». انخفاض الحافزية لدى جيش العدو طاول ضباطه، الذين أكد بريك أن السنوات الأخيرة شهدت هروب بعضهم ومنهم ضباط «جيدون برتبة رائد، إلى الخارج، لأنهم لا يريدون الخدمة في جيش متوسط الحجم لا يحترم قدراتهم، ولا يعطيهم حقهم»، إذ يفضل هؤلاء العمل كمستشارين في شركات تعطيهم معاشات ومميزات تفوق التي يقدمها لهم العدو.

الجدير ذكره أن شخصية وعقلية ونفسية ونوعية الضباط الموجودة حالياً تختلف عن تلك التي كانت موجودة خلال النكبة. الخبرة التي استحصل عليها هؤلاء بقتالهم مع الإنكليز خلال الحربين العالميتين، الأولى والثانية، جعلتهم أفضل من الضباط الإسرائيليين الموجودين في الجيش الإسرائيلي حالياً، إذ قد يقضي أحدهم طوال فترة خدمته على جبهة هادئة لا تتحرّك ويكون همّه محصوراً بالحياة والعمل بعد تقاعده.

وتدهور الواقع الإسرائيلي ليس منحصراً بالجيش، أداة العدو الضاربة، فالمجتمع أيضاً تغيّر، وما كان موجوداً عام 1948 وما قبله انتهى؛ لا استعداد للتضحية ولدفع الثمن الذي دفعه الأسلاف عند تأسيس الكيان. هذا ما انعكس على أداء الجيش الذي يخشى من شن أي حملة برية خوفاً من رد فعل أهل القتلى. كما أن حالة الرفاهية التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي ستنعكس سلباً عليه في أي حرب مقبلة، ما يحتم على هؤلاء تغيير نمط حياتهم المترف. لهذا الغرض كرّر قادة الجيش أنه في أي حرب مقبلة مع أي جبهة لن يستمر سكان تل أبيب في احتساء القهوة في المقاهي وعليهم الهروب إلى الملاجئ؛ وهو ما أثبتته حرب العام الماضي.

والیوم، الوعي لدى الإسرائيليّين لم يعد مثلما كان في عام 1948؛ لم يعد هناك أشخاص مثل الآباء المؤسسين للكيان أغلبهم ناجون من المحرقة النازية أو آباؤهم ناجون منها. فهم عندما قاتلوا في ذلك العام كانوا يقاتلون لتاسيس حلمهم وملجئهم. و«التعاطف الدولي» الذي كان موجوداً تجاههم حينذاك لم يعد موجوداً يومنا هذا، وهو ما تحاول الخارجية الإسرائيلية التصدي له، خاصة مع بروز جيل في الجامعات الأميركية لا يبتلع الرواية الإسرائيلية كما هي.

وعلى رغم المسار الانحداري لواقع الكيان، فإنه في بعض المحطات يجد من يحاول انتشاله، مثل الدول العربية المطبّعة. لكن، في المقابل، هناك محور تشكّل العام الماضي خلال معركة «سيف القدس»، يمتدّ من طهران إلى غزة. محور شاركت غالبية قوى المقاومة الموجودة في مختلف ساحاته، كلٌّ بطريقتها، في المعركة: مُسيَّرات من سوريا والعراق، إطلاق صواريخ من لبنان، وتواصل حركة «أنصار الله» اليمنية مع المقاومة في غزة بهدف التعاون لقصف جنوب فلسطين المحتلة. محور أكد في عام 2021 ما جاء في رسالة الضيف عام 2015: في أي حرب كبرى سه «تتقاطع النيران فوق الأرض المحتلة».

جدليّة الزمن

موسى السادة

«هي معركة رفع المستوى النفسي للإنسان العربي إلى مستواه الحقيقي: أي الحضاري»
(غسان كنفاني)

تحرير الزمن

يجادل المفكر المصري أنور عبد الملك أنه وفي ظل الهيمنة الحضارية للغرب، فإنه لا سبيل لتحقيق نموذج آخر له صفاته الوطنية والحضارية من دون الركون إلى ما سمّاه «حقل الخصوصيات». أي ولتتخلص الأمم من هامشيتها وتحدث ثورة اجتماعية واقتصادية فإن عليها الحفاظ على هويتها الحضارية والثقافية الخاصة. وهو هنا أبعد ما يكون عن الحض على الجمود والخصوصية الثقافية وبأن لكل أمة ثقافة واحدة صلبة ذات جوهر لا يتغير. بل وعلى العكس فهو يحض بتعبيره: على أنه وإذا أردت تحقيق ذاتك وتجنب طريق الغرب والتخلص من التهميش فإن الطريق الوحيد هو إحداث تحويل في مجتمعك الوطني، وهو ما يستدعي البحث عن بدائل مستمدة من مشروع وتصور حضاري واستراتيجية مرافقة له.

يولي عبد الملك هنا أهمية لما سمّاه «جدلية الزمن»، أي تلك العلاقة الجدلية على مدى الخط الزمني بين الشعوب وعمقها التاريخي ومع عملية بقائها واستمراريتها الاجتماعية عبر التاريخ، بالذات مسالة الهوية والحفاظ عليها وتطويرها. وذلك ضمن عواملها الخاصة الكامنة (علاقتها بالجغرافيا والسياسة والاقتصاد والأديان) والتي تقف خلف وجود هذه الهوية وعدم انقراضها. فالزمن هنا بتعبيره «نهر لا ينتهي»، فهو يحمل كل مضمون تاريخنا وتطورنا، وعليه يستلزم هذا الوجود التمايز الضروري عن بقية الحضارات حتى نستطيع أن نخاطب أنفسنا بلغتنا وأدواتها الثقافية ونطور مشاريعنا الحضارية الخاصة بالتعاون الهادف مع الشعوب والحضارات الأخرى. بيد أن النقطة هنا أنه لجدلية الزمن بُعد سلبي وهو العلاقة مع الهيمنة المطلقة للغرب على زمان كل الشعوب، ولذلك يخبرنا عبد الملك أنه علينا ممارسة لعبة الزمن، أي «تحرير الزمن».

«سيف القدس»

لا تمثل معركة «سيف القدس» لحظة فارقة بالمنظور العسكري والمقاوم لصراعنا مع العدو على أرض فلسطين فحسب، بل إن فيها ما يؤهلها مضموناً وعنواناً لتكون لحظة استعادة وجود حضاري عربي بامتياز. فنحن بكل أنفة وكبرياء من بدأها، ولأجل ماذا؟ لأجل القدس. وبعيداً من ابتذال الحساسية والهوس المنطلق من قصر وضيق نظر من الربط الديني بالقدس، فكما كل الحضارات لنا ارتباطنا الوجداني والروحي والمعنوي ببقع جغرافية من وطننا لخصوصياتها التاريخية وإرثها الديني، بل إن جزءاً أساساً من تعريفنا كحضارة وجود هكذا جغرافيا. فمن منا مهما كان إيمانه العقدي والفلسفي لا يسحره النظر لمشاهدها، أو أنه يتخيل أن ليس للحضور فيها وأزقتها طاقة مختلفة، ولذلك نرى أننا نكيّف أدواتنا الثقافية حولها، نرسمها، نعلقها على الجدران، وننسج أبياتاً شعرية حولها ونغني أنها في البال وأن لها «سيف فليشهر»، بل ونشهره على أرض المعركة.

فلسيف هنا عند العرب رمزية ثقافية حملها لنا نهر الزمن، بتعبير عبد الملك، وجدلية استعادته واستحضاره هو جزء من عنفواننا الحضاري، وعلاقتنا مع خصوصيتنا وتمايزنا ومضيّنا قدماً. حيث أن عملية «تحرير الزمن» تقدّمية بالتعريف، فهي تقتضي تحرّك التاريخ، تفاعله مع ماضيه بإيجابية. فما هو العنفوان الحضاري إن لم يكن بوأقع أن للقدس سراياً، وأن نجسّر الزمن عبر شيخ قدم من سوريا في الثلاثينيات من القرن الماضي يتحول لكتائب توحد فلسطين في الجغرافيا والرد، ولنخاطب ذواتنا كعرب كأنه لا يزال بيننا بأن نقول مثلاً أن «القسام قصف تل أبيب».

«المسيرة الكبرى» والخصوصية الفلسطينية

تقاطع كل من كنفاني وعبد الملك بالاستدلال بـ«المسيرة الكبرى» خلال الثورة الصينية. ففي معرض تعليقه على تبعات معركة الكرامة، يشير الشهيد إلى أنه وبمنظور عام، تعيش كل الثورات لحظات ترتفع فيها الحماسة والعنفوان، بيد أن المسألة المحورية أنه وبعد كل حماسة يمسي هنالك ميول خطير للخمول وأسطرة الثورة. وعليه، قام باستعادة نموذج المسيرة الكبرى لماو، محرضاً على استمرار العمل والزخم الثوري رغم كل الصعوبات، وهو ما يجب الحرص عليه اليوم بعد «سيف القدس»، وهو ما قام به الشعب الفلسطيني خلال العام المنصرم بكل جدارة.

من جهته، يستعيد عبد الملك «المسيرة» كنموذج لحدث تاريخي ثوري استراتيجي، أسهم في تركيز ثورية الهوية الوطنية بما يشمل أوسع إجماع ممكن من المواطنين، حيث يجادل المفكر المصري أن اعتبار عملية توحيد القوى السياسية الوطنية كمعضلة، هو اعتبار إشكالي. لأنه وفي حالة التحولات الكبرى في المجتمعات واسعة النطاق كوطننا العربي (أو الشعب الصيني) فإنه لا سبيل سوى حشد أوسع إجماع شعبي، أي أولئك المؤمنين بمشروع التحرير والمقاومة. وهو هنا يرسم علاقة بين الهوية الوطنية والعمليات الثورية، حيث أنه عبر عملية تكثيف خطاب وطني متأصل بالسياقات التاريخية وخصوصيتها -كرمزية مسمى أبو عبيدة- سوف يكون ثقة ورابطة شعبية أكبر بين الهوية والمقاومة، ليشكل ذلك ما أطلق عليه «الجبهة الوطنية المتحدة» أو ما نطلق عليه اليوم «محور القدس».

يبرز عبد الملك هنا دوراً مخصوصاً للفلسطينيين، متحدثاً عن دور منوط بالشعب الذي يتعرض للهيمنة والعدوان الباشر، بأن عليه أن يشكل ما أطلق عليه بتعبيره: «حلقة الوصل» الخلاقة لتجميع شتات جميع المجتمعات المتفرقة من كتل إقليمية وجيوثقافية ضمن القالب الحضاري الأوسع عربياً وإسلامياً. أي أن يحرص الفلسطينيون، قادة وشعباً، على لعب دور ترصيص صفوف الشعب العربي بعد عقود من الانقسامات الأهلية وحروب التدمير الذاتي داخلياً وذلك عبر لملمة الجراح.

بدوره يبرز هنا دورنا نحن كعرب، ومسؤوليتنا العروبية في صون الهوية الفلسطينية وكل ما يمسها، وذلك ليس ضمن إطار التقسيم بل من منطلق فهم هذه الخصوصية، وبأنها تلعب دور المخلب في وجه المشروع الصهيوني، ومن منطلق استعادة وفهم ما قاله أبو عبيدة عن شعبه الفلسطيني في مثل هذا اليوم قبل عام: «خضنا في المقاومة معركة سيف القدس دفاعاً عن القدس بكل شرف وإرادة واقتدار، نيابة عن أمة بأكملها، خضنا معركة نيابة عن أمة تشاهد القدس تذل من شذاذ الآفاق وحثالة البشرية».

بريد حنظلة

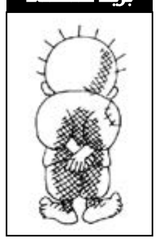

زيجة حرب

طه يونس

ثمّة حشرجة في حلقه. حاول السعال كي ينظّف مجرى تنفسه. تنحنح. يبدو أنه أفرط بالتدخين. علبة كاملة في ليلة واحدة. فكر لو أن عبير دخلت عليه في لحظته تلك، كيف يقف أمامها؟ لن يعمل معجون الأسنان مع كل هذه السجائر. لا بد ستتحاشى ذلك، وتقول، كعادتها، أنت تعتدي على جسدك... وينشب المشكل. قرّر أن يستقبل صباحه عند بحيرة هايد بارك وسط المدينة. غسل وجهه. نظر إلى نفسه في المرآة. لقد أصبح ممتلئ البطن كما لم يكن من قبل، شعره كثيف، يغزوه بعض البياض في خصلاته الأمامية. حاول أن يقنع نفسه أنه لم يتغيّر من الداخل. عاداته على حالها، لا. يحب مخالطة البشر كثيراً، يفضل الماء على اليابسة، فهو ابن بحر غزة، ضوء بيته دائماً خافت شحيح، وربما هذه الأخيرة أيضاً اعتاد عليها في سنوات حصار غزة. سمع صوت محرّك الحافلة يقترب من منزله. ترك أفكاره معلقة في الهواء. أنهى مقابلته الصباحية مع المرآة ثم أسرع باتجاهه. وقف عند البحيرة، يشرب كوباً من القهوة السوداء. داعبت مخيلته فكرة العودة إلى غزة لأيام والزواج من عبير. على الفور، أرسل طلب إجازة زواج إلى رئيس تحرير الجريدة. لم يخبر أحداً من عائلته بشيء. حدد موعد السفر بعد أسبوع. معبر رفح بوابة غزة الوحيدة إلى العالم في أحسن أحوالها هذه الأيام. لذا يستطيع أن يسافر. فكر في يوم سفره، السادس من أيار، ستة أيام فقط سيكون في مصر. سيحتاج يوماً هناك حتى يصل إلى معبر رفح ويقطعه نحو مدينته.

توجه إلى شارع أكسفورد، تنقل بين محاله التجارية الفاخرة، حاول أن يختار ألوان ثيابه بتناسق، دقق في القمصان المعروضة، جرّب أن يقرأ علامتها التجارية. لم يعرفها لكنها بدت مميزة. دخل غرفة الملابس، ارتدى ما حمله من صالة العرض. تأمل نفسه في المرآة. الكرش هو المعضلة التي لم يستطع حلّها بعد. لم يبق من الوقت الكثير. جاءه صوت أمه: لا يصلح الكحلي على الأسود، تقول. من أخبرها أنه سيختار هذه الألوان، ما هذه البلاهة التي تسيطر على ذوقه. أعاد ما اختاره إلى مكانه على الرفوف، شعر بالإحباط، ثم انطلق إلى محل آخر، ليجرب حظه مع الألوان. لقد أمضى أسبوعه الأخير في لندن على هذه الحال.

كوكب غزة

ها هو يعبر بوابة معبر رفح، الحد الفاصل بين كوكبين: كوكب الأرض وكوكب غزة المحاصرة، قطاع منسي يعيش في حضن البحر والصحراء معاً. فلا يطال خير هنا ولا ذاك. قلب أمه كاد أن ينخلع من شدة الفرح لما دخل عليها فجأة. لقد كبرت قليلاً، لكن همتها لم تخبُ وعزمها لم يخر. احتضنته كما لو كان قد غاب عنها دهراً وليس سنة واحدة. بكت وزغردت حتى تجمعت حارة الرمال كلها في بيتهم، أبوه بدا وكأنه كان يكبر في كل يوم شهراً، أحزنه أن يجده متثاقلاً في مشيته. أمّا المدينة فعلى حالها، أسواقها، ناسها، رائحة البحر التي تسكن بيوتها، سخونة صيفها، وظلام ليلها الحالك.

صباحاً، استيقظ على رائحة الخبز. ما زالت أمه تصنع خبزها بيدها، تصحو فجراً، تحضر الطحين، تضيف عليه حليباً فاتراً وقليلاً من الملح والسكر، تدعك الخلطة في بطن يديها، تنتظر العجينة حتى تتكور وتكبر، ثم تقطعها وتدورها، تمدها أمامها، وتبدأ بخبزها. يا لروعة هذا الصباح - قال وهو يأكل من خبزها الساخن.

زواج ومدافع

أخيراً، خلا بوالده في يومه الثاني من الزيارة. سألم موضوع الزواج خلال أسبوع. قال. ابتسم أبوه ثم أجاب باقتضاب، على بركة الله. حجز في نفس اليوم غرفة في فندق المشتل، اختار جهة البحر، قال، وهو يفحص الغرفة مع عامل الفندق، لا بد أن عبير «ستجن» بهذا الخيار. الطابق الثامن، نتخلص من ضجيج المدينة، نرى البحر واضحاً أمامنا، ونسبح وحدنا في الحب.

التاسع من أيار. أمه تشتري حاجيات يوم العرس، عبير تجهز لحفلة الحنة، وهو يتابع عن كثب الأخبار الآتية من القدس المحتلة. أحزنه أن يوم زفافه سيكون في يوم مسيرة الأعلام الإسرائيلية، لكن لا وقت لديه، العجلة أفضل قبل أن تنتهي إجازته ويغادر غزة.

صبيحة العاشر من أيار كانت زفة أصدقائه على بوابة بيتهم، طبل وغناء وفرح. غزة تلتقط أنفاسها وتنظر إلى ابنه، من حقنا أن نفرح، والأوضاع لم تكن جيدة منذ سنين. قال، لكن مع إلحاح أحمد اختصروا مراسم الفرح على زفة العريس.

السادسة بتوقيت القدس. أحمد وعبير في طريقهما إلى الفندق. الاحتلال يوغل باعتدائه على المقدسيين، والمقاومة تنفذ وعدها وتطلق رشقتها الأولى باتجاه المدينة المقدسة. حاول أن يخفي الأخبار عن عبير، لكنها كانت أكبر من أن تحتجب. والده قال إنه تصعيد عادي ينتهي بعد ساعات.

أخيراً أصبحا تحت سقف واحد، صحيح أن الأمور لم تكن كما أراد لها أن تكون لكن ذلك لا يهم الآن. ها هو مع فتاته التي طالما حلم بها، وجهاً لوجه في غرفة واحدة، اقترب منها، أمسك يدها، بدت ملامح الخوف والارتباك واضحة على وجهها، وضع يده على شعرها، نظر في عينيها طويلاً، تبارك الله، قال، فرسمت ملامحها ابتسامة لطيفة، حاولت أن تتحاشى النظر المباشر إلى عينيه، بدا لهما أن موسيقى جميلة تسري في المكان، لم يكمل كلمة أحبك، دوى صوت انفجار قوي، ارتعبت، أجهشت في بكائها، التصقت به، وكان ذاك أول عناق لهما.

حاول لساعات أن يهدئ من روعها، قص عليها بعضاً من أحلامه التي بدت بعيدة رغم قربها، أخبرها عن الأمان الذي ينتظرهما في لندن، المنازل الجميلة، المساحات الخضراء، الملاعب والأطفال، الحياة خارج الحرب. ضحكت أخيراً، «نام الآن وادعوا ربك أن ننجو من الموت أولاً»، قالت.

أدرك أحمد أنه خسر رهانه أمام آلة الحرب، غط في نومه، بقيت وحدها تحاول أن تتخلص من هذا الليل ما استطاعت، أعدت لنفسها كوباً من الشاي، أغلقت الستائر، كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجراً، حاولت كثيراً أن تنام لكنها لم تستطع، كان قلبها ينخلع من مكانه مع كل انفجار يهز مدينة غزة فيما يكتفي أحمد بالتقلب في مكانه على الفراش، لم تكن تجربتها الأولى مع الحرب، لكنها بدت كذلك.

اتصلت بوالدتها، كانت مستيقظة هي الأخرى، اكملت عد الضربات، كانت تتنقل بين مجموعات «الواتساب»، تتفقد أماكن الغارات. الأخبار تفيد باستهداف متكرر لحي التفاح حيث تسكن صديقتها غادة، لو كانت ليلة غير هذه لكلمتها تطمئن على حالها، لكنه يوم مختلف، أو هكذا كان يجب أن يكون. لم تنم، ولم توقظ أحمد من نومه، فضلت أن تقضي الليلة على كرسي خشبي وضع بجانب مكتب صغير بزاوية الغرفة. الغرفة التي لم تلتفت إلى فخامة تفاصيلها. الحرب أخمدت رغباتها في الرفاهية، وأبقت على أمل وحيد لديها: أن تنجو من هذه الليلة حية.

الخامسة صباحاً، البوارج الإسرائيلية تستهدف ساحل قطاع غزة، أصوات قوية هزت المكان، استيقظ أحمد، عانقته، بكت، غرزت أظافرها في ظهره، توجع من دون أن يظهر لها ذلك. قالت لا أريد هذا الفندق أعدني إلى بيت أهلي. أخبرها بأن الفندق غير مهدد بالقصف، بصوت مرتفع أجابت، إننا نشاهد الحرب من الأعلى، نحن في المنتصف، الصواريخ من هنا إلى هناك، وأشارت إلى يسار النافذة. الغارات في كل مكان. أريد أن أعود، هذا أهون عليّ من أن أرى كل ذلك، على الأقل نموت مع أهلنا يا أحمد.

أعادها إلى بيت أهلها، وعاد هو لينام مع أخيه في غرفة مشتركة. فجر اليوم الثاني وصلته رسالة على هاتفه تفيد بورود اسمه وعبير على المعبر في كشوفات المسافرين! عليه أن يكون عند معبر رفح بعد خمس ساعات فقط. حقيبة سفره جاهزة، أسرع إلى عبير «معك ساعتين ودعي أهلك لتخرج».

> **بدا لهما أن موسيقى جميلة تسري في المكان، لم يكمل كلمة أحبك، دوى صوت انفجار قوي**

لندن ثانية

ليس عصر السرعة الذي فعل بهم ذلك، إنها غزة وعصرها. رحلة طويلة استمرت يومين من غزة إلى لندن، نصفها في الانتظار على المعبر وفي الطريق إلى مطار القاهرة.

عبير تجلس الآن في لندن، تشرب قهوتها الصباحية مع أحمد بهدوء، أسعدتها السناجب في حدائق لندن أكثر من العصافير، تمضي ساعات من يومها في محاولة تصويرها والاقتراب منها وإطعامها. توثق على هاتفها كل شيء، الباصات الحمراء، القطارات التي لا تخلف مواعيدها، الزهور الغريبة، الشتاء في حزيران وتموز، ووجوه أناس لم يروا حروباً في حياتهم. إلا أنها تشتاق إلى غزة، وتأمل في زيارة قريبة لأهلها، تطفئ نور بيتها كلما انقطعت الكهرباء عن أصدقائها هناك. كثيراً ما تفرح عينها، وتدمع عينها الثانية في الوقت ذاته، فهي وأحمد يعيشان حياة منقسمة بين لندن والبلاد.

البلاد | ملف | سيف القدس: «ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل»

(أ ف ب)

أبناء الهَبّة
أيّها اليأس... لا مكان لك عندنا

بيروت حمود

طوال عقدَين من الزمن، حاولت سلطات العدو الإسرائيلي، في طريقها إلى ضرب المشروع السياسي الجماعي الذي مثّلته انتفاضة عام 2000 نواةً له، تثبيت استراتيجيتَين أساسيتَين في التعامل مع فلسطينيّي عام 1948: أولاهما تقوم على تجريم العمل السياسي وملاحقة القيادات السياسية التي حاولت تنظيم الفلسطينيين جماعياً، وثانيتهما دمج هؤلاء في السوق الإسرائيلية، في مسعى لتطويقهم واحتوائهم، أي صهرهم في بوتقة الأسرلة، باستخدام الأدوات الاقتصادية النيوليبرالية. وتوازت تلك المساعي مع أداء هشّ ومخزٍ للأحزاب السياسية التقليدية في الداخل كافّة، وخصوصاً خلال السنوات الثلاث الأخيرة، حيث تحوّلت إلى «قوّة ثالثة» أو «ثانية» تحاول إقناع نفسها بأنها باتت مؤثّرة في تشكيل المشهد السياسي الأعمّ في الكيان. وبينما كانت هذه الأحزاب، التي قاطعها أكثر من 50% من الفلسطينيين في انتخابات «الكنيست» الأخيرة، غارقة في أوهامها، كانت ظواهر الجريمة والعنف والبطالة، وأزمات السكن والتعليم وغيرها، تتعمّق في «الغيتوهات» العربية المتكتّلة، التي باتت كمخيّمات على هامش المدن الإسرائيلية الكبرى. في المقابل، اشتغل الشباب الفلسطينيون على تنظيم أنفسهم من جديد في حراكات وطنية شبابية، مستقلّة عن الأحزاب، وهو ما هيّأ الأرضيّة لانفجار هبّة أيار 2021، والتي مثّلت ذروة التصدّي لمخطّط تفكيك المشروع السياسي الجماعي الفلسطيني، الأمر الذي لم يكن له في إسرائيل إلّا وقْع الصدمة.

وإلى جانب الدور الأساسي الذي لعبته الحراكات الشبابية في الهبّة، كان للجان الشعبية المحلّية أيضاً دور مهمّ لم يُحكَ عنه كثيراً. فما هي هذه اللجان؟ وأيّ دور أدّت؟ وهل هناك ما يُنتظر منها مستقبلاً؟ في البدء كانت أم الفحم؛ فمن هناك انطلقت أوّل لجنة شعبية عام 2015، كما يقول رئيسها أحمد شريم (أبو يسار)، في حديثه إلى «الأخبار»، موضحاً أن فكرة تشكيلها «انطلقت ممّا فرضته القضايا الوطنية الراهنة، وفي مقدّمتها قضية هدم البيوت، ليمتدّ دورها لاحقاً إلى التلاحم مع الحدث الفلسطيني الأعمّ، وخصوصاً عندما أحرق المستوطنون عائلة الدوابشة في قرية دوما في نابلس، ثم مع تصاعد التضييق على الفلسطينيين، وهو ما تجلّى في فرض اللجنة إرادتها بتشييع الشهداء الثلاثة، محمد جبارين ومحمد جبارين ومحمد جبارين، عام 2017، بالآلاف، خلافاً لشروط الاحتلال». شكّلت هذه التجربة، طبقاً لأبي يسار، «حافزاً لبقيّة القرى والمدن الفلسطينية في الداخل لاستنساخها»، في ما أفضى إلى تشكّل «فروع» للجنة القُطريّة المعروفة باسم «اللجنة المتابعة».

أمّا عن دور اللجان في هبّة أيار، فيُبيّن أنها كانت «محرّكاً في التنظيم والحشد والتواجد في التظاهرات والمواجهات»، كما لعبت دوراً مهمّاً «على مستوى توفير الدعم القانوني والمالي للمعتقلين وأهاليهم، والتواجد في المحاكمات لمساندتهم، وخصوصاً في ظلّ فقداننا لمؤسّساتنا القوية، كنّا كبيرين. ولكن صريحين، وبعيداً عن الرومنسيات، لا نفس طويلاً لدينا. فالأمر مرهق ومكلف، ومن الصعب أن تبقى طوال الوقت في المواجهة، وتعمل على تجميع الأموال لتدفع أتعاب المحامين». ويضيف أنه منذ بداية نيسان الماضي، «حوّل الاحتلال يافا إلى ثكنة عسكرية، حيث انتشر مئات وربّما آلاف الجنود وعناصر الشرطة في المدينة، في حين أن كلّ من يفكّر في تنظيم تظاهرة أو الدعوة إليها تستدعيه مخابرات الاحتلال على الفور. وبرأيي، هذا ما جعل الناس يحجمون عن الخروج، وخصوصاً أبناء الطبقات المسحوقة الذين تُركوا يدفعون الثمن وحدهم».

أمّا في مدينة طمرة الواقعة في الجليل، فيؤكد رئيس اللجنة الشعبية هناك، محمد صبح، أن الهبّة كانت «شعبية بامتياز»، مشيراً إلى أن تداخل اللجان والحراكات الشبابية «ساهم في تنظيم الهبّة إلى حدّ معيّن وإطالتها». ويبيّن أن حضور أعضاء اللجنة الدائم شكّل «رافعة لاستمرار الحراك الشعبي من جهة، ودرع حماية للمشاركين من الشرطة التي شنّت حملات اعتقال واسعة ضدّهم من أجل ترهيبهم». وعن كيفية الاستعداد للتعامل مع أيّ حدث مشابه مستقبلاً، يلفت صبح إلى أنه «في طمرة وفي عدّة مناطق أخرى، قمنا بتشكيل مجموعة من المحامين والحقوقيين من أجل الدفاع عن المعتقلين بشكل تطوّعي، كما شكّلت لجنة قُطرية مركزية عامّة لمتابعة هذه القضايا، لكن كمية الاعتقالات كانت كبيرة، حيث اضطررنا إلى توسيع هذه اللجان التي عملت بشكل منظّم أكثر بعد الهبّة. هناك بالطبع استنتاجات واستخلاص عِبَر من هذه التجربة، ونحن اليوم أقوى وأكثر جهوزية لمواجهة حالات مشابهة مستقبلاً». ويضيف صبح أنه على الرغم من بقاء سبعة معتقلين من المدينة إلى الآن في السجون حيث يواجهون لوائح اتهام مضخمة، «كانت هناك مشاركة كبيرة من أهالي المدينة في الرباط في الأقصى أخيراً». وإذ يعتقد أن اعتقال أكثر من ثلاثة آلاف فلسطيني من الداخل «ردّع إلى حدّ ما بعض الشباب عن المشاركة في التظاهرات أو الاحتجاجات الأخيرة»، إلّا أنه يعتبر أن «هذا التأثير محدود وسرعان ما سيتلاشى، وهو ما ثبت أيضاً بعد الانتفاضة الثانية».

«اللدّ تلتقط أنفاسها»

«لا تزال هجمات المستوطنين ماثلة أمامنا. قنابل الغاز والهلع، برائحتها وأصواتها، تبدو وكأنها أُلقيت علينا للتوّ. نُذكّر اقتحام مئات من القوات الخاصة المدينة، واعتقال مئات الشبان. وبعد مرور عام على ما حصل، لا يزال الناس متوجّسين ومتوتّرين وخصوصاً عند كلّ اقتحام لقوات الشرطة». هكذا يصف عضو اللجنة الشعبية في اللد، غسان منيّر، الوضع في مدينته بعد عام على الهَبّة. يبيّن منيّر، في حديث إلى «الأخبار»، أن اندفاع المحامين للدفاع عن المعتقلين «لم يكن عفوياً، بل كان منظّماً؛ حيث قامت اللجنة بتسجيل كلّ المعتقلين في قوائم... توجّهنا إلى عائلاتهم، وقمنا بجمع التبرّعات ودفع الغرامات. أمّا هبة الشباب فكانت عفوية وغير منظّمة وجاءت في معرض الدفاع عن النفس أمام قطّعان المستوطنين المسلّحين الذين هجموا علينا بحجّة فرض الأمن والنظام». ويضيف «(أننا) عملنا على متابعة المشاكل ومحاولة التصدّي لها شعبياً وقانونياً»، متابعاً أن اللجنة «لعبت دوراً محورياً في محاولة السيطرة على الأمور ومنع تدهورها في اللد، كما أنها أمّدت العائلات ومَن تواجد في محيط المسجد العمري (الذي استُهدف من قِبَل المستوطنين) بالطعام، وعملت على نشر الرواية الفلسطينية للحدث ودحض الرواية الإسرائيلية التي وصفت الشباب بالمجرمين والإرهابيين».

وتعليقاً على ما ذُكر من تقرير إسرائيلي حول استعدادات ميليشيات استيطانية، تسليحاً وتدريباً، للهجوم على الفلسطينيين في اللد في حال تجدُّد المواجهة، يشير منيّر إلى أنه «ليس لدينا جيش أو شرطة تحمينا ولا تنظيم أمني، ونعلم جيداً نيّة المستوطنين تنظيم أنفسهم في ما يشبه الميليشيات الشعبية لإقامة دوريات في الأحياء الفلسطينية في المدينة. هذا أمر خطير جدّاً، ونرفضه، ولا نريد أن يتطوّر إلى مناوشات أو صدامات مسلّحة». وكما يافا، لم تُلحظ في اللد أيّ ردود فعل على ما حصل في الشهرَين الأخيرَين، فيلفت منيّر إلى أن «الناس هنا عانوا صدمة نتيجة الهجمة الشرسة من المستوطنين، فضلاً عن انشغالهم إلى الآن بتوفير الدعم القانوني، وتنظيم حملات جمع التبرّعات لدفع تكاليف المحاكمات. الناس يريدون التقاط أنفاسهم بعد كلّ ما حصل. ولا ننسى أن السلطات وأجهزتها الأمنية استثمرت كلّ إمكاناتها لتخويف وردع الفلسطينيين في المدينة، وثنيهم عن المشاركة في أيّ عمل شعبي أو تظاهرة».

ثقة مقاطعة اقتصادية من قبل اليهود للمصالح التجارية الفلسطينية في يافا

استثمرت سلطات الاحتلال كلّ إمكاناتها لتخويف الفلسطينيين في اللد وردعهم

منهم أولئك الذين لم تكن لهم تجربة سابقة في الاعتقال. وكان لذلك أثره الهامّ لناحية استمرار هؤلاء الشباب في المشاركة في العمل الوطني، وأخيراً في الرباط في الأقصى». وردّاً على سؤال عمّا إذا كان هناك تنسيق بين «الفروع» في مختلف المناطق، يشير شريم إلى أن اللجان توحّدت في ما بينها في منطقة وادي عارة، مضيفاً أن «لجنة المتابعة» أفرزت منسّقاً مشتركاً، لكنه «لم يسهم في تطوير أدائها جماهيرياً نظراً إلى الفروقات الشاسعة في المواقف السياسية، فالمنسّق ينتمي إلى تيار حكومة إسرائيل، المدعومة من القائمة الموحّدة، التي تتبنّى خطاب سلطات الاحتلال ومصالحها».

«الدفاع عن يافا»

في يافا، بدا المشهد مختلفاً. المدينة التي يحاول الاحتلال تصديرها إلى الخارج - في إطار مشروع «الهسباراه» (الدعاية) - كمنطقة نموذجية لـ«التعايش» بين فلسطينيي الـ48 والإسرائيليين، طفت فيها العلاقات المشحونة على السطح عند أوّل مواجهة. يشير ابن يافا، عبد أبو شحادة، إلى أنه في مدينته تشكّلت إبّان الهبّة لجنة عُرفت باسم «لجنة الدفاع»، موضحاً أنها كانت «بمثابة هيكل جمع مختلف التيّارات السياسية والمؤسّساتية والناشطين». ويلفت إلى أن «دورها كان مهمّاً على مستوى تنظيم التظاهرات، والالتحام مع القرارات القُطرية للجنة المتابعة كالإضراب العام والتظاهرات المركزية، وأيضاً في توثيق الأحداث». ويتابع أبو شحادة، في حديثه إلى «الأخبار»، أن واحداً من التحدّيات المهمّة آنذاك تمثّل في الاتفاق على «إيش بدنا نقول»، بمعنى «أيّ سردية لنا؟ لأنه، ومن تجارب سابقة، دائماً ما تخرج الكثير من الأصوات. ولذلك، حاولنا في اللجنة أن يكون هناك صوت واحد جامع للكل. كما نجحنا على صعيد آخر، وإن بشكل جزئي، في مرافقة المعتقلين ومساعدة العائلات التي طاولتها الاعتداءات الإسرائيلية». أمّا ما يميز لجنة «الدفاع عن يافا»، فهو، بحسب أبو شحادة، التقسيم والمأسسة على مستوى الأمور التنظيمية؛ حيث انبثقت لجان للمالية، وأخرى إعلامية، وواحدة للمحامين، وهو ما كانت له أهمّيته على مستوى الاستجابة والتعامل مع الحدث وتبعاته».

وعلى رغم أن يافا مصنَّفة من قِبَل الاحتلال كـ«منطقة ساخنة»، تماماً كما اللد وعكا، إلا أن أبو شحادة يبيّن أنه «بخلاف ما يُصوَّر عن أن وجود النواة التوراتية في قلب حيّ العجمي كان وراء تصعيد الأمور، إلّا أن المشكلة في يافا هي مشكلة بنيوية مؤسّساتية على كلّ المستويات، وفي مقدّمتها الحقّ في السكن والتخطيط، وكيف تُعامل السلطات الإسرائيلية الفلسطينيين». وفي هذا الإطار، يستذكر ابن يافا، الذي كان شاهداً في قاعة المحكمة خلال محاكمة أحد المعتقلين الفلسطينيين، كيف وقف شرطي إسرائيلي أمام القاضي وقال: «لن نسمح بالاعتداء على أيّ مواطن يهودي»، مشيراً إلى أن هذه «عيّنة من المشكلة البنيوية حين تفهم الشرطة أن مهمّتها هي حماية اليهود وليس ما يُصوَّر أنهم مواطنون».

ويشرح أبو شحادة ما شهدته يافا إبّان الهبّة بالقول: «إننا أمام سيرورة تاريخية تتكرّر منذ السبعينيات بأشكال مختلفة؛ إذ إن الجيل الأول للنكبة، بعد توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، وجد نفسه في مرحلة من (الإفوريا)، تلتها قوانين عنصرية استعمارية أيقظت هؤلاء، لتكون المواجهة الأولى في يوم الأرض عام 1976. ثمّ أتت مرحلة أوسلو، حيث دعم النواب العرب في الكنيست حكومة رابين، ثمّ صوّتوا لباراك، وبعد كلّ الحديث عن إمكانية السلام اقتحم شارون الأقصى، وأفهم الاحتلال الجيل الثاني بعد النكبة أنه غير معنيّ بإقامة علاقات طبيعية مع شعوب المنطقة، ثمّ اندلعت الانتفاضة الثانية». أمّا هبّة أيار، فقد «أتت في سياق مرحلة شبيهة، حيث أطلّ علينا منصور عباس متحالفاً مع حكومة اليمين الصهيوني، فيما أقرّ الاحتلال قوانين استعمارية تتعلق بالشيخ جرّاح وباب العمود، مذكّراً الجيل الثالث للنكبة بأن إسرائيل مش ممكن ترضى عنا»، كما يقول.

على رغم كلّ ما تقدّم، بدت يافا غائبة عن مشهد التفاعل مع الأحداث الأخيرة في القدس والضفة، فما السبب في ذلك؟ يجيب أبو شحادة بأن «ردود فعل الاحتلال ومجتمعه تجاه الفلسطينيين في يافا هي أسوأ ممّا يعرفه الناس. فمنذ هبّة أيار إلى اليوم، النساء المحجّبات لا يستقللن الحافلات (خوفاً من اعتداء الإسرائيليين عليهنّ). كما أن ثمّة مقاطعة اقتصادية من قِبَل اليهود للمصالح التجارية الفلسطينية. فضلاً عن ذلك، فإن عدد الشباب الذين اعتُقلوا، والضرر الذي طاول العائلات

(الأناضول)

الانعزالية الفلسطينية خناجر «يا وحدنا»

نضال خلف

يقوم المشروع الاستعماري الغربي في بلادنا على ركيزتَين متكاملتَين بالأثر والتأثير، وهما: إسرائيل للقيادة المتنفّذة في «منظّمة التحرير»، والاقتصادي، يرتكز مشروع العدوّ على ترسيخ التقسيمات الاستعمارية، ليس جغرافياً فحسب، بل على صعيد الوعي أيضاً. فكما تثبيت إسرائيل يمرّ عبر التطبيع وتشويه بوصلة العداء، كذلك، فإن ترسيخ التقسيم يتمّ عبر بثّ النزعات الانعزالية وتطويرها. يعرّف عصمت سيف الدولة النزعات الانعزالية العربية عبر مصطلح «الإقليمية»، الذي يقوم جوهره على التسليم بالتقسيمات الاستعمارية والتعامل معها على أنها تكوينات اجتماعية قائمة بذاتها، وبالتالي الانطلاق منها في تعريف الشعب ومصالحه وتوجّهاته. ترتبط النزعات الإقليمية بتقسيمات «سايكس - بيكو» التي مهّدت الطريق لقيام إسرائيل وتأمينها عبر منع أيّ شكل من أشكال الوحدة العربية. وخلال الحرب الأهلية اللبنانية، انتشر مفهوم «القوى الانعزالية» لوصف الأحزاب الفاشية التي قامت على فكرة الانعزال عن المحيط العربي والارتباط بالمشروع الاستعماري.

لكن النزعات الانعزالية لم تقتصر على لبنان، بل يمكن تتبّعها في كلّ قُطر عربي على مراحل مختلفة. ففي مصر، شكّلت النزعة الانعزالية الدعامة الأقوى لنهج أنور السادات في تبرير توجّهه إلى الحضن الأميركي عبر عزل القضية العربية عن الوجدان الشعبي المصري، وذلك بتصويرها مسألة «فلسطينية» أدّت فيها مصر واجبها «كاملاً». أطلق السادات نهج «مصر أوّلاً» الذي تطوّر فيما بعد ليشمل تشكيكاً في الهوية العربية ومحاولات لاستبدالها بهويّات تاريخية مختلفة بحسب الأقطار (الفرعونية أو الفينيقية...)، كلّ ذلك في سبيل تعزيز الإقليمية وحضر الوعي العربي داخل الحدود الاستعمارية. ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل لبس الخطاب الانعزالي لبوس «الثورة»، فجاء في صلب أحداث لبنان عام 2005، حين ارتفع شعار «لبنان أولاً» للتصويب على دور المقاومة اللبنانية في القضية العربية. ويستمرّ الفكر الانعزالي في التشعّب من خلال وسائل الإعلام، تحديداً بعد عام 2011، إذ يروّج بعض المثقّفين العرب له من بوّابة «أولوية تحرّر الشعوب من الديكتاتورية»، فيصبح اليمن قضية اليمنيّ، وسوريا قضية السوريّ، وفلسطين قضية الفلسطيني... فقط. وفلسطين ليست استثناءً في هذا المجال، لا بل إن عوارض انعزالية جديدة تتولّد على الساحة الفلسطينية بعد كلّ حدثٍ مفصليّ يهزّ أركان المشروع الاستعماري.

تاريخياً، شكّلت الانعزالية منهجاً للقيادة المتنفّذة في «منظّمة التحرير»، والتي لعبت على وتر الاضطهاد الفلسطيني لتملك به ورقة تفاوض تسمح لها بالبحث عن «كرسيّ» على المسرح الأميركي. وهنا، لا بدّ من التمييز بين الروح الوطنية الفلسطينية وبين الفكر الانعزالي؛ فالأولى هي جزءٌ طبيعي من تشكيلات الهوية العربية الفلسطينية، وقد شكّل الحفاظ عليها ضرورةً في مواجهة مشروع الصهاينة لإذابة الفلسطينيين في المحيط العربي. في المقابل، فإن الفكر الانعزالي يمثّل النهج السياسي الذي يعزل السياق الفلسطيني عن معركة التحرّر العربي، وينطلق من التقسيم الاستعماري لفلسطين سواءً في الجغرافيا (تعريف الأرض المحتلّة) أو في الديموغرافيا (تعريف أصحاب القضية)، وقد عبّر جورج حبش عن خطورة هذا الفكر حين اعتبر أن «سيادة الروح القُطرية الفلسطينية كما عبّرت عنها القيادة الفلسطينية المتنفّذة بزعامة عرفات، والتي رفعت شعار «يا وحدنا» [... إ قاد في النهاية إلى تحرير العرب من فلسطين، وصولاً إلى كارثة أوسلو».

يعكس الخطاب الانعزالي الفلسطيني خللاً في فهم طبيعة الحرب القائمة ضدّ شعبنا العربي

لكن الانعزالية الفلسطينية لم تقتصر على محاولة نزع الفلسطينيين عن بُعدهم العربي، بل تطوّرت لتشمل محاولات عزلهم عن بعضهم البعض. فالاستراتيجية الصهيونية بعد عام 1948 قامت على فصل الساحات الفلسطينية سياسياً ونفسياً بعد فصلها جغرافياً ولوجيستياً. ونظراً لغياب عوامل شرخ إيديولوجية أو عقائدية، كان الوتر الأبرز لتعزيز الشرخ الفلسطيني هو مقارنة «الأثمان» التي تقدّمها الساحات. فخلال حقبة الثورة الفلسطينية، كانت بعض الأصوات الانعزالية ترتفع في الشتات متسائلةً: «لماذا تدفع المخيّمات وحدها ثمن المواجهة»، وفي الحقبة الزمنية نفسها، كان التساؤل الانعزالي نفسه يُطرح في ساحة الداخل، حيث روّجت التيارات الاستسلامية لمفهوم «خصوصية الداخل» الذي سعت من خلاله إلى تحويل النضال الفلسطيني إلى معارك تحسين شروط ضمن مشاريع الأسرلة القائمة. وما لا شكّ فيه أن «اتفاقية أوسلو» شجّعت الخطاب الانعزالي في كلّ الساحات، مع ترسيخها «حدود» التقسيم السياسي بين فئات الشعب الفلسطيني.

واليوم، بعد تمركز المقاومة الفلسطينية المسلّحة في غزة، عاد الخطاب الانعزالي ليطلّ برأسه من ساحتها، تحديداً مع كلّ جولة تصعيدية. وقد برزت الأصوات الانعزالية بقوّة خلال معركة «سيف القدس»، وذلك عبر التشكيك في نوايا وجدوى ردّ المقاومة الفلسطينية على الاعتداءات الصهيونية، حتى وصل الأمر بالبعض إلى اعتبار أن «صواريخ المقاومة خرجت لتحرف الأنظار عن النضال الشعبي في القدس»، وكأن غزة إقليم مستقلّ عن فلسطين والمنطقة بأكملها. في الواقع، إن المهمّة الرئيسة لأصحاب الخطاب الانعزالي في فلسطين هي الحفاظ على سطوة التقسيمات الاستعمارية في النفوس، ولذا نلحظ التناسب بين ارتفاع حدّة هذا الخطاب وبين أثر «سيف القدس». عملياً، يرتكز المنطق الانعزالي الفلسطيني على ادّعاء إنساني مزيّف، يختبئ أصحابه تحت عباءة المفاضلة بين الكرامة والحياة. على سبيل المثال، يتحوّل الحصار على غزة من جريمة يرتكبها العدو وأعوانه إلى أزمة إنسانية وجب حلّها سريعاً، عبر الضغط على الطرف الآخر في المعادلة، أي المقاومة. وبالمنطق نفسه، تتحوّل جرائم الاحتلال ضدّ شعبنا في غزة إلى «ويلات» يستجلبها السلاح، فيما هي جزء من حرب الغائية مفروضة على شعبنا مهما كانت ردّة فعله. ويتكامل ذلك المنطق مع خطاب الأسرلة الذي يذهب إلى إدانة العمل الفدائي الفلسطيني «خوفاً» من انتقام العدوّ في الداخل. لكن في المقابل، لا يملك الخطاب الانعزالي أيّ تصوّر واقعي لتحقيق «الأمان» الذي يدّعي نصرته للشعب الفلسطيني. ومن هنا، ينكشف زيف الادّعاءات الإنسانية، حين يتّضح أن كلّ الطروح «البديلة» ليست سوى وصفات مختلفة للاستسلام أمام العدو والرضوخ لشروطه.

أمّا الركيزة الثانية للخطاب الانعزالي فهي الفردانية المطلقة. إن التصويب على الفعل المقاوم من خلال التركيز على أثمانه فقط، هدفه عزل المتلقّي ضمن مربّع البحث عن خلاصه الفردي، وتغريبه عن فعل المقاومة، بحيث يشعر أن المعركة مع العدوّ لا تعنيه إلّا من ناحية البحث عن الأمان، أيّاً كان الثمن. وللمصادفة، فإن الجهات نفسها التي تركّز على الأثمان تتعامى عن الإنجازات، لا بل تقوّضها عبر تسخيفها والتهويل برد العدوّ عليها. وعلى المستوى نفسه، يسعى الانعزاليون عبر تخوين الساحات الأخرى إلى حصار أيّ حالة مقاومة شعبياً، من خلال تهشيم جدواها في معركة التحرير، وتعميم صورة التخاذل على باقي الساحات. هذا ما نراه مثلاً في حالة انزعاج الانعزاليين من هتافات تأييد المقاومة الصادرة من القدس والضفة والداخل.

في المحصّلة، إن الخطاب الانعزالي الفلسطيني يعكس خللاً في فهم طبيعة الحرب القائمة ضدّ شعبنا العربي، ما يجعل مواجهته ورموزه ضرورةً في القادم من جولات المواجهة مع العدو. فالحرب الاستعمارية تستهدف الوجود العربي بأسره، ومقاومة هذا المشروع لا تتمّ إلّا بضرب ركيزتَيه معاً: إسرائيل والتقسيم. ولعلّ الردّ الأجدى على الانعزالية الفلسطينية جاء من سماء فلسطين التي ما زالت إلى اليوم تردّد هتاف: «حطّ السيف قبال السيف».

تقرير

الأردن في زحمة «المخاوف»: نريد ظهيراً

مكاشفة علنية أدلى بها الملك الأردني، عبدالله الثاني، في جلسة حوارية في واشنطن، حيث أبدى عتباً واضحاً على الولايات المتحدة بسبب انشغالها عن المنطقة، وتوقّع تراجع دور موسكو في خفض التصعيد في جنوب سوريا ربطاً بحربها على أوكرانيا، وحذّر من تعزّز الحضور الإيراني هناك بفعل ذلك. وعلى خلفية كلّ تلك الهواجس، بدا عبدالله كمن يطلق «نداء استغاثة» إلى حليفه الأميركي، متناقلاً عودة «الرعاية» بصورتها «الأكثر دفئاً»، مقابل البقاء حارساً مخلصاً لمصالح الولايات المتحدة

عمّان ـ الأخبار

لم تكن مصادفة أن يحمل اللقاء الأول على أجندة الملك الأردني، عبدالله الثاني، في الولايات المتحدة، صبغة عسكرية، في ظلّ الحديث المتجدّد عن عودة تنظيم «داعش» ودور الأردن المحوري في «الحرب على الإرهاب»، خصوصاً مع إعادة القوات الأميركية تموضعها في هذا البلد، عقب توقيع اتفاقية التعاون

يريد الأردن استمرار الحضور والرعاية الأميركيَّيْن ويتعهّد في المقابل بالبقاء حارساً مخلصاً لمصالح واشنطن

الدفاعي بين واشنطن وعمّان بداية 2021. وإذ يُعتقد النظام الأردني أن مدخل الحوار الاستراتيجي والطويل المدى مع الإدارة الأميركية يمرّ بالضرورة من القناة العسكرية، فقد بدا ذلك واضحاً في المقابلة التي أجراها عبدالله مع مستشار الأمن القومي للرئيس السابق دونالد ترامب، هربرت مكماستر، في إحدى الجلسات الحوارية المنظّمة من قِبَل «معهد هوفر» في جامعة ستانفورد الأميركية، حيث فصل الملك ما بين الشأنَين العسكري والسياسي في العلاقة مع الحليف الأميركي.

ركّز عبدالله في اللقاء على دور «التحالف الدولي» بقيادة واشنطن لمحاربة «داعش»، مشدّداً على ضرورة ملاحقة التنظيم في أفريقيا التي شكّلت محور نقاش الجولة الخامسة لمبادرة ما يسمّى «اجتماعات العقبة» لهذا العام، والتي أطلقها الملك في عام 2015، بهدف «تعزيز التعاون والتنسيق وتبادل الخبرات والمعلومات بين مختلف الأطراف الإقليمية والدولية لمحاربة الإرهاب، ضمن نهج شمولي، يتضمّن الأبعاد العسكرية والأمنية والفكرية». أمّا النقطة الأهمّ في المقابلة فتمثّلت في الحديث عن ثنائيّة روسيا وإيران، وسط تلميح إلى حالة الاستقطاب الكبيرة في المنطقة، والانزياح الجاري نحو الشرق بعيداً عن واشنطن. وعلى رغم أن عبدالله بدأ حديثه بتناول الانفتاح السعودي - الإيراني، إلّا أنه أشار إلى أنه لا يرى نتائج ملموسة على أرض الواقع، واعتبر وجود إيران في الجنوب السوري «تحدّياً أمنياً منتظماً»، وهو ما «لن يعجب الكثير من الناس» بحسبه. ولفت إلى أن للأردن حساباته الخاصة مع روسيا في ظلّ توافق واشنطن وموسكو وعمّان على خفض التصعيد على الساحة السورية، حيث حاول منح موسكو نقاطاً تفضيلية، ولم يخفِ رهانه عليها، إضافة إلى تل أبيب، لكبح جماح طهران في جنوب سوريا.

علاوة على ذلك، يبدو النظام في الأردن أكثر ارتياحاً للموقف الروسي في الشأن الفلسطيني - الإسرائيلي، ولا سيما أن موسكو عضو في «اللجنة الرباعية لمحادثات السلام» القائمة على «حلّ الدولتين»، ووقفت إلى جانب عمّان في أيام ترامب العجاف التي مرّت على المملكة، وهو ما ظهر واضحاً في حديث عبدالله. ولم يغفل الملك أيضاً، تناول العلاقات التجارية المتسارعة في الإقليم مع روسيا والصين، لافتاً إلى أن قادة دول المنطقة شعروا بأن واشنطن أدارت لهم ظهرها. هنا، ربط مكماستر كلام عبدالله بالسعودية والإمارات على وجه التحديد، ليظهر الأخير كمَن يبرّر نيابة عن أبو ظبي موقفها نحو الروس، إذ قال إنها شاركت إلى جانب واشنطن في 6 حملات عسكرية، وعلى وجه التحديد في أفغانستان، «وإن ابتعدت عن واشنطن قليلاً، فإن التحالف العسكري مع الغرب يعود إلى زمن طويل»، مضيفاً أن «تاريخ العلاقات مع أوروبا وأميركا أقدم وأعمق ممّا هو مع روسيا».

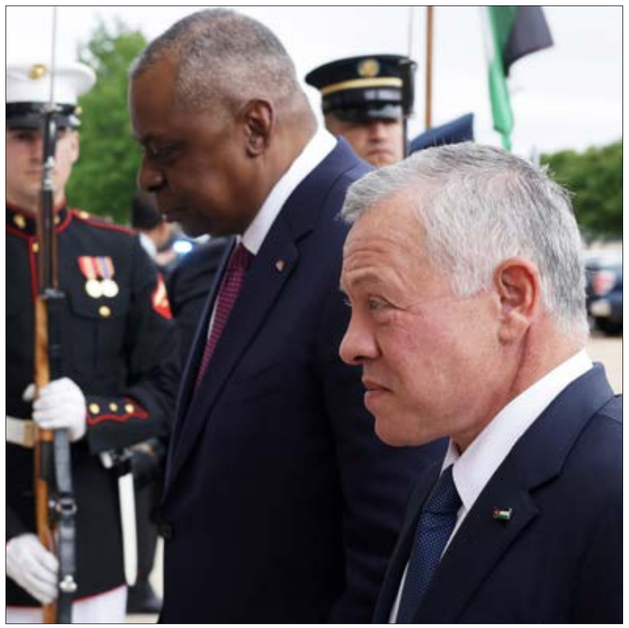
يريد الأردن تجديد اتفاقية الدعم الخمسية مع الأميركيين (أ ف ب)

البيت الداخلي لا يستقرّ: «فتنة حمزة» حيّة

عمّان - الأخبار

خمسة أشهر تأنّى فيها ملك الأردن، عبدالله الثاني، في إصدار موافقته على توصية المجلس المشكّل بموجب قانون الأسرة المالكة، بتقييد اتّصالات الأمير حمزة وإقامته وتحرّكاته، والتي رفعها المجلس إلى الملك منذ نهاية العام الماضي، وتعني عملياً وضع

سيبقى غضب الملك على باسم عوض الله كبيراً

الرجل رهْن الإقامة الجبرية، أو السجن بالمعنى الأدقّ. وعلى رغم رسالة الاعتذار التي تقدّم بها حمزة (المعزول عن ولاية العهد) لعبد الله، ونشرها الديوان الملكي في آذار الفائت، واتّبعها بداية نيسان بتغريدة يتخلّى فيها عن لقب أمير - علماً أنه وفق المادة 37 من الدستور وقانون الأسرة المالكة، لا يستطيع أيّ فرد منها أن يأخذ قرار التخلّي عن لقبه ما لم يسحبه الملك منه أو يمنحه لغيره -، عاد الملك وأحيى القضية، متحدّثاً في رسالة إلى الشعب الأردني عن تلاعب الأمير بالحقائق، وانقلابه على تعهّداته.

وكانت السلطات الأردنية عملت، بالتنسيق مع السعودية والإمارات اللتين تُبت دورهما في دعم مساعي حمزة وشريكيه (باسم عوض الله وحسن بن زيد)، على لفلفة القضية، عبر إجراء محاكمة سريعة لعوض الله وزيد، ومحاولة تحييد حمزة، الذي يعود ويتّضح اليوم أن نشاطاته كانت أعمق ممّا تمّ الكشف عنه، وهو ما أشار إليه عبد الله بقوله في رسالته الأخيرة إنه «بالنظر إلى سلوك الأمير الهدّام، فإنني لن أفاجأ إذا ما خرج علينا بعد هذا كلّه برسائل مسيئة تطعن بالوطن والمؤسسات»، موضحاً أن «الإبن الضالّ» للملك حسين رفض حضور جنازة عمّه محمد في نيسان الماضي، مضيفاً أن رئيس هيئة الأركان المشتركة، اللواء الركن يوسف أحمد الحنيطي، الذي كان أحرجه بتسريب تسجيل صوتي لمقابلته الأولى

الترتيبات بخصوص حمزة محسومة منذ اليوم الأول (أ ف ب)

اليمن

«الانتقالي» بوجه «الرئاسي»
ذكرى الوحدة تعمّق الخلافات

لا يبدو أن الأمور ستسير على خير بين «المجلس الرئاسي» الجديد و«المجلس الانتقالي»، اللذين يتّخذ كلّ منهما مقرّاً له في عدن: إذ تتنالى بوادر الانشقاق بينهما، وآخر مظاهرها الاختلاف على الاحتفال بذكرى الوحدة اليمنية

صنعاء - رشيد الحداد

أعادت الترتيبات التي أجراها «المجلس الرئاسي» في عدن للاحتفال بذكرى الوحدة اليمنية الـ32، إلى الواجهة، الصراع بينه وبين «المجلس الانتقالي»، الذي يَعتبر الاحتفال بهذه الذكرى «تحدّياً» للإرادة الشعبية في المحافظات الجنوبية، ونسفاً لما تبقّى من شعبيته. وتلقّت الحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي تحذيرات من عدد من الفصائل التابعة لـ«الانتقالي»، الثلاثاء الماضي، من تداعيات «استفزاز الشارع الجنوبي»، مع تلويح باستخدام القوّة «ضدّ أيّ حماقات». ولم تقتصر ممانعة «الانتقالي» إحياء ذكرى الوحدة على عدن، بل شملت المحافظات الجنوبية الخاضعة لسيطرته كافة، وهو ما أجّا «الرئاسي» إلى السعودية لطلب الضغط على الأوّل من أجل السماح بإقامة فعاليات رمزية في عدد من المحافظات. وبعد أخذ وردّ وضغوط من «التحالف»، أفاد أكثر من مصدر مقرّب من «الرئاسي» بأن الأخير سوف يكتفي باحتفال رمزي يقام في قصر المعاشيق الرئاسي الخاضع لحماية قوات سعودية، غداً.

وكانت حكومة معين عبد الملك أعلنت أنه، بناءً على توجيهات رئيس «المجلس الرئاسي» رشاد العليمي، جرى استكمال الترتيبات المرتبطة بذكرى الوحدة، مُوجّهة جميع العناصر التابعة لأمن عدن، وما وصفتها بـ«القوات المشتركة» الموالية لطارق صالح، بتأمين كافة المؤسسات الحكومية في المدينة، الأمر الذي قوبل من قِبَل الموالين لـ«الانتقالي» بسخط كبير، فيما ردّت الميليشيات التابعة له بنشر المئات من عناصرها في شوارع عدن. وتزامن ذلك مع تأكيد مصادر محلية انتشار العشرات من الأطقم التابعة لطارق صالح في محيط منطقة بئر أحمد، في أعقاب تداول ناشطين جنوبيين أنباء عن قيام «الانتقالي» بمنع دخول تعزيزات عسكرية جديدة تابعة لنجل شقيق الرئيس السابق إلى المدينة. وأفادت مصادر محلية في عدن، «الأخبار»، بأن التوتر العسكري في المدينة دفع بالعليمي إلى فتح باب النقاش مع نائبه عيدروس الزبيدي، مقدّماً له عدّة مقترحات كي يسمح «الانتقالي» لـ«الرئاسي» بتنظيم حفل خطابي في عدن، موضحةً أن بين تلك المقترحات أن يتمّ الاحتفال بالذكرى في قاعة مغلقة، لكن الزبيدي رفض التعاطي مع أيّ طلبات بهذا الشأن. كذلك، وجّه «الانتقالي» فروعه في عدد من المحافظات الجنوبية بالترتيب للاحتفال بالذكرى الـ28 لفك الارتباط، مُقرّاً أيضاً إقامة فعالية مركزية مناهضة للوحدة صباح اليوم في مديرية المعلّا. وفي خضمّ أجواء الاحتقان هذه، طاردت مدرّعات تابعة لـ«الانتقالي» الباعة الذين ينحدرون من المحافظات الشمالية في عدد من شوارع عدن. كما شدّدت ميليشيات المجلس إجراءاتها ضدّ القادمين من هذه المحافظات إلى المدينة، في وقت حذر فيه المسؤول في مكتب محافظ عدن، فهد الخليفي، من حدوث فتنة في الجنوب، مطالباً بإلغاء أيّ احتفالات بالوحدة.

بناءً على ما تَقدّم، تبدو مقابلة عبدالله أقرب إلى نداء مُوجّه إلى واشنطن لإعادة لفْت انتباهها إلى ما يجري في الشرق الأوسط، على رغم وضْعه الاتّكال على الولايات المتحدة بأنه «كسل»، وحديثه عن أن الدول العربية الآن لديها رؤية خاصة في ما يتعلّق بالقضية الفلسطينية، في ما يؤشّر إلى أن الفراغ الذي أحدثه غياب إدارة جو بايدن بعد فوضى عهد ترامب في المنطقة، أعطى المجال لتحرّكات إقليمية ليس في الخليج فقط، بل وأيضاً في مصر والعراق اللذين تسعى عمّان منذ أكثر من عام لإقامة تحالف معهما تحت مسمى «الشام الجديد». السؤال المركزي الآن، إذا ما استمرّ الغياب الأميركي، وتحقّق الفراغ الروسي جنوبيّ سوريا وفق ما حذّر منه عبدالله، وفي الوقت ذاته تفاقم توتر العلاقات الأردنية - الإسرائيلية حول ديمومة الوصاية الهاشمية، هو: هل سيصل الأردن إلى تفاهمات مع «اللاعبين الإيرانيين الجدد» على حدوده، برعاية خليجية محدودة، أم سيسعى لفتح جبهة حرب مباشرة معهم لم تَخبرها عمّان منذ 1968، في منطقة الهدوء الوحيدة في إقليم مشتعل، وهي المنطقة التي لاذت القوات الأميركية إليها بعيداً عن ساحات القتال النشطة؟

أيّاً كان الجواب، فإن الأردن يريد رعاية أميركية مباشرة، معنوياً ومادّياً، بتجديد «اتفاقية الدعم الخمسية»، إضافة إلى ضمانات بديمومة العرش الهاشمي ووصايته على المسجد الأقصى. وفي المقابل، تتعهّد عمّان بالبقاء الحارس المخلص للمصالح الأميركية، والتحرك مدنياً وعسكرياً تحت لواء واشنطن أو «حلف شمال الأطلسي» أو أيّ تشكيل آخر لـ«محاربة الإرهاب».

لا يبدو أن الأمور ستسير على خير بين «المجلس الرئاسي» الجديد و«المجلس الانتقالي»، اللذين يتّخذ كلّ منهما مقرّاً له في عدن: إذ تتنالى بوادر الانشقاق بينهما، وآخر مظاهرها الاختلاف على الاحتفال بذكرى الوحدة اليمنية

معه فور كشف مخطّط «الفتنة»، التقى الأمير بترتيب مسبق وليس بغتة كما صوّر الأخير. وإلى أبعد من ذلك، ذهب عبد الله بحديثه عن فوقيّة حمزة في تعامله مع رؤسائه. وعلى رغم حدّة الرسالة، إلّا أن أثرها السياسي سيظلّ محصوراً، ما لم يظهر مستجدّ يُخرجها عن نطاق «الخلاف العائلي»، وهو أمر لا يبدو وارداً حالياً، في ظلّ حرص عمّان على عدم الانجرار إلى توتّر جديد مع الأطراف الخارجية التي دعمت «الفتنة»، خصوصاً وسط الضغوط القائمة عليه، ومأزق العرش المرتبط بوصاية مترنّحة أمام ضربات إسرائيلية متتالية. أمّا سكرتير الملك السابق، ووزير بلاطه، ومبعوثه الخاص إلى السعودية (سابقاً)، باسم عوض الله، فإن الغضب الداخلي عليه لا يزال كبيراً، وسيحول دون أيّ تفاهمات للإفراج عنه، لاسيما مع «احتجاز» حمزة بعيداً عن أيّ تواصل خارجي، ما يقطع أيّ ذريعة لأيّ طرف إقليمي أو دولي للمطالبة بمحاسبة الأمير الذي بقي لفترة طليقاً دوناً عن «خائن الأمانة» عوض الله، وطارق أبواب سفارتَين أجنبيتَين دعما لانقلاب في الأردن، حسن بن زيد.

استراحة

كلمات متقاطعة 4031

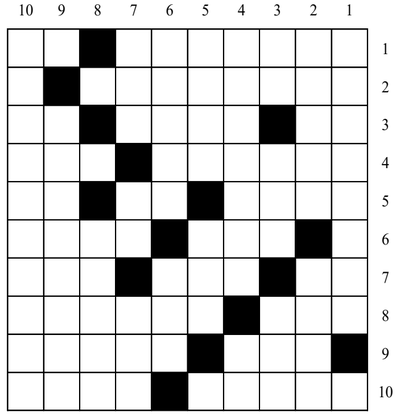

أفقيا

1- من نغمات الموسيقى الشرقية – بئر عميقة – 2- إعلامية لبنانية – 3- قلب الثمرة – مدينة يابانية عاصمة البلاد قديماً – رجع وعطف – 4- من أغزر شلالات العالم – حرير بالأجنبية – 5- ذهبت المياه في الأرض – خاصتها بالأجنبية – ثرى – 6- أحرف متشابهة – مدينة بوذية عاصمة التبيت – 7- حَب – في الدفتر – رجل صالح – 8- نضعف ونرقّ – عبد من الأتراك – 9- انتفاخ الجلد – رائج – 10- مدينة سورية – من فراعنة مصر

عمودياً

1- مدينة أميركية في فرجينيا – 2- دولة عربية – قمصان تحمي من ضربات السيوف – 3- مادة قاتلة – أثير المياه – من الفاكهة – 4- مدينة صينية – إسم موصول – 5- من الطيور – خليج – 6- نواقيس – رؤوس الجبال – 7- من أسماء الأفعال معناه أسرع – للتعريف – لوّث – 8- برنامج فضائي أميركي – 9- عائلة مؤلف موسيقي روسي راحل – 10- عاصمة سورينام

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- أديس أبابا – 2- جبيل – سنغال – 3- بلودان – ركع – 4- أجزل – سيول – 5- الي – إياب – 6- لسنته – مالي – 7- مقس – وفز – بل – 8- ري – بني – حليّ – 9- كرّ – صربا – 10- خليج العقبة

عمودياً

1- جب – المَريخ – 2- إبل السقي – 3- ديوجينس – كي – 4- بلدز – برج – 5- الأهون – 6- أسِن – فيصل – 7- بن – سامر – رع – 8- اغريبا – حبقّ – 9- باكو – لبلاب – 10- العلايلي

sudoku 4031

	8		4			1	9	
3				8	9			
	5	1	6		2			8
4		3				6		
			2	4	7			
2		5				7	8	
7			3		1			5
			5	6				2
	3	8					6	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4030

1	8	4	3	5	6	7	2	9
9	2	6	1	4	7	3	8	5
3	7	5	2	9	8	4	1	6
4	6	1	7	2	5	9	3	8
2	3	7	9	8	4	5	6	1
5	9	8	6	1	3	2	7	4
7	4	9	8	3	1	6	5	2
8	5	3	4	6	2	1	9	7
6	1	2	5	7	9	8	4	3

مشاهير 4031

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

الممثّل الأعلى لملك بريطانيا في مصر (1862- 1949)، إشتهر بمراسلاته مع شريف مكة حسين بن علي خلال الحرب العالمية الأولى

■ 2+6+3+8 = طائر حسن الصوت ■ 1+5+10+7 = أحزان تُشغل البال ■ 4+9+11 = سهل الفهم

حل الشبكة الماضية: **عفيف البهنسي**

إعداد
نعوم مسعود

رياضة

الكرة اللبنانية

العهد يرفع كأس الدوري في أجواء احتفالية استثنائية

أنهى العهد موسماً قد يكون الأصعب في تاريخه متوّجاً نفسه بطلاً للدوري اللبناني لكرة القدم للمرة الثامنة بعد فوزه على البرج 2-0 على ملعب جونيه في المرحلة العاشرة من دورة التصفية النهائية. رفع العهد كأسه الثامنة وسط أجواء احتفالية وأمام جمهور عهداوي كبير ملأ المدرجات المخصصة له شمال المنصة الرئيسية. جاءت احتفالات العهد مغايرة عن المواسم السابقة، وقد يكون ذلك بسبب صعوبة ما عاناه العهداويون هذا الموسم، ليس على الصعيد الفني بل على صعيد الإشكالات التي رافقت هذا الموسم الكروي الطويل.

تحوّل ملعب جونيه إلى مسرح لاحتفالات عهداوية وتكريم لرئيس النادي تميم سليمان إلى جانب رفع الكأس على وقع احتفالية كبيرة بالمفرقعات النارية خرج بعضها عن السيطرة فتسبب بأضرار لأرضية ملعب جونيه.

أنهى العهد موسمه بطلاً، بانتظار معرفة بطل كأس لبنان عقب لقاء النهائي الذي سيجمع الأنصار مع النجمة على الملعب عينه في 11 حزيران المقبل. أنهى العهد موسمه بفوز على البرج هدد مركز الوصافة الذي يحتله البرجيون برصيد 37 نقطة وبفارق نقطة عن الأنصار الثالث الذي غاب عن هذه المرحلة بسبب ارتباطه في كأس الاتحاد الآسيوي، بالتالي سيلعب مباراته الأخيرة مع شباب البرج في 4 حزيران المقبل. ففوز الأنصار سيعني انتزاعه لوصافة الدوري اللبناني وهو ما لا يتمناه البرجيون، رغم معرفتهم صعوبة إمكانية فوز شباب البرج على الأنصار.

الأخير سيلعب اليوم مباراته

> يخوض فريقا النجمة والانصار اليوم مباراتهما الثانية ضمن مسابقة كأس الاتحاد الآسيوي

الثانية ضمن مسابقة كأس الاتحاد الآسيوي حين يواجه جبلة السوري عند الساعة 22,00 بتوقيت بيروت في عُمان، فيما يلعب السيب مع الكويت عند الساعة 18,00 في المجموعة الأولى. وكان الأنصار قد تعادل في الجولة الأولى مع الكويت 1-1 في حين فاز السيب على جبلة 1-0. ممثل لبنان الثاني في المجموعة فريق النجمة سيلعب بدوره في المجموعة الثالثة مع هلال القدس عند الساعة 18,00 بتوقيت بيروت في البحرين، فيما يلعب تشرين مع الرفاع عند الساعة 22,00.

ويسيطر التعادل بالنقاط على هذه المجموعة بعد تعادل النجمة مع الرفاع الشرقي البحريني 1-1 في الجولة الأولى، في حين تعادل تشرين مع هلال القدس 0-0.

من جهته، أكد المدير الفني لفريق النجمة طارق جرايا أن فريقه سيبذل قصارى جهده لتسجيل نتيجة إيجابية أمام هلال القدس، معتبراً أن فريقه في أفضل جاهزية لتحقيق النتيجة المطلوبة، وذلك خلال المؤتمر الصحافي الذي عُقد أمس قبل المباراة. وأشار جرايا، إلى أن هلال القدس الفلسطيني، فريق منظم وقدم مستوى جيداً في مواجهته الأولى بالمجموعة، مؤكداً أن المباراة لن تكون سهلة، وتحتاج إلى تركيز عال. وأوضح أن فريقه يسير في الاتجاه الصحيح، لافتاً إلى أن المجموعة الحالية قادرة على تحقيق النتائج وتقديم الأفضل خلال المباريات المقبلة.

من جهته، اعتبر اللاعب ماهر صبرا، أن جميع اللاعبين حريصون على تقديم أفضل ما لديهم من أجل التأهل وتحقيق نتيجة مشرفة لكرة القدم اللبنانية.

(الأخبار)

لاعبو العهد مع كأس الدوري الثامنة في تاريخهم (طلال سلمان)

وفيات

بمزيد من الأسى والتسليم بقضاء الله ومشيئته
ننعى فقيدنا الغالي المرحوم الوزير والنائب السابق المرحوم
الدكتور
محمد عبد الحميد بيضون
زوجة وأولاد وأشقاء وشقيقات الفقيد يتقبلون التعازي يوم غد الأحد 22 أيار 2022 في جمعية التخصص والتوجيه العلمي، الجناح، من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى السادسة مساءً.

إعلام تبليغ
الموضوع: تبليغ ضرائب متوجبة
تدعو وزارة المالية – مديرية المالية العامة – المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان – دائرة التحصيل – المكلفين، الواردة أسماؤهم في الجدول أدناه، المجهولي مركز العمل أو محل الإقامة حالياً للحضور شخصياً أو من ينوب عنهم قانوناً خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ 2022/05/21 إلى مركز الدائرة الكائن في بعبدا – شارع سوق بعبدا – مبنى الحلو – الطابق الأول لتبلغ بريدهم خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلام، وإلا يعتبر التبليغ حاصلاً بصورة صحيحة بعد إنتهاء مهلة المراجعة المشار إليها أعلاه، علماً أنه سيتم نشر هذا الإعلام على الموقع الإلكتروني.

رقم المكلف	اسم المكلف
1588516	احمد محمد حسني قامة
970292	خولة عبد الرحمن صالح الزكير
770602	ميشال داود كرم
951465	نمر يوسف القاضي
953389	غزوان احمد شرف
1734985	نبيل ضامن عزيز
66127	نزيه محمد علامة
678191	احسان حسن عنان
954227	حسيب نايف عيد
1477601	منتهى عبد الرحمن نجم المنصور
2182422	نادية محمد بن عبد الرحمن افندي
2203421	عصام فايز فخر
2272770	امير بشير تقي الدين
229109	غسان اسعد عبد الخالق
554474	معروف وهيب الجوهري
701280	شفيق حمود الشعار
772945	شوقي فؤاد رافع
824697	حمزة جميل شميط
870718	عدنان محمد رمضان اللاوند
946672	امين محمود جابر
1020779	فهد وهيسان خوفي اللميع
1181927	خالد عبد محمد جاسم المريخي
1182314	زينة امير ناصر الدين
1190445	احمد نزهت محمد طيب
1198882	نجيب شامين العريضي
1758531	وجدي امين مراد رضوان
1881223	سلمى الياس هيكل
1969486	كميل نعمة ايوب
2227597	موزه فهد خليفه شامين الغانم
2523332	سعيد محمد خلف المزروعي
10575	غريزي وشركاه للتنمية ش.م.م
20541	ملحم فارس غريزي
62541	سعيد رشيد شرف الدين شهيب
83236	ميشال نجيب خير الله
87700	عدنان حسن جازي
161702	محمد وفيق جابر
276453	حسين هاني سلامي
303651	شركة ارلكان العقارية ش.ذ.م
496192	زياد يحي زكريا كنعان
621857	محمود قاسم الكوسا
637154	حمد اسعد ابي هنا
649718	ولاء رفيق غندور
677274	جمانه يوسف الحركه
679526	عفيفة عبد العزيز شهاب
754073	وقف كنيسة السيدة للروم الارثوذكس
776425	حمد بن جاسم بن جبر ال ثاني
783920	احمد وهبه جوهر
826897	لطفي نبهان عبد الرزاق
929733	وفيقة خليل الحريري
941210	امين سعيد ضو
942866	وهيب قاسم شهيب
952184	ميشال خليل ابو غانم
952873	جمعية روضة التهذيب الدرزية
991311	ضاهر مراد الهبر
1152819	سليم فريد الرياشي
1410249	رشا حسن بحصلي
1486061	حسن عبدالله غانم الغانم المعاضيد
1511746	موزه علي عبد الله العويس
1588041	غندي حسام رافع
1662481	موزه محمد يوسف عبيدان فخرو
1766682	عبد الله امين عبد الرحمن الشرفاء
1820128	امين فريد المهتار
1996514	انطوان توفيق رزق الله
2138158	فارس مراد الصليبي
2148997	عماد سليم البنا
2286358	فؤاد عارف صعب
2339955	سعود محسن الجردي
2340691	امين سليمان عقل
2433176	مريم نعيم عمار
19832	ناجي فندي جابر
44672	فؤاد قاسم الريس
46957	عفيف حسين حسان
87705	معمل اجيتكس /عدنان حسن جازي
91895	صلاح الدين يوسف منصور
94511	دلال محمد سعد الدين
118019	مالك احمد بلوط
134096	نهى توفيق سري الدين
151830	مروان ابراهيم مظهر
152041	يوسف عبد الله سلطان العجمي
162128	نجيب عادل صعب
179308	ياسر عبد الغني الحداد
234565	عماد عبد القادر المهيدب
243335	عفيف خليل ابو فخر
258474	شركة المحطة العقارية ش.ذ.م
299830	خليل يوسف الغول
314905	احمد هاشم كوسا
326272	مايا شريف سليم
412395	نزار غازي مرعي
503925	مروان كمال سلام
561865	حسن عزة حكيم
561911	غسان رفيق الدافور العريضي
579612	زكريا محمد امين شهاب
621892	ابراهيم قاسم الكوسا
665739	الاميرة حياة شفيق وهاب
694357	زهره عبدالله الخليل ناصر
781906	سمير سليم شمس الدين
942023	حمد احمد احمد بن عبد الله ال ثاني
943984	مسعود ضاهر دلبقان
945396	محمد حسني حسن السيد
947799	مهنا سليم باز رضوان
948197	اسعد ايوب حبيز
948799	نجيب سلمان الجردي
949201	بديعة فرحان سري الدين
949732	سميا سعد الدين شهاب
952062	طارق محمد العرب
953319	وسام حافظ سلامة
956544	امين محمود ناصر الدين
992120	يوسف شكر الله الهبر
1043762	توفيق رشيد العريضي
1082134	احمد توفيق البدوي للطي
1107522	امين فريد ايوب
1153649	بسام وليد ابو شقرا
1175186	عبد الله جاسم علي جاسم ال ثاني
1180149	احمد محمد حجازي
1193448	ابراهيم حمود العنجري
1198241	رفيق نجيب ملاعب
1208679	جمال عبد الحميد خالد المطوع
1221471	مجلس امناء مدرسة سوق الغرب العلمية والمهنية
1222485	وليد محمد حمزة
1230465	غالب فرحان ابي هنا
1231496	محمد كمال الادلبي
1244089	ملحان خالد بن مشاري البصيص
1267538	الياس شفيق ابو روفايل
1296062	علي احمد عبد الحق
1324505	سيفا سليمان ابو ملهب
1454422	مهى محمود قاسم
1461148	طالب حمود العنجري
1597796	علي محمد ناصر الدين
1706729	منى ميشال نوفل
1782908	سيف حميد سيف طارش الفلاسي
1840214	رلى احمد فاخوري
2066554	خاجير وانيس تريزان
2070086	وسيم شفيق بو غانم
2194960	ليليان يوسف قزحيا عون
2334691	لبيب صالح العريضي
2340388	منيب سالم عيد
2343258	وليد محمد الفصيح
2364030	سالم عبد الرحمن خميس محمد الوهيبي
2438073	كريم منشد خنياب الربيعاوي
2866572	بدريه محمد ناصر فخرو
100027751	جورج مسعود
100027795	انيس طبارة
2092	شركة تنمية المباني والعقارات ش.م.م
5100	الجمعية التعاونية الاستهلاكية في بيروت والمناطق م.م
8669	م.ا.غ. ميدل ايست غرانيت ش.ذ.م
9565	شركة غاز الريف ش.ذ.م
9641	شركة سليب هاي ش.م.م
14428	عبد الله اسعد قادري
17104	حسين علي طعان
39957	الياس نقولا خيبة
48413	عبد اللطيف محمد امين قطب
55571	محمد ديب السماك
68759	عمر مالك حمدان
76683	عبد الرحمن عمر سبع تعين
78028	حسن فؤاد بحصلي
86239	علي حسين صفا
96699	الشركة الدولية المتحدة - يونالكو
100869	محمد سليم شهيب
114697	ابراهيم الياس جبور
118421	عاطف بديع صعب
132582	حسن عبدالله شهيب
145769	اسماعيل امان حسن حيدر
147739	غسان امين الجردي
153366	طلال عارف العياش
155979	الشركة اللبنانية للاسفلت
161204	نبيل امين الجردي
164965	احمد اسعد القادري
165722	طاهر بهجت غيث
169846	محمد راجي حسن البساط
179305	احمد عيد عبد الغني الحداد
184505	ورثة فؤاد ادريب ابو رافع
194776	جهاد عجاج حيدر
202263	فوزي محمد بو غانم
210005	الشركة اللبنانية لتجارة وتصنيع الاخشاب والمنجور تمبرو
215276	نزيه لطفي الجباوي
233375	علي محمد نجيب الحسيني
361646	فؤاد حسن زعيتر
378211	ايهاب توفيق العريضي
401052	مروان توفيق العريضي
498260	ادكار سبع الغفالي
507313	ندى محمود صعب
566076	ميشال الياس يتي
568606	طالب محمد المبشر
574156	مشاعل احمد الجابر الصباح
609335	سعيد محمد الحاج
621920	حسن محمد بعلبكي
624983	محمد خضر الناطور
626867	عبدالله امين ابوابراهيم
628584	محمد درويش رمضان
677311	الحزب التقدمي الاشتراكي
683180	وليد حسين الجوهري
683275	سمير عبد الحفيظ كنيعو
707279	سعود ناصر الصباح
709919	بسام نجيب الجردي
724257	انيس سليم شميط
758192	زياد موسى حمود
853040	بهيج شاهين قائد بيه
853237	زهر البان حمد الجردي
883008	محمد زايد شديد
894282	محمد جواد الاطرش
902795	حسين علي النعيم
931571	عاطف حسن زعيتر
933525	ساميا توفيق رزق الله
942830	شفيق ملحم عقل
948734	وسيم فهيم صعب
949413	حسن عبد الله ابو فخر
1720487	فادي نسيب رضوان
950812	عبد الله سليم رباح
953903	نبيلة انيس يونس
982033	نوره محمد سعود الكبير
993268	هيام فرحات مطاوع حرب
993507	حسين هاشم البهبهاني
996730	فؤاد فارس جابر
996877	نعيم حمد جابر
997889	عبد العزيز فهد المساعيد
1010706	منى مبارك باعارمة
1013459	محمد عبد القادر هاشميه
1033552	بلال بهيج منصور
1043704	سعيد حليم القاضي
1112593	حبيب بطرس بو صقر
1153663	ريما وليد ابو شقرا
1159108	احمد عبد الرزاق الاحمد
1190845	ابتسام انيس نعيم
1191476	رجا داود ابي فرج
1194862	رشيد محمد العريضي
1199349	حميد درويش احمد سيف الكتبي
1199453	حمد عبد اللطيف ثنيان الغانم
1222126	ادما سمعان عزيزه
1227694	شركة التخزين والتوزيع العائلية
1228150	شفيق منصور الجردي
1234025	هاني سعيد رافع
1234781	يوسف قاسم اسماعيل
1234845	عبد العزيز ابراهيم عبد الله صباح ال بن علي
2021597	مصطفى احمد شهاب
1238180	بطرس شهدان ابي عاد
1239245	قصي محمد راشد الصقير
1244493	عبد الله علي السهو
1244528	رنا سعد الدين عبد الله ابو خالد
1260418	جاسم منصور عبد الله الجاسم
1273807	فتحية حمود سليمان السميط
1301703	احمد رافت بدر
1322844	مريم عبد العزيز عبدالرحمن القندي
1358385	علي محمد جلوس
1381495	جاد منير تلحوق
1418093	غادة غسان ابو علوان
1419235	عبدالله صالح ايوب
1451305	نبيل محي الدين العطشان
1524650	جاد الله محمود ابو دياب
1528694	كلثم عبد الله سالم السويدي
1580157	فادية علي حمدان
1616674	نجلا فؤاد الحلبي
1629369	اياد محمد بو دياب
1715800	عماد حسين بعجور
1736050	علي حسين عبد الله
1745027	همام سعدالله حماده
1826031	ميرا هاني شومان
1830274	سوسن علي خليل
1905222	سوجان عبدالله المشرفية
1961928	منصور عبد العزيز بن سعود الدغيثر
2002146	هند محمد عبد العزيز الوزان
2055264	رياض محمود السيد
2056819	غسان عثمان غنام
2058917	علي محمد ياسين
2061867	شركة ليبانو بلاست ش.م.م
2091871	فهد حمود العلي الموسى السيف
2114358	مفيد عارف الجردي
2115894	هيثم احمد العاصي
2139073	زياد فواز الدبيسي
2143555	سامي سمير حمود
2152551	احمد حسن عبد القادر الشيباني
2232576	رجاء عبد السلام شعيب محمد الشعيب
2238273	رضوان ابراهيم عمر
2239167	عبد الحميد بكري فستق
2288342	احمد عبد الله محمد المباركي
2330139	كامل سعيد عيد
2331260	اسعد جرجس ابي عاد
2333839	ناصر فايز فخر
2340340	محمد بن حمد ال خليفه
2341146	وسيم نعيم الشامي
2368324	جاسم محمد حسن
2381840	ايوب نبيل الجردي
2393158	عليا مصطفى صالح
2400575	محمد راشد محمد الحساوي الهاجري
2402265	نعيمه علي عبد الوهاب المطوع
2418220	عبد الله منصور الكعبي
2432464	تركية محمد الشاهين
2457399	محمد عبد الله فهد الخاطر
2474993	وليد فوزي المغربي
2481658	القبة 1410 ش م ل
2521223	عبد الرحمن بن سعود بن عبد العزيز عشيري
2535677	شامين احمد العريضي
2730833	علي علي فانصوه
2738583	غسان سعد الدين شهاب
100027594	نديم شهيب
9608	شركة ريدان للتجارة والصناعة ش.م.م
19808	فريد توفيق متى
275859	ربيع نجيب السوقي
38312	ريمون الياس متى
40646	انطوان جرجس راسح ابي ناهض الشرتوني

رئيس المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان بالتكليف
خليل حرفوش
التكليف 275

إعلام تبليـــغ
الموضوع:تبليغ ضرائب متوجبة
تدعو وزارة المالية – مديرية المالية العامة – المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان – دائرة التحصيل- المكلفين، الواردة أسماؤهم في الجدول أدناه، المجهولي مركز العمل أو محل الإقامة حالياً للحضور شخصياً أو من ينوب عنهم قانوناً خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ 2022/05/21 الى مركز الدائرة الكائن في بعبدا- شارع سوق بعبدا – مبنى الحلو – الطابق الأول لتبلغ بريدهم خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلام، والا يعتبر التبليغ حاصلاً بصورة صحيحة بعد انتهاء مهلة المراجعة المشار إليها أعلاه، علماً انه سيتم نشر هذا الإعلام على الموقع الإلكتروني.

رقم المكلف	اسم المكلف
160782	نوهرة نبيه عتيق
127118	ميشال شربل شديد
220108	خير الله يوسف غانم
1041248	تراز سمعان الشبير
1428570	بيار جوزف حرب
1046272	وقف مار جرجس ترتج
1449287	جورج وديع لطيف
1558699	هالة مخايل حداد
37311	رندا بولس الخوري
196631	انور انطوان كميد
774071	يوسف انطونيوس سعد
1029830	ناجي يوسف مرعي
1031057	حنا طنوس الحواط
1045445	طانيوس يوسف ثابت
1322440	حليم توفيق جمجم
1396099	شركة اوول بلاستك
1560039	يعقوب شربل يعقوب
2423248	زوان بنت حمد بن سليمان التنيهاني
100042804	وقف سيدة الدوير الخيري
114133	ميشال زخيا صقر
162095	بادرو يوسف ضو
163531	ليلى نسيب صليبا
238661	روميو روفائيل لحود
310011	ابراهيم طنوس سعاده
502658	حليم حنا يونس
555467	شربل ادوار عبد الله
612903	سميرة جورج صوايا
876578	وقف مار مارون عمشيت التابع لمطرانية جبيل المارونية
1035443	كنيسة سيدة مارتين
1038051	غطاس سمعان سعد
1039998	شهيدة يوسف كرم
1041532	جرجي حليم الحاج
1042086	يوسف قزحيا فرنسيس
1047210	ناصيف خير الله الهاشم
1047211	امون نسيب الهاشم
1277642	كلوديا ادمون لحود
1318455	ناهايد اواديس بوركلیان
1487876	الهام نعمة الله الكريدي
1902451	يوسف نسيب عبود
2222632	بربر قزحيا فرنسيس ناضر
2321786	ناصيف يوسف بطرس سعاده
2701397	مرتا قزحيا كرم
109463	ميشال يوسف كيروز
122099	مارون يوسف مرعي
184616	جانيت كامل الخوري /رزق
275217	ابريجو يعقوب رشدان
357923	جورج حنا الياس
484485	جورج شفيق الهاشم
564540	جيلبر اوسكار اليان
582240	جوزف عبود اسعد عبود
620953	فايز خليل الخداف
731924	وقف عين ورقة
767223	محمد قاسم بربارة
884800	عصام اديب فياض
906085	جورج يوسف صقر
962844	سعيد فارس الهاشم
1016043	دير عين ورقة
1020224	اديب اسعد السخن
1029839	بطرس يوسف مرعي
1030524	موريس حليم الحاج
1032195	لودي سليم الشويري
1038711	زخيا حنا زعرور
1043446	اوديل الياس شحادة
1044067	جوليات توفيق الخوري
1045738	محمود حيدر همدر
1241641	جوزف جان الزغبي
1344886	علي حسن حسن حيدر احمد
1344889	محمد حسن حيدر احمد
1498323	جاكلين ولبد الخوري
1522692	اسعد حسين عواد
1708911	بربارة سمعان صفير
1788367	رلى يوسف عبود
1789330	لارا يوسف عبود
1866528	وحيد جبرايل الحاج
1909236	زخيا جرجس غنطوس صليبا
1945383	جوزفين الياس شحادة
1996168	انطون حبيب سركيس
2003094	كميل عزيز ديب
2163579	ابراهيم جرجس سويدان
2222642	رشيدة قزحيا فرنسيس
2222651	ماري قزحيا فرنسيس
2235322	الكسندرا صليبا القطريب
2237631	قزحيا خليل فرنسيس
2237637	خرستينا شامين شامين
2331079	يوسف طانيوس شرفان السخن

رئيس المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان بالتكليف
خليل حرفوش
التكليف 275

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلبت المحامية ديمه حسين دكروب لموكلها حارث حسن عبد الساتر سند تمليك بدل عن ضائع بالقسم 8 من العقار 1267 منطقة ميناء الحصن.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب شادي شكيب نصر الدين لموكلته ميريم بيار فرح سند تمليك بدل عن ضائع للقسم B 25 من العقار 5250 منطقة الأشرفية.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب رياض حسن رعد بالأصالة عن نفسه وبوكالته عن جمال حسين حمدون سندي تمليك بدل عن ضائع للقسم 26 بلوك أ من العقار 2382 صيصبلية.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلانات رسمية

رئيس المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان بالتكليف
خليل حرفوش
التكليف 275

إعلام تبليـــغ
الموضوع:تبليغ ضرائب متوجبة
تدعو وزارة المالية – مديرية المالية العامة – المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان – دائرة التحصيل- المكلفين، الواردة أسماؤهم في الجدول أدناه، المجهولي مركز العمل أو محل الإقامة حالياً للحضور شخصياً أو من ينوب عنهم قانوناً خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ 2022/05/21 الى مركز الدائرة الكائن في بعبدا- شارع سوق بعبدا – مبنى الحلو – الطابق الأول لتبلغ بريدهم خلال مهلة ثلاثين يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلام، والا يعتبر التبليغ حاصلاً بصورة صحيحة بعد انتهاء مهلة المراجعة المشار إليها أعلاه، علماً انه سيتم نشر هذا الإعلام على الموقع الإلكتروني.

رقم المكلف	اسم المكلف
861651	جورج المعروف جينو بشاره الكلاب
462523	كلودين فؤاد الشبير
225511	نعوم زخيا الراعي
783920	احمد وهبه جوهر
582547	ابراهيم حسين بدير
2264717	عايض عبد المجيد بن فهد زيد الشريف
995383	عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل
145769	اسماعيل امان حسن حيدر
991764	حليم سليم عطا الله
1198334	سعدى اسعد سري الدين
145777	باسم اسماعيل حسن حيدر
1235418	مائلة محمد السابر
1182983	جينفر مارغريت سيسل بدل حشيشو
2253621	اكرم حسن الصايغ
1336381	عائشة سيف صقر المرى
2446482	ايليا س متري نجم نعمة
946695	ابراهيم ملحم نوفل
665739	الاميرة حياة شفيق وهاب
1592111	نهدية حسن ابو فخر
1235428	رابعة ناصر السابر

رئيس المصلحة المالية الإقليمية في محافظة جبل لبنان بالتكليف
خليل حرفوش
التكليف 275

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلبت المحامية ديمه حسين دكروب لموكلها حارث حسن عبد الساتر سند تمليك بدل عن ضائع بالقسم 8 من العقار 1267 منطقة ميناء الحصن.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب شادي شكيب نصر الدين لموكلته ميريم بيار فرح سند تمليك بدل عن ضائع للقسم B 25 من العقار 5250 منطقة الأشرفية.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب رياض حسن رعد بالأصالة عن نفسه وبوكالته عن جمال حسين حمدون سندي تمليك بدل عن ضائع للقسم 26 بلوك أ من العقار 2382 صيصبلية.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

الأخبار
al-akhbar
السبت 21 أيار 2022 العدد 4634

رحيل

سمير صبري... وداعاً «يا كابتن!»

القاهرة ـ **شيماء سليم**

لا نبالغ عندما نعتبر سمير صبري (1936 ـ 2022) بمثابة مؤسسة ترفيهية متكاملة، فهو من الاستثناءات الفنية التي يمكن أن نطلق عليها صفة «فنان شامل». الممثل المصري الذي انطفأ أمس بعد صراع مع المرض، عمل مذيعاً، ومغنياً، وممثلاً، ومنتجاً، بالإضافة إلى كاتب سيناريو حلقات برنامجه «كان زمان» الذي حكى تاريخ الفن في مصر، واستضاف العديد من الشخصيات الفنية الكبيرة في تاريخ السينما المصرية، أو مثل التحقيق المصوّر المطوّل الذي قدّمه في حلقات عدة عن موت سعاد حسني.

وصف «الفنان الشامل» في حالة صبري، يشير أيضاً إلى قدرته على التنويع في الأدوار التي قدّمها بين كوميدي وتراجيدي، رومانسي أو أكشن، استعراضي أو ميلودرامي في جميع فنون التمثيل من السينما إلى التلفزيون فالإذاعة. فنان قادر على التلوّن في أدواره، استطاع إقناع المتفرج بطبيعة أي شخصية يؤديها، وتمتع بـ «كاريزما» كمذيع ومقدّم برامج، وتمكّن من العديد من اللغات، وربطته علاقات شخصية وطيدة مع الجميع. فنان «جاد» جدية نادراً ما نصادفها. جاد في كل كبيرة وصغيرة في حياته الفنية والشخصية. صبري الذي ولد في الإسكندرية، نشأ طفلاً وصبياً في عائلة تقدّر الفن، فبدأ الولد الصغير يتعلق به ويعشقه، خصوصاً عندما اكتشف قدرته على تقليد الفنانين الذين يشاهدهم على شاشة السينما وخشبة المسرح. تطور العشق بدخوله إحدى أهم المدارس في مصر (فيكتوريا كوليدج). تعلّق صبري بفن التمثيل، ومن قبله يوسف شاهين وعمر الشريف من خلال مسرحيات شكسبير التي مثّلوها على مسرح المدرسة.

ومن الإسكندرية إلى القاهرة التي انتقل إليها والداه، كان صبري يعود إلى بيته في حي العجوزة، حيث كان يرى النجوم على أرض الواقع وأهمهم نجم الخمسينيات الأشهر عبد الحليم حافظ. تلك المصادفة التي جعلته يقترب من «العندليب الأسمر»، لعبت دوراً كبيراً في المرحلة الأولى لبدايته كممثل، إذ حدث أكثر من مرة أن غاب ممثل شاب عن تأدية دوره في أحد الأفلام، فتمّت الاستعانة بصبري. تكرّر ذلك في فيلمَي «اللص والكلاب» (1962)، و«زقاق المدق» (1963). واصل صبري تأدية الأدوار الصغيرة ذات الطبيعة المحددة التي تلخصها الكاتبة ناهد صلاح في كتاب «سمير صبري... حكايتي مع السينما». تورد أنّ أدواره في المرحلة الأولى لدخوله عالم التمثيل كانت «نموذجاً متكرراً للشاب الصغير ذي اللكنة المكسورة والشكل الغربي، الشاب «المتفرنج» أو الخواجة الذي يظهر أحياناً في دور الشرير الذي ينتمي إلى عصابة دولية خطيرة ضمن أحداث محورها الكوميديا... أو أن يكون صاحب البطل أو غريمه الذي ينافسه على حب الفتاة. لكنه لا يتحمل المواجهة ولا يكمل معركة من أجل فتاته، بل في الغالب يحصل على «علقة ساخنة» ينتهي الفيلم بها». لم يجد صبري حظاً وفيراً في حقبة الستينيات، بل نادراً ما شهدت تلك الفترة تميزاً ما لأدواره أو خروجاً عن الأنماط السابقة الذكر. ولكن من الناحية الأخرى، تميز صبري كمذيع وصوت نقي جذاب.

مع بداية السبعينيات، أخذ تفكيره تجاه الأدوار التي يقدمها في السينما، يتغير وينضج. لم يعد يرضى بالأدوار التقليدية التي حصرها به المخرجون والمنتجون. راح يبحث عن شخصيات مختلفة، أغلبها نبيلة متمسكة بالمبادئ، عطوفة يملأ الحبّ قلبها، حنونة ومتفهّمة لنقاط ضعف الآخرين. تجلّى ذلك في أفلام مثل «حب وكبرياء» (1972)،

السبعينيات كانت بمثابة المرحلة الذهبية في تاريخه كممثل

و«غابة من السيقان»، و«حكايتي مع الزمان» و«الوفاء العظيم» (1974). هذا التحول جعل السبعينيات بمثابة المرحلة الذهبية في تاريخ صبري كممثل، خصوصاً مع حصوله على فرصته الحقيقية الأولى من خلال فيلم «بمبة كشر» (1974)، أولى بطولات نادية الجندي. كان الفيلم مغامرة أقدم على إنتاجها زوجها في تلك الفترة الفنان الراحل عماد حمدي. قبِل سمير صبري مشاركة الجندي البطولة التي رفضها العديد من النجوم الشباب في تلك الأيام خوفاً من الفشل. لكنّ الفيلم نجح تجارياً بشكل كبير وفتح طريق النجومية على اتساعه لنادية الجندي وسمير صبري. وبدأت مرحلة جديدة من الأدوار والأفلام الهامة، إلى حد ما تلقى النجاح التجاري والفني. كان صبري يعتني في تلك الفترة بإظهار قدراته التمثيلية، خصوصاً في الأعمال الميلودرامية التي كان يفضل أن يقدم بها أدوار الخير على عكس أدوار الشر التي بدأ بها مشواره. لكن رغم المجهود الذي بذله، فقد ظلت البطولات المطلقة تخاصمه وتتجاهله، مع أنّ ملامح البطل كانت متوافرة لديه. ولكنّ الوسامة والأداء التمثيلي الكلاسيكي، لم يكونا ما يبحث عنه الجمهور وصناع السينما آنذاك، خصوصاً مع ظهور موجات جديدة من الفنانين في الكتابة والتمثيل والإخراج. وكان السعي وراء الوجوه الطازجة التي تختلف عن نجوم سينما الأبيض والأسود، يطغى على الساحة...

حاول صبري من جديد، وأعاد الكرة من خلال عدد من الأفلام أنتجها بنفسه، لينال من خلالها البطولة الأولى التي تأخرت عليه. أولى المحاولات كانت في ما يطلق عليه الأفلام الكوميدية الرومانسية. جاءت البداية مع فيلم «أهلاً يا كابتن» (إخراج محمد عبد العزيز ـ 1978) وشاركت صبري البطولة فنانة تمثل النسخة النسائية لرحلته في عالم الفن، فنانة «شاملة»، تهتم بإظهار قدراتها التمثيلية الدرامية والكوميدية، لديها الملامح الأجنبية الجذابة نفسها. إنّها نيللي التي شكّلت مع صبري ثنائياً متناسقاً ورائعاً على الشاشة الفضية. أمر دفعهما لتكرار تجربة العمل سوياً في ثاني إنتاجات صبري «شفاه لا تعرف الكذب» (إخراج محمد عبد العزيز ـ 1980). لعل تألّق صبري ونيللي معاً كـ «دويتو سينمائي»، ظل عالقاً في ذاكرة الناس لسنين طويلة.

استمر صبري في محاولاته الإنتاجية ورغبته في خوض البطولات المطلقة لمدة 23 عاماً، أنتج فيها 11 فيلماً، ربما كان أهمها «دموع صاحبة الجلالة» (إخراج عاطف سالم ـ 1992) حيث جسّد شخصية الصحافي الانتهازي «محفوظ عجب»، بطل الرواية التي حملت العنوان نفسه للكاتب والصحافي موسى صبري. هذه الرواية يضرب ببطلها المثل في عالم الصحافة عند الإشارة إلى أي صحافي طفيلي أو انتهازي. وشارك في بطولة الفيلم مع البطل المنتج سمير صبري، نخبة من الفنانين الكبار كفريد شوقي، ويحيى شاهين، وأمينة رزق، وأحمد مظهر ومعهم سهير رمزي.

بعد ذلك، تباطأت خطوات صبري، أحياناً بفعل الزمن وغالباً بسبب الحالة الفنية التي سادت مصر على مستوى السينما، تحديداً مع بداية التسعينيات وقلة الإنتاج والإقبال الجماهيري على الأفلام المصرية. مع ذلك، لم يستسلم. ظلّ يشارك بين الحين والآخر في أدوار ثانوية، ولكن مؤثرة في بعض المسلسلات مثل «يا ورد مين يشتريك» (2004)، و «حضرة المتهم أبي» (2006)، و «قضية رأي عام» (2007).

ومع مرور الزمن، تقلّص ظهور الفنان الشامل ليتحول إلى ظهور شرفي في بعض الأفلام والمسلسلات التي أدّت بطولتها مجموعة من الشباب الذين نشأوا على أعمال صبري. شباب لم ينسوا لحظاته السينمائية الجميلة التي ارتبطت بها ذكريات طفولتهم وأغانيه التي طالما علقت في أذهان الصغار وردّدوها في أوقاتهم المرحة مثل أغنيته الشهيرة «سكر... حلوة الدنيا سكر». صور وأصوات ستظل في الذاكرة، لا يمحوها الزمن ولا يغيّبها الموت.

«حتماً عائدون»... انتصارات أيّار تجمع عديسة بغزّة

الـ25 والـ21 من أيّار يومان حُفرا في تاريخ المقاومة في لبنان وفلسطين بفضل الإنجازات التي حقّقتها خلالهما. الأوّل عام 2000 حين تمّ تحرير معظم الأراضي اللبنانية التي احتلّها العدوّ الإسرائيلي منذ عام 1978، والثاني عام 2021 حين أُحرز انتصار معركة «سيف القدس» التي فرضت فيها المقاومة الفلسطينية معادلة جديدة مع العدوّ الصهيوني.

احتفالاً بهذين النَصريْن، تحيي «الحملة العالميّة للعودة إلى فلسطين» اليوم، «يوم العودة»، وتنظّم مهرجاناً في كلّ من بلدة عديسة في جنوب لبنان، وقطاع غزة، ضمن فعالية «حتماً عائدون».

يتضمّن البرنامج المشترك، إلى جانب كلمات لقادة المقاومة، إزاحة الستار عن نُصُب «مفتاح العودة»، ومسيرة لأكثر من 60 خيّالة ينطلقون من كفركلا إلى عديسة، ويتوقفون عند جدارية «بوابة القدس» ويلقون بياناً يوجّهونه إلى خيّالة غزة، الذين سيردّون بدورهم ببيان يؤكّدون فيه التزام قضية فلسطين والعمل على تحريرها، بحسب ما أوضح أمين سرّ الحملة، عبد الملك سكّريّة، الذي أشار إلى أنّه ستكون هناك كلمتان تُنقلان بشكل متزامن من غزة وجنوب لبنان.

وقال إنّ «المهرجان واحدٌ في مكانين لتأكيد وحدة الساحات»، وإنّ «تحرير الجنوب عام 2000 أسّس لزمن الانتصارات وآخرها انتصار «سيف القدس». واعتبر أنّ «من يقول إنّ العمل على معالجة الانهيار الاقتصادي في لبنان أولوية على المهرجان يقدّم خدمةً للعدو الذي يستهدف لبنان كما فلسطين»، معتبراً أنّ «أميركا سبب هذه الأزمة وتمنع لبنان من حلّ مشاكله بالتعاون مع إيران والصين».

المفكرة

«بعلبك» تستعيد أمسياتها

■ صحيح أنّ القائمين على «مهرجانات بعلبك الدولية» أعلنوا أخيراً عن عودة الأنشطة الفنية إلى «مدينة الشمس» بعد انقطاع بسبب جائحة كورونا والأزمة الاقتصادية. لكن اللجنة المنظّمة انتظرت انقضاء الانتخابات النيابية للإعلان عن برنامجها الفني. في هذا السياق، دعت اللجنة المنظّمة لـ «بعلبك» إلى مؤتمر صحافي يُقام الخميس المقبل (11:30) في قلعة بعلبك الرومانية للكشف عن تفاصيل السهرات. ولفتت اللجنة في بيان لها، إلى «أنّ استئناف الحفلات هذا العام رغم كل الظروف التي تمرّ بها البلاد، هو بمثابة خطوة تهدف إلى إعادة إحياء النشاطات الثقافية». وتابعت اللجنة أنّ من ضمن الحفلات هذا العام ستكون هناك سهرة لفرقة «أدونيس» اللبنانية في 10 تموز المقبل. وأوضحت المسؤولة الإعلامية لمهرجانات «بعلبك الدولية» مايا حلبي لنا أن «مهرجانات بعلبك» هذا العام ستضمّ أربع حفلات، اثنتان منها لفرقتَين لبنانيّتين، واثنتان من الأجانب.

غزلان مليح: الصوفي يعانق الإلكترونيك

■ تشتغل غزلان مليح على مشروع «من فاس إلى بيروت» الذي يتضمّن تقديم باقة منوعة من الأغنيات العربية على امتداد الخريطة من المغرب إلى لبنان. عن هذا المشروع وسواه، تتحدث الفنانة المغربية المقيمة حالياً في فرنسا ضمن برنامج «بيت القصيد» (الميادين) الذي يقدّمه الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي. ويتناول الحوار نشأة مليح على سماع الأغنيات الجادة والطرب الأصيل، وعلاقتها بالتراث الموسيقي والغنائي المغربي بأنماطه المختلفة، وكذلك تقديمها مجموعة من الأغنيات الصوفية من أشعار ابن الفارض الملقب بسلطان العاشقين، وأسباب دمجها الغناء الصوفي بالموسيقى الإلكترونية. تخلّل

الحلقة شهادة من رئيس «جمعية الطرب الأصيل» في الدار البيضاء فؤاد غسوس.

«بيت القصيد»: س: 21:00 مساء اليوم على «الميادين»

أمسية باريسية لمحبّي الشعر

■ ضمن فعاليات «مقهى أدبي» في باريس، يقيم «منتدى شعراء المهجر» أمسية شعرية للشاعرَين مهدي منصور والزميل محمد ناصر الدين في «مقهى كومبتوار البانثيون» (شارع سوفلو) باريس عند الرابعة (بتوقيت باريس) من عصر الأحد 22 أيار (مايو).

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 21 أيار 2022
العدد 4634 السنة الخامسة عشرة
Samedi 21 Mai 2022 nº 4634 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

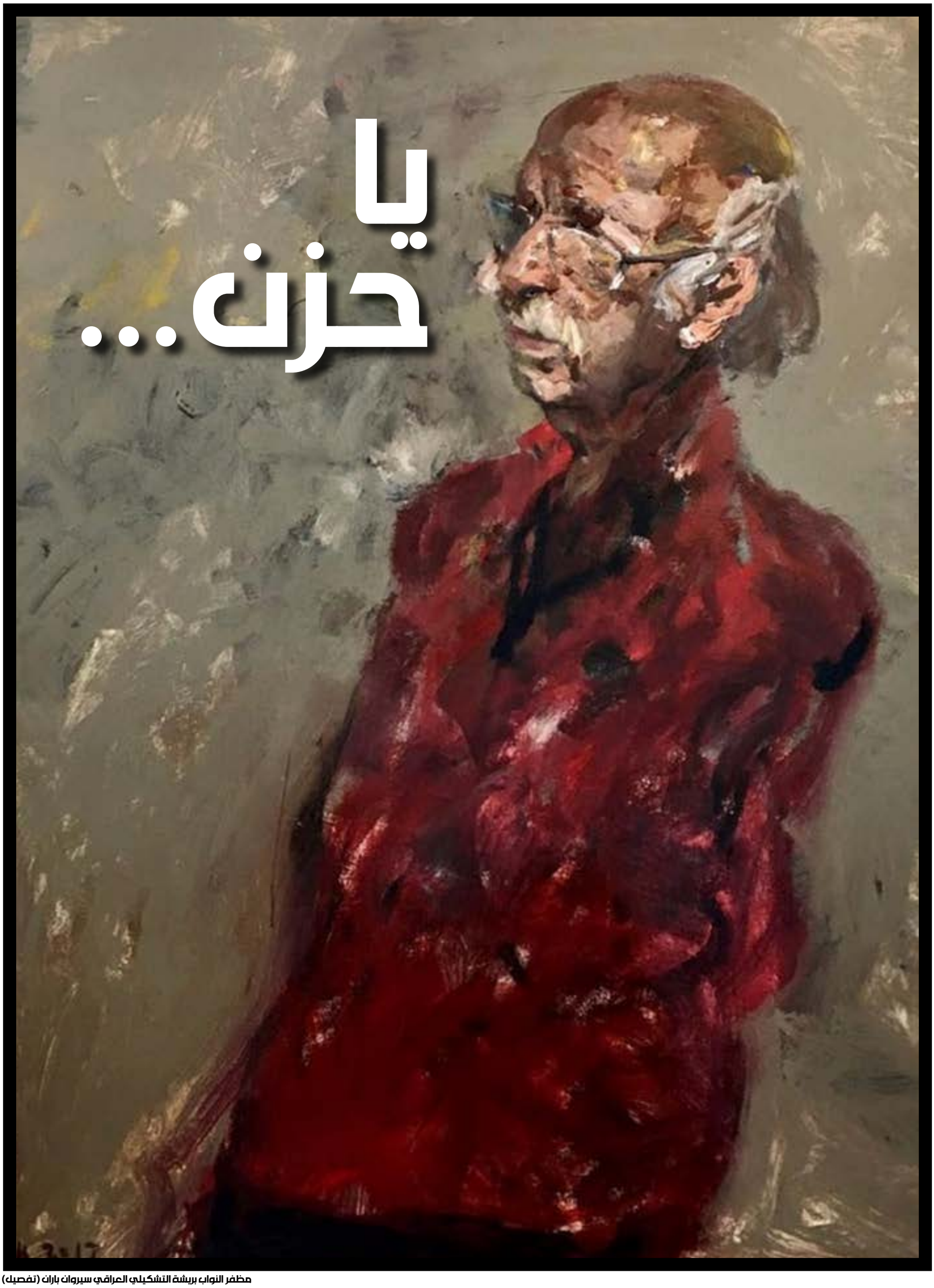

مظفر النواب بريشة التشكيلي العراقي سيروان باران (تفصيل)

ضلوعنا مزامير للحزن... يا مظفر

كانَ قدر الشعراء العراقيين ان يموتوا غرباء. مات بدر شاكر السيّاب في الكويت، ورحل أحمد الصافي النجفي برصاصة قنّاص في بيروت، وانطفأ الجواهري، ثم البياتي في دمشق، ورحلت نازك الملائكة في القاهرة، ومات سركون بولص في المانيا، وها هو مظفّر النواب يغيب امس في احد مستشفيات الإمارات. لكنّ صاحب «لليل وحمد» و«القدس عروس عروبتكم» خالد خلود الدهر. فقد كان الشاعر الغاضب الذي حرّكت قصائده التعبوية الهادرة، الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج. كما كان الشاعر الملتصق بهموم ووجدان شعوب المنطقة، الساخط على سماسرة القضية، قضية فلسطين. وهو أيضاً الرائد في تجديد القصيدة العامية العراقية، بشعر مجبول بالحزن وبحضارة بلاد الرافدين

شاعر البذاءة المقدسة «قرّع» الأنظمة العربية وعاش طريداً بين المنافي

خليل صويلح

هذه المرّة كان الخبر المفجع مؤكداً. مات مظفّر النواب. انطوى زمن الهُتاف الثوري، والحناجر النازفة ببلاغة الأمل، و«زرازير البراري». طاولته في مقهى «الهافانا» الدمشقي، تفتقده منذ سنوات طويلة، الطاولة التي كانت على موعدٍ يومي مع الشاعر، احتلها لاعبو نرد غرباء. ذلك أن مظفّر النوّاب (1934-2022)، غادر دمشق مرغماً، بعد طول إقامة وعشق وحنين، إلى بيروت، ثم عاد إلى بغداد مكرّماً (2011) بعد نحو أربعة عقود من المنافي، وربما كي يُدفن هناك، بعدما أنهكه المرض والترحال والوحدة. لم يطل به المقام في العراق الجديد، فهو ليس البلد الذي انتظره طويلاً، من منفى إلى آخر، إذ وجد

> وصف سعدي يوسف «لليل وحمد» بأنه نموذج خارف ومدهش في تاريخ العامية العراقية

حطام بلاد غير التي حلم بها في منافيه، شمّ رائحة عفن لا رائحة هيل كما في إحدى قصائده العامية المشهورة، لينتهي به المطاف أخيراً، في الإمارات العربية المتحدة، بعد غيبوبة طويلة.

كان عام 1963 ـ إثر صعود الرفاق البعثيين إلى السلطة ـ بداية رحلته مع الشقاء والمطاردة والاختفاء، بسبب تضييق الخناق على الشيوعيين، فاضطر للهرب إلى إيران عن طريق البصرة، ليكمل طريقه إلى موسكو معقل الشيوعية العالمية، إلا أن المخابرات الإيرانية «الساڤاك» قرّرت تسليمه إلى الأمن العراقي ليواجه حكماً بالإعدام، انتهى إلى السجن المؤبّد. في سجن «نقرة السلمان» الصحراوي، ذاق عذاباً رهيباً، قبل أن يُنقل إلى سجن «الحلة»، وهناك تمكّن مع بعض رفاقه من حفر نفق في الزنزانة، والتسلّل إلى خارج أسوار السجن، في حادثة مشهورة. هكذا اختفى فترةً في بغداد، قبل أن يتجه إلى الأهوار في الجنوب. هناك اكتشف حياةً مختلفة، وانتبه بشغف إلى رنين لهجة تضجّ بموسيقى خفية، سوف تكون في متن قصيدته العامية واشتقاقاتها المتعدّدة، القصيدة التي يشبهها الشاعر بلبونة الطين وتكويناته، فيما يرى أن الفصحى تشبه النحت بالحجر. ولكن هل غيابه الشخصي عن المنابر، سحب قصيدته من التداول؟ القصيدة التي كانت أشبه بحقل ألغام، وقنبلة موقوتة، ووثيقة إدانة، القصيدة التي تحتشد بمعجم من المفردات النارية، وبلاغة الرفض، والسخط على أنظمة العار، والهجاء المرير لخريطة مزّقتها الشعارات والهزائم. لا شكّ في أن قارئ اليوم، الثمل بجرعات الميديا، وما بعد ثقافة الكاسيت، سيعيش حالة اغتراب قصوى نحو قصائد صاحب «وتريات ليلية»، ولن يجد نفسه في عبارة مثل «القدس عروس عروبتكم/ أولاد القحبة هل تسكتُ مغتصبة؟»، العبارة التي تناقلتها أجيال المتمرّد مثل مانفيستو ثوري عبر أشرطة الكاسيت المهرّبة، كأنّ شاعر الفصحى كائن آخر لا يشبهه شاعر العامية إلا بالاسم، ذلك الذي يذوب شجناً وحنيناً وشفافية بصوته المجروح. قارئ اليوم أيضاً لم تعد تهزّ وجدانه القصائد المدجّجة بالسلاح والهتاف و«وطني هل أنت بقية داحس والغبراء»، بعدما فقد خنادقه كلها، وبات مكشوفاً مثل دريئة في حقل رمي. لعل المشكلة الأساسية هنا تكمن في ارتباط هذا الشعر بحقبة ثورية من جهة، وتغيّر الذائقة الشعرية تحت ضربات الهزائم العربية المتتالية، وتمزّق الخريطة إلى خرائط، من جهةٍ ثانية. فمظفّر النوّاب شاعر القضايا الخاسرة بامتياز من بغداد إلى القدس وحتى ظفار «قمم، قمم، معزى على غنم/ جالاة الكيش، على سمو نعجة، على حمار بالقدم/ مضرطة لها نغم» يقول. هكذا دلق الشاعر كل المفردات الشنيعة في المعجم، محرّضاً على ثورات لم تحصل، وحين أتت في «الربيع الأسود»، كان الشاعر قد أطفأ شعلته واستراح.

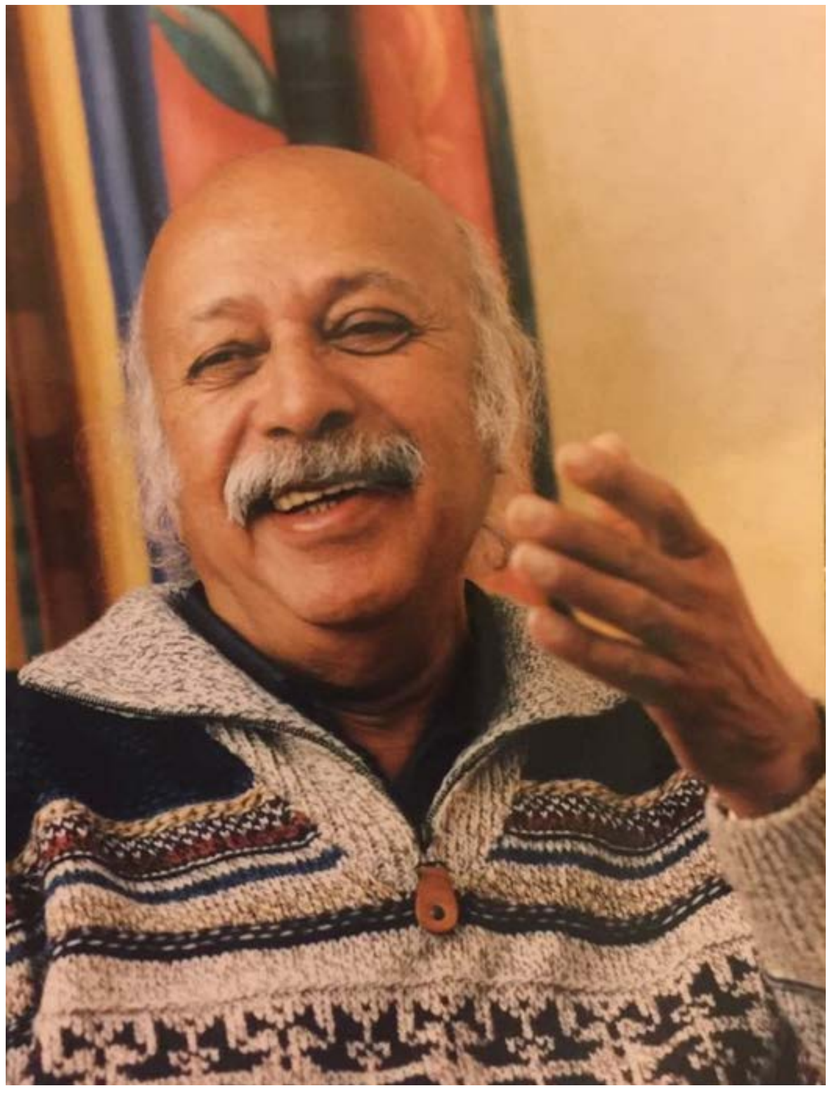

سننتصر إذاً، لمفردات «لليل وحمد»، وسنسافر في ذلك القطار الليلي المحزون، وتلك النبرة الشجية، أكثر من انتصارنا لعبارات مثل «يا بن الشحنة السلبية، بطارية حزبك فارغة، ماذا أعمل؟»، و«ترى أنهار النفط تسيل/ لا تسأل عن سعر البرميل/ والدم أيضاً». لعل معضلة هذا الشعر تكمن في أسباب وزمن كتابته، ومحمولاته الإيديولوجية، ففي ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، لم تتكشّف رايات الهزيمة، كما هي اليوم، ذلك أن هذا الشاعر الشيوعي المتمرّد على المعاجم، كان يأمل مدينةً أخرى، تخفق في شوارعها الرايات الحمر، وليس سحل الرفاق، ودفنهم في المعتقلات الصحراوية، وإذا بصاحب «رسالة حربية عاشقة» الذي عاش فاتورةً كاملةً من المنافي والسجون، يهدينا الوهم، من دون أن يقصد ذلك، فالحلم الثوري الذي اختبره عن كثب من بغداد إلى ظفار، إلى إريتريا، ودمشق، انطوى على خيبة أمل كبرى، وكابوس طويل، لم تتمكن قصائد التحريض من تقويضه، بأكثر من زمن إنشاد القصيدة، أو سماعها.

لنقل إذاً، إن مظفّر النوّاب كان شاعر سماع في المقام الأول، لذلك بقيت قصيدته الفصحى بمنأى عن النقد، قصيدة مرتهنة للمناسبة والمنبر والمناخ، على رغم غنائيتها المشبعة بصوفية سياسية واضحة، لم تكترث بمنجز أصوات الحداثة في الشعر العراقي، فنحن لن نجد روحاً سيابية (نسبة إلى السيّاب) في قاموس هذا الشاعر، جرياً على تجارب مجايليه. لعله كان سيّاب العامية العراقية بامتياز، ففي الوقت الذي عبرت فيه «أنشودة المطر» لبدر شاكر السياب، ضفاف دجلة إلى خارج الحدود مثل أيقونة شعرية، كانت «لليل وحمد» تسافر على القارب نفسه، إلى كل أنحاء العالم العربي، مثل شهب ناري، لتختزل المسافة بين لهجة الأهوار في الجنوب العراقي المقهور، والعامية العربية الأخرى. وإذا بصوت شعري استثنائي يجترح منطقة لغوية بكراً. لغة متشبعة بالتراث الشعبي لبلاد الرافدين، وبنداءات المواكب الكربلائية، والهوسات البدوية، وشجن الأهوار، كما تنطوي على طاقات روحية متأجّجة، ومنجم غني بالإحالات الوجدانية، وهذا ما جعل سعدي يوسف يقول بأن «لليل وحمد» نموذج خارق ومدهش في تاريخ العامية العراقية. على الأرجح، فإن قصيدة النوّاب هي تاريخ الحزن محمولاً على ناي اللغة في أقصى تشظياتها وعنفوانها العاطفي، وقدرتها على التحليق عالياً. لنتذكّر قصيدته المشهورة «البراءة» التي كتبها إثر زجّه في معتقل «نقرة السلمان» (1964)، أو«زرازير البراري» إحدى علامات شعر العشق العراقي. يقول: «جفنك جنح فراشة غض/ وحجارة جفني وما غمض/ يلتمشي بيّه وبه النبض/ روحي على روحك تنسحن/حن بويه حن». لم يخن مظفر النوّاب قصيدته السياسية يوماً، ولكن قصيدته هي من خانته، حين أغلقت الأحزاب الثورية دكاكينها، واندحرت خنادق الثوار، وانطفأت مواقد حماسة اليسار، وأجهضت المشاريع الراديكالية، فكان على الشاعر أن يصمت، ويكتفي بحركتين بدلاً من أربع، في «وتريات ليلية»، كما كان يخطّط، لكن الأنظمة المستبدة التي طالما هجاها بخشونة وبذاءة ورفض، قطعت حبل البشر، في منتصف المسافة إلى الماء، فجفّت كلماته في الحنجرة، إيذاناً بزمن خسر أحلامه وقضاياه وتطلعاته. الصمت عبادة، وفقاً لما يقول، نائياً بنفسه عمّا أصاب عراق ما بعد الاحتلال. البلاد التي لم يعد إليها، طائر المنافي الحزين، إلا متأخراً، تحت وطأة المرض والحنين والعوز، و«التكريم» الذي أتى بغير زمانه، ليدخل هذه المرّة نفق العزلة الاختيارية، وآلام الشيخوخة، وأعباء مرض «باركنسون». هكذا بقيت قصائد هذا الشاعر المفرد، في العراء، وفي أصوات المغنّين وشماً لا يُمحى، أو في طبعات مقرصنة، سواء في كتب أم في أشرطة مسجّلة، كما لو أنها تراث جمعي تتوارثه الأجيال. كان قدر الشعراء العراقيين أن يموتوا غرباء في المنافي، فمنذ صرخة بدر شاكر السيّاب «غريب على الخليج» الذي مات وحيداً في الكويت، رحل أحمد الصافي النجفي برصاصة قنّاص في بيروت، وانطفأ الجواهري، ثم البياتي في دمشق، ورحلت نازك الملائكة في القاهرة، ومات سركون بولص في المانيا، وغاب فوزي كريم في ضباب لندن، وها هو مظفّر النواب يغيب في الإمارات العربية المتحدة، فيما يوغل «قطار الليل» في براري الوحشة، وتهبّ رائحة هيل.

> لم يخن قصيدته السياسية يوماً، ولكنها هي من خانته حين انطفأت حماسة اليسار

قلادة في عنقه

لطالما كانت فلسطين الجمرة التي أوقدت قصائد مظفر النواب نحو بوصلة الأرض المنهوبة، إذ استنفر معجماً خاصاً في رسم تضاريس البلاد المغتصبة، وإذا بحياته الشخصية تتقاطع مع نصوصه المتفجّرة بحمى اللغة وبلاغتها النافرة. وكأن هوية الشاعر لا تكتمل من دون أن يؤرخ وقائع التحولات السياسية والهزائم الرسمية، فيما كانت فلسطين القلادة التي تطوّق عنقه مثل تعويذة تحمي روحه من اليأس. هكذا كتب «القدس عروس عروبتكم» في هجاء مرير للسلطات المتخاذلة، وقصيدة «تل الزعتر»، و«من باع فلسطين»، و«عرس الانتفاضة». مستدعياً قاموساً شتائمياً في فضح الحكّام المتخاذلين. إذ شكلت مفردات مثل خيانة، وخصيان، وأبناء الكلب، وعرب الصمت، جوهر نصوصه المضادة في هتك البلاد المغتصبة، وإذا بحياته الشخصية تتقاطع مع نصوصه المتفجّرة بحمى اللغة وبلاغتها النافرة. وكأن هوية الشاعر لا تكتمل من دون أن يؤرخ وقائع التحولات السياسية والهزائم الرسمية، فيما كانت فلسطين القلادة التي تطوّق عنقه مثل تعويذة تحمي روحه من اليأس. هكذا كتب «القدس عروس عروبتكم» في هجاء مرير للسلطات المتخاذلة، وقصيدة «تل الزعتر»، و«من باع فلسطين»، و«عرس الانتفاضة». مستدعياً قاموساً شتائمياً في مثل الأنهار تراه يسيل».

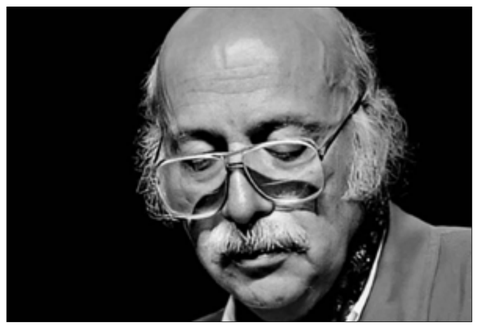

هوامش على دفتر فلسطين

عبد الرحمن جاسم

لم تؤثّر القضية الفلسطينية في «قلب» النواب فحسب، بل إنه كان أمراً متبادلاً. بمقدار ما أثرت به، أثّر فيها وفي شعرائها حدّ الثمالة. اعتبره كثيرون الوريث الشرعي للشاعر الفلسطيني الكبير عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» (1909-1980) فضلاً عن تأثيره على جيل بأكمله من الشعراء الفلسطينيين (بحسب كتاب «الصوت والصدى... مظفر النواب وحضوره في فلسطين» لأستاذ الأدب والنقد في جامعة «النجاح الوطنية» في غزة عادل الأسطة). الشاعر الناقم صاحب معلّقة «هوامش على دفتر النكسة»، التي تعرفها غالبية الناس عبر اسمها الشعبي «القدس عروس عروبتكم» عرفه الجمهور الفلسطيني نجماً. كانت تلك القصيدة، هي التي أرست علاقته بالجمهور العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً مع جمل شديدة القوة، والجزالة، فضلاً عن مشاعر وانفعال حميم اللهجة عميقها: من باع فلسطين سوى أعدائك أولئك يا وطني/ من باع فلسطين وأسرى بالله سوى قائمة الشحاذين/ على عتبات الحكام ومائدة الدول الكبرى/من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة ؟!/ القدس عروس عروبتكم !!/ فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها/ وسحبتم كل خناجركم... وتنافختم شرفاً/ وصرختم فيها أن تسكت صوناً للعرض/ فما أشرفكم أولاد القحبة... هل تسكت مغتصبة؟!

لم يسكت مظفّر كثيراً، الشاعر الذي تعرّض للحكم بالإعدام أكثر من مرّة، ولخطر الموت مراراً، كان يعرف أن سلاحه هو الكلمة. اختلف عن معظم شعراء مرحلته، كان مباشراً أكثر، شغوفاً بمواقفه، لا يحيد عنها، ولا يغيّر رأيه إطلاقاً. هذه الصفة جعلته في المخيال الشعبي الفلسطيني جزءاً من التراث الثقافي؛ فحكي الكثير عن تشابهات بينه وبين معين بسيسو مثلاً في كتابه «دفاتر فلسطين»، خصوصاً في لعبة «الذاكرة» التي يدور حولها الشاعران: الجلاد أمام الضحية، السجين أمام سجانيه، كل هذه الخطوات كانت تقود لعلاقة أكبر مع فلسطين. عرف السيّاب كذلك بأنه يقع حكماً في عن تلك القصائد في لحظة لاحقة. أنا ما. كتب درويش قصيدة «أنا الآخر» مثالاً، وكتب القاسم قصيدة «السلام» (التي تنتقد اتفاقيات السلام الموقّعة ومن يوقّعها)؛ لاحقاً حذف درويش «أنا الآخر» من مجموعته الكاملة، كما أبعد سميح «السلام» عن دواوينه المنشورة. عرف النوّاب غضباً كثيراً أثناء حديثه عن فلسطين والقضية، فكان صوتاً صارخاً حين حديثه عن مجزرة «تل الزعتر» فقال: «فعاصمة الفقراء لقد سقطت/ حاول طفل أن يستر جثة جدته/ فمن المخجل أن تعرض أفخاذ الجدة/ أردوه على فخذيها/ لا بأس بني فذاك غطاء/ هل تلد المرأة في الخيمة إلا جيشاً؟/ أولاد فلسطين/ سوف تعودون إلى أرض فلسطين ولكن جثثاً». فتّ الشاعر العراقي بناجي العلي لا كرسام فحسب، بل كشخص صاحبَ مبادئ وفكر، هزّه رحيله المفاجئ شهيداً، فرثاه بقصيدة جميلة، كان يبدو فيها التأثر والشجن أكثر من الشعرية. لكن مع هذا، باتت من مكان «مجازي خاص» بين شاعري فلسطين الكبيرين محمود درويش وسميح القاسم، ومكانته الخاصة تلك لربما كانت لأنهما - كليهما - كتبا بنَفَسٍ أحياناً، وإن «تراجعا»

> عرف بأنه يقع حكماً في مكان «مجازي» بين محمود درويش وسميح القاسم

معالم وداع ناجي قائلاً مثلاً: «لا أيها العربي القليل المحارب/ في الزمن الأجنبي/ فتلت تمائمهم لاصطيادك حبلاً/ والقيته في المدى/ قنصا قانصيك/ تخططهم في الخطوط فتصطادهم/ وكان الخطوط شباك/ وأنت أمير الصراط الجميل».

أبدع النوّاب في توصيف عملية «قبية» (1987) التي استشهد فيها المقاوم خالد أكر من «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة» حين طار بطائرته الشراعية ليحطّ في موقع «غيبور» الصهيوني ويقتل أكثر من عشرة جنود صهاينة من لواء النخبة «غولاني»، ويجرح عدداً كبيراً وهو لما يتجاوز التاسعة عشر من عمره. فكتب النواب قصيدته: «قل هي البندقية أنت»: «الدجى والمدى جبّحه/ نجمة للصباح الجميل/ كرياح الأعالي اختفى/ ما أحسست به غير زيتونة/ ألف قلب على كل غصن بها/ في الجليل/ شفرته إلى الأرض/ فارتفعت فقبلت قدميه/ لقد جاء في الزمن المستحيل».

ضلوعنا مزامير للحزن... يا مظفر

«مواويله» طَبعت الأغنية العراقية!

حسين السكاف

«الفترة الذهبية» تسمية أطلقها العراقيون على فترة السبعينيات التي عاشت في كنفها الأغنية العراقية أحلى سنوّاتها. هذه التسمية التي راقت كثيراً للمشتغلين في عالم الموسيقى والأغنية العراقية منذ ذلك الحين، هي اليوم تؤرّق مطربي وملحّني وحتى شعراء وقتنا الحالي، كونها أصبحت طموحاً يحاول فنّان اليوم الوصول إليه. لكن ما الذي يميّز تلك الفترة حتى تحظى بكل هذا الاهتمام؟ إنّها ببساطة ظاهرة الصورة الشعرية الجديدة التي حملتها الأغنية السبعينية. في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، ظهر على الساحة الغنائية العراقية شعراء تميّزت قصائدهم بحسّ شعري رقيق وصور حديثة لم تعرفها الأغنية العراقية من قبل، وبالتالي فإنّ الأذن العراقية صارت تسمع مفردات وجملاً ذات وقع خاص. ولا سيما تلك التي تحكي قصص العشق وتستعير مفردات الطبيعة لتكون صورة تحاكي عيون الحبيب وشعره وأحلامه الليلية. وقد مثّلت الأغنية السبعينية بالفعل الوجه المضيء للثقافة العراقية بقصائد شعراء مثل ذياب كزار «أبو سرحان» الشهير بأغنيتي «القنطرة» و«بنادم»، وزامل سعيد فتاح «المكير»، وزهير الدجيلي «الطيور الطايرة»، وكاظم الركابي «يا نجمة»، وطارق ياسين «لا خبر»، وجبار العزي «يكولون غني بفرح»، وناظم السماوي «يا حريمه»، وغيرهم. إنهم في الحقيقة شعراء أغنية بامتياز، منحت قصائدهم المغنّاة الأذن العراقية دروساً في التذوّق الشعري، وحرّرتها من بكائية ونواح الغناء الريفي، إلّا أننا نجد الشاعر مظفر النوّاب وقد تصدّر قائمة شعراء أغنية الفترة السبعينية رغم أنه لم يطرح نفسه يوماً، شاعراً غنائياً!

إنها الحقيقة، النواب لم يطرح نفسه شاعراً غنائياً، ولم يكتب قصائد غنائية بالشكل المتعارف عليه، إلا أننا نجد العديد من قصائده وقد تحوّلت إلى أغنيات سرعان ما تملّكت موقع الصدارة في الذاكرة العراقية، ومنها ما تحول إلى أمثال شعبية يتداولها الناس. لكن، هل قصائد النواب - العامية منها على وجه الخصوص - صالحة لتكون أغنيات يسمعها أبناء المجتمع على اختلاف مستوياتهم؟ وهل تأخذ الأغنية المكانة الرفيعة نفسها التي تتمتّع بها قصيدة النوّاب، الشاعر المعروف بقصائده الغاضبة المليئة بالدمع والدم وطلب الثأر والحثّ على الثورة، والجرأة في شتم الحكام وتعريتهم؟ الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها تتوقف بكل تأكيد على ثقافة الملحن ومعرفته الموسيقية وحسّه الشعري الذي يختار على أساسه النص الشعري. هناك من نجحت اختياراتهم لقصائد النواب مثل الملحّن الراحل كمال السيد الذي لحّن قصيدة «يا ريحان» للمطرب فاضل عواد، وقصيدة «مضايف هيل» للمطرب سامي كمال، وكان قد سبقه الملحّن محمد جواد أموري في لحن قصيدة «الريل وحمد» التي أدّاها ياس خضر. هذه القصيدة التي لحّنها أيضاً الملحّن كوكب حمزة وقدمها للمطرب الشاب علي رشيد، ثم نجح الملحّن طالب القرغولي في اختيار قصيدة النواب «زرازير البراري» أو «حن وأنه أحن» كما تسمى شعبياً، وقد سمعها الجمهور بصوت ياس خضر الذي يتمتّع بخصوصية حزن الطقوس الحسينية وبكائها. طالب القرغولي اختار أيضاً قصيدة «روحي» للنواب، لكن رغم التغييرات التي أجراها على القصيدة لتنسجم مع جوّ الأغنية العراقية آنذاك، إلّا أنها بقيت بخصوصيتها بعيدة عن مجال الأغنية وغير مؤهّلة لتكون أغنية يسمعها عامة الناس، كونها كُتبت على شكل رسالة عتاب إلى الحزب الشيوعي العراقي في ذكرى ميلاده. لهذا نجد الأغنية قد وقعت في فخ الفهم الخاطئ، حين غناها ياس خضر بصوته البكائي الحزين، حيث تلقّف الناس جملة شعرية وردت في القصيدة «الأغنية»: «عمر واتعدي الثلاثين... لا يا فلان». شاعت هذه الجملة بين الأوساط العراقية وجعلت العراقي يخاف أن يتجاوز عمره الثلاثين عاماً، كونه . وكما فهم ببساطته . يشكل بداية الشيخوخة، فالمطرب وتماشياً مع اللحن كان يؤديها بحزن وأسف... قصيدة أخرى اختارها القرغولي وقدّمها بصوت ياس خضر أيضاً هي «ليل البنفسج» ليستمر التعاون مع القرغولي وخضر حتى فترة قريبة، قدموا للمستمع العراقي والعربي العديد من الأغاني

ما من قصيدة له تحوّلت إلى أغنية، إلا ورافقها الجدال وبعض المشاكل

المغرقة بكلمات الحزن والأسف والبكاء. اختيارات القرغولي غالباً ما تكون من نصيب القصائد الحزينة والبكائية، مثل قصيدة «يا ليل» للشاعر رأمل سعيد فتاح وغيرها من الأغنيات الغارقة بحزنها وشكوتها، حتى صار الملحن والمطرب، عنوان الحزن في الأغنية العراقية بعد عكس طبيعتها وأجوائها الحقيقية... أما المطرب فؤاد سالم، فقد غنّى من قصائد النواب، قصيدة «عودتني» و«أيام المزيّن» وقصيدة «ترافه وليل» من ألحان كمال السيد.

ما من قصيدة لمظفر النواب تحولت إلى أغنية إلا وكان الجدال وبعض المشاكل مرافقة لها، فقصائد النواب في العشق والغزل وذكريات الأيام الجميلة، لا تخلو من كلمات وجمل يصعب إدخالها إلى جو الأغنية لو أخذت منفردة، وهذا ما يتطلب بعض التغييرات عليها. تغييرات تأتي غالباً بعيداً عن مصلحة القصيدة وبنائها. هذا ما حدث مع المطرب سعدون جابر الذي اختار قصيدة «مو حزن» ذات الخصوصية العالية، التي يصعب تقديمها كأغنية تطوف أرجاء مجتمع تتغلب فيه نسبة البسطاء والأميين على غيرها، فلا ندري كيف ستقنع الأغنية الفلاح العراقي بأن هناك بلبلاً يستيقظ من نومه متأخراً كأنه موظف كسول! كما جاء في أحد مقاطعها: «مو حزن/ لكن حزين... مثل بلبل كعد متأخر/ لكه بالبستان كله بلايا تبن...» وكيف سيقتنع العارف بقصة البلبل الذي علّم البابليين صناعة الخمر من التمر، حين تطرح الأغنية ثمرة التين بديلاً عن التمر.

والحقيقة أن أجمل ما قدّم مظفر النواب من قصائد في الأغنية العراقية، هي تلك التي جاءت على شكل مواويل، فالموال العراقي يعتمد الحزن والأنين والمغالاة بإظهار الوجع، تماماً كما هي قصائد النواب. وقد كان للمطرب الراحل رياض أحمد حصة الأسد من إعجاب الجمهور بقصائد النواب، لما أضاف إليها صوته من حلاوة وقدرة أداء عالية.

صعلوك عصري بنبرة مجروحة

علي كريم

عُرف مظفّر النواب كأحد أبرز الأصوات الشعرية الثورية في القرن العشرين، إن لم يكن الأبرز. عوامل عدّة انتجت تلازماً كبيراً حدّ الاتحاد بينه وبين الرفض والانقلاب والمنفى ومفرداته وتجلياته في الحياة الحديثة. يمكن لنا بالنظر إلى تجربة الشعر عند مظفر أن نُعاين ملامح صورة مكتملة لصعلوك عصري، حيث الكائن مُشبع بالخيبة والمثالية، ولا أدلّ على ذلك من نبرته المجروحة الحالمة. وفي لومه الدائم، طوال مسيرته مع الشعر، للواقع الخائب والهزائم المتتالية للإنسان الحالي بشكل عام توصيفٌ واضح لتلك الحالة.

بغضّ النظر عن مفردات النقد الأدبي وما لها من تحليلات، على قلّتها، في الحالة النوابية، فإنّ أبرز ما يميّز ظاهرته، وهو ما يُعتبر أساساً في التعاطي مع شعره وفهمه، هو صوته وطريقته في قراءة شعره. فقد عمد إلى إلقاء قصائده برقّة العود أحياناً كثيرة، فضلاً عما تركّز في أدائه صوتيا من غنائية وحساسية مفرطة تتناسبان مع مفردات القصيدة، وما فيها عند النواب من حزن وحنين وتفجّع، وصولاً إلى هجائه الفاحش للأنظمة العربية وحكامها، وبهذا لا تسهل مقاربة نصه الشعري من دون الالتفات إلى هذا الجانب الأصيل في قصائده. يمكننا بالرجوع إلى سيرته أن نستشفّ مرجعيات هذه النبرة الغاضبة المشبعة بالحزن، وأن نفهم كيف انحاز إلى القصيدة المنبرية الدائمة التقريع، خصوصاً السياسية منها، فما تحفل به حياته من تأثّر بالموروث العراقي الحزين بكل تشكّلاته من موسيقى ومواويل وقصائد شعبية وشعر ومواكب عاشورائية، إضافة إلى ما تعرّض له من قمع وسجن وما مرّ عليه من أزمنة العراق والمنطقة العربية من تخبّط على جميع المستويات كفيل بأن يكشف لنا الكثير مما تحتويه

شتم الذات العربية المتهالكة، وشكّل قصائده سجلاً لفضيحتها وكشف تستّرها بالشعارات الواهية

شخصية النواب وشعره على حدّ سواء. ففي ستينيات القرن الماضي، حُكم عليه بالإعدام، بعد سلسلة مُضنية من الملاحقات والتخفّي، على خلفية الصراعات ما بين الشيوعيين والنظام الحاكم آنذاك، وقد قضى فترة منها في الأهوار هارباً؛ ما أتاح له فرصة للتعمّق في النسغ العراقي أكثر فأكثر. ويُشير النواب إلى تلك الفترة بتفاصيلها في قصيدته «بكائية على صدر الوطن»، إذ يقول: «قاومتُ الاستعمار فشرّدني وطني/ غامتْ عيناي من التعذيب/ رأيتُ النخلة... ذات النخلة/ والنهر المتشدّق بالله على الأهوار/ وأصبح شط العرب الآن قريباً مني/ والله كذلك كان هنا/ واحتشدَ الفلاحون عليّ». انتقض النواب بالقصيدة إذاً، شتم الذات العربية المتهالكة، وشكّل قصائده سجلاً لفضيحتها وكشف تستّرها بالشعارات الواهية، كما في قصائده «القدس عروس عروبتكم» و«وتريات ليلية» و«الأساطيل» التي تناولت تزلّف الحكام والنكبات العربية والصمت والتخاذل الشعبي، بلغة مناسبة متفجّرة تفيض فيها صور متفاوتة الجمالية، إلّا أنّ لها ذروات خاطفة دقيقة التعبير. ولم تقتصر تجربته على الشعر الفصيح، فله الكثير من القصائد العامية حتى إن بدابات شهرته كانت مع تلك القصائد وقد أخذت حظّها من الشهرة والدراسة من خلال تحوّلها إلى أغنيات شعبية مثل قصيدة «الريل وحمد» الشهيرة التي كُتبت بين عامَي 1956 و1958 ويقول النواب نفسه إنّها فتحت بمفرداتها المتداولة بين الناس أبواباً جديدة للقصيدة العامية وإنه كتبها متأثراً بممارسته للرسم والأجواء الموسيقية في عائلته، ذلك أن القصيدة تتابع برسم صور متعدّدة عن العراق وبيئته الشعبية كما يُظهر مطلعها: «مرّينه بيكم حمد/ واحنه ابقطار الليل/ واسمعنه دكّ اكهوه/ وشمّينه ريحة هيل». وهنا لا بدّ من الإشارة إلى الدراسة المهمّة التي أعدّها حسين سرمك حسن بعنوان «الثورة النوابية» التي تناولت إبداعية النواب في شعره العامي خصوصاً.

تُخرج القصيدة عند النواب في كثير من تفاصيلها من عباءة التراث العربي، بمطالعها الغزلية في عدد كبير منها، وبتوصيفات للخمر والسُكر تتشابه مع نماذج في القصيدة العربية التقليدية، وذلك طبعاً بأسلوبه ومغايراته الخاصة، وفي بداية قصيدته «أيها القبطان» وصفٌ جليٌ لذلك: «اسقنيها وافضحي فيّ الظلاما/ بلغت نشوتها الخمرة في خديك نثر الورد في كاسك الدنامي/ وروت مبسمَ ورد نزّع التاج والقاه بأرواح السكارى». كذلك كانت للنواب تطرّقات إلى موضوعات تتقاطع بشكل أو آخر مع التصوّف والمتصوفة، وفي هذه المواضع تغلب على خطاب النواب لغة أشبه بالمناجاة والبوح السرائري الخافت وفيض الحميمية في التساؤل والتفكّر في الكون والإله واسترجاع فطرة ما في ذاكرة الشعور، وهذا كلّه أوضح ما يظهر في قصيدته «قافية الاقحوان» التي يقول فيها: «ها أنا أرفع وجهي لسماواتك/ لكن لا أرى شيئاً/ وها أنت ترانيّ/ فأنا الآن ضرير/ أترى يُبصر من لست تراه؟».

مظفر النواب القصيدة والنبرة الغاضبة حتى التحشرج وتاريخ الحزن المتجذّر الصادق بدأ تاريخ المنافي عام 1963 واستمرّ منفياً. فمروراً بمنفى الداخل والخارج، تأصّلت هذه الحالة وانسحبت على حياته كلّها وعلى شعره الذي كان مصداقاً لها.

لسان حال العربي المقهور

في ذلك الوقت، كان يعرف أن العربي الحامل لهمّه على جوعه وعوزه، قارئ غير جيد. ويعرف أيضاً، أن الهمّ الذي تعتمره دواخله على شكل قصائد، لا يمكن أن يكون مرحّباً به في مهرجانات وقاعات «الشرطة الحاكمين». في ذلك الوقت، اهتدى مظفّر إلى صوته، ليحمل قصائده على أشرطة الكاسيت ويدخل البيوتات العربية. وعلى حين غرّة، صار العربي المقهور بأحلامه وجوعه وأوجاع النكسة، يسمع من رحم آلة صغيرة صوت شكواه ويرى حمم بركان روحه المقهورة تتقاذف أمام عينيه، صار يسمع كأنه هو الذي يردّد «الآن أعريكم/ في كل عواصم هذا الوطن العربي، قتلتم فرحي/ (...) تعالوا نتحاكم قدام الصحراء العربية كي تحكم فينا/ (...) يا شرفاء مهزومين/ ويا حكاماً مهزومين/ ويا جمهوراً مهزوماً...». هكذا أدخل مظفر النواب الشعر إلى بيوت الأميين والبسطاء الكسبة، حطب الثورات ونارها ورمادها.

استطاع بقصائده زحزحة العديد من الجدران والحواجز، وتجاوز المحظورات التي بُنيت بوجه أيّ مُنتَج إبداعي «تحريضي» تحت ذريعة قدسية السلطة. تهاوت الحواجز (داخل الروح البشرية القلقة الخائفة) أمام قصائده، ليس بفعل قسوة الكلمة، ولكن بقوة موقف اتّخذ من الشعر وسيلة تعبير وإن بقي محض شعار تحريضي. صحيح أن قصائده تميّزت بالشتائم، إلّا أنها كانت متنفّس البسطاء، ومصدر تهدئة غضبهم الداخلي، وكانت أيضاً، سبباً في اتّساع جماهيرية النواب عربياً، حتى صار مثار اهتمام الشارع العربي. لقد أضافت «شتائمه» قيمة الشجاعة لقصائده، تلك الشجاعة التي كانت خافية في العديد من نتاج الشعراء. قصائد النواب وإن تجاوزت الخطوط الحمر، وأحدثت ثورة في المفهوم «التعبوي» للقصيدة، إلّا أن بعضهم يرى في قسوتها وجسارتها في كشف عري الدسائس والمهادنات والتنازلات التي يقدّمها العرب بشكل مستمر، إنها في الحقيقة ثورة لم تتجاوز حدود النفس البشرية. ثورة داخلية قمعت حسّ الثورة الحقيقية التي كان لها أن تُترجم على أرض الواقع: «الشعور المر داخل روح المواطن العربي الغاضب، تبخر بفعل سخونة القصيدة الشاتمة...».

ما من شك أن مظفر النواب يشكّل ظاهرة شعرية خاصة في الشعر العربي المعاصر. إنه شاعر معارض بامتياز، ومن يعرف النواب، يعرف موهبته في الرسم، ويعرف أيضاً حلاوة صوته، فهو مطرب من طراز خاص أثنى عليه الملحّن كوكب حمزة عندما سألناه عن أجمل «قرار» في الأصوات الغنائية العراقية فقال: «مظفر النواب». يضاف إلى هذا أن النواب يمتلك موهبة التمثيل. لذا فإنّ إلقاءه لقصائده يمتلك تأثيراً خاصاً على روح المتلقّي، فقصائده الملقاة من منصة المسرح غالباً ما تأتي بإيقاع طربي مؤدّى بمهارة الممثل.

آخر القرامطة

صلاح حسن *

هل يحتاج مظفّر النواب إلى تقديم؟ حسناً لنترك ذلك لكم لأنّ مظفر المتعدّد لا يمكن حصره في موقع واحد، فهو شاعر وفنان ومناضل ومنفيّ منذ أكثر من أربعين عاماً، جاب العالم طولاً وعرضاً. هذا القرمطي الشيوعي الشيعي صاحب علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري يرتبط بالناس بعلاقة خاصّة لا يمكن تفسيرها ببساطة. جمهوره لا يأتي أمسياته لكي يستمع فقط ولكنّه يأتي لكي ينفجر ويتألّم ويصرخ ويسبّ ويبكي. جمهور مظفّر لا يجلس بشكل طبيعي على الكراسي لأنّه قلق وتراه مرة يقف أو ينحني أو ينضغط لأنّه يعرف أن ما سيسمعه يسبّب ضغط الدم أو الذبحة الصدرية أو ضيقاً في التنفس. في المقابل، فإن مظفّر لا يبدأ أمسيته إلا بقارورة مليئة بالفودكا أو الجن يضعها أمامه على الطاولة لكي يخفّف من فرط توتره وهو يقرأ، لأنه عندما يقرأ لا يقرأ فحسب بل يتشظّى.

يمكن تشبيه شعر مظفر النواب بالطين... ليس لأنّه قريب من الطبيعة والناس فحسب، لكن على صعيد البناء والتقنية أيضاً. فالطين طبقات فيها الخشن وفيها الناعم، ويمكننا أن نقول إنّ الخطاب السياسي في شعريّة مظفّر ينتمي إلى طبقة الطين الخشنة، خصوصاً في نصوصه باللغة الفصحى. أمّا نصوص الحب المكتوبة بالعامية، فيمكن اعتبارها من طبقة الطين الناعم، ذلك النوع المسمّى «كلي لوم» يشبّه نعومتها خبراء التربة بنعومة حلمة نهد المرأة. في الطبقة الخشنة، يستخدم مظفر اللغة البذيئة والألفاظ الجارحة من دون أن يكون بذيئاً بالطبع، ولكن كي يكون الخطاب بمستوى الحدث. والأمثلة أكثر من أن تعدّ. لكن لا يفوتنا أنّ هذه التجربة الشعرية الصادقة تنمّ عن انسجام مع الذات والتزام أخلاقي فريد لا يمكن التعبير عنه إلا بطريقة مظفّر الخاصة. في الطبقة الناعمة – وهنا تكمن عبقرية مظفّر – يتحوّل الخطاب الشعري إلى ما يشبه السحر. لا ليس السحر ولكنّه شيء آخر تحت الجلد يشبه الرعشة أو الإغماء أو أحلام اليقظة لأنّه غير مسبوق ويحدث للمرّة الأولى. الصورة الشعرية عند مظفر باللغة العامية ينطبق عليها كل شيء ولا شيء. إذ إنّها سريالية ورمزية وواقعية وحلمية وحداثية وكلاسيكية. من المؤسف أنّنا لا نستطيع أن نورد أمثلة لشعره في العامية هنا لخصوصية اللهجة العراقية التي لا يفهمها القارئ العربي، وهي خسارة حقيقية لأنّ شعر مظفر العامي مذهل ونادر في خصوصيته وحساسيّته وجدّته. تحضر في نصوص مظفر العامية أكثر من شخصية، فإضافة إلى شخصية الشاعر، هناك شخصية الموسيقي والرسام والمناضل. ومن هذه المكوّنات النادرة تنبجس قصائده التي تحفل بالرموز التاريخية والأسطورية عميقة وواضحة ومتجانسة، بالرغم من أن مظفر لم يعش في بيئة الأهوار في الجنوب العراقي سوى أقل من سنة إلّا أنه امتصّ (كما الإسفنجة) لهجة أهل الهور وكدّسها في مخيّلته الخارقة، وهذه القضية مثار جدل لم ينتهِ حتى الآن، حيث مظفّر نفسه لا يجد جواباً حقيقياً لها.

يعتمد مظفر في كتابة قصيدته على الدراما. والدراما هنا «درامتان»، الأولى بالمعنى الشكسبيري الكارثي، والثانية بالمعنى الأرسطي التقني (بداية، صراع، نهاية). وأفضل مثال لتوضيح مفهوم الدراما في شعر مظفر بشقّيها هي قصيدة «وتريات ليلية»: «في تلك الساعة من شهوات الليل/ وعصافير الشوك الذهبية/ تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء/ وشجيرات البر تفوح بدف، مراهقة بدوية/ يكتظّ حليب اللوز/ ويقطر من نهديها في الليل/ وأنا تحت النهدين، إناء/ في تلك الساعة حيث تكون الأشياء/ بكاءً مطلق/ كنت على الناقة مغموراً بنجوم الليل الأبدية».

يعتمد على نوعين من الدراما، الأوّل بالمعنى الشكسبيري الكارثي والثاني بالمعنى الارسطي التقني

القصيدة في «مقهى الهافانا»

كانت لمظفر النواب طاولة خاصة في «مقهى الهافانا»، عندما يكون منشغلاً بالقصيدة لا يقربه أحد ولا حتّى ليلقي عليه التحية. يُشير برأسه لاصدقائه ومحبّيه، فيجلسون بعيداً عنه حتى ينتهي من الكتابة. يستخدم أوراقاً صغيرة حجمها لا يزيد عن عشرة سنتمترات مع قلم بحبر أسود وأحياناً يستخدم قلم الرصاص ويكتب القصيدة بكلمات صغيرة للغاية بخط جميل جداً ولا يكثر من الشطب أو يبدّل الكلمات، فكأن القصيدة عنده وحي تأتي كاملة في أغلب الأحيان.

الهرب من «سجن الحلة»

سُجن مظفر النواب أكثر من مرة مع رفاقه الشيوعيين وفي سجن الحلة المركزي خطّط مع هؤلاء الرفاق للهرب من السجن عن طريق نفق سيقومون بحفره بالملاعق والسكاكين الصغيرة. كان طول النفق 25 متراً وعرضه وارتفاعه 75 سنتمتراً. ولم يكن مستقيماً بل متعرجاً في الزوايا لسلامة سطحه وجدرانه من الانهيار. وكان من المؤمّل والمتّفق عليه أن تحضّر هويات مزوّرة وملابس مدنية للذين سيهربون وأن تهيّأ سيارات لنقلهم، إضافة إلى احترازات أخرى مثل معالجة حارس المرأب وغيرها من التفاصيل التي قد تستجد. بدأ السجناء بالخروج من النفق ومظفر واحد من هؤلاء السجناء، الذين بلغ عددهم ثلاثة وأربعين. الطريف في الأمر هو حارس المرأب الذي كان يجلس على كرسي في الباب ويردّ التحية على كلّ من يخرج منهم بدبلاتهم الجديدة وهم ينفضون عنها التراب. شعر أن شيئاً غريباً يحدث، إذ لم تدخل المرأب أي سيارة ولا أي شخص. فمن أين جاء هؤلاء الأشخاص الذين يخرجون من الباب أو يتقافزون فوق السياج ثم يهرولون صوب البستان المقابل؟ لم يجرؤ الحارس على دخول المرأب والتحقق بنفسه، وتحت تأثير هذا الذهول والاستغراب والفضول لمعرفة السبب، ذهب إلى شرطي المرور في الكابينة المقابلة وسأله:

. «لم تدخل أي سيارة ولم أرَ أحداً دخل المرأب منذ الظهر وحتى الآن ولكن أرى أن أناساً كثيرين يخرجون منه فمن أين جاؤوا؟ الله وحده يعلم بذلك...

انتبه الشرطي ورأى بعينيه أشخاصاً يتراكضون ويتقافزون فوق سياج المدرسة القريبة أو يهرولون في الشارع فنادى على السجّان الموجود فوق سطح السجن أن يلاحظ ماذا يحدث؟ لكن السجّان أصيب بالذهول عندما رأى أناساً يخرجون من حفرة خلف جدار السجن.

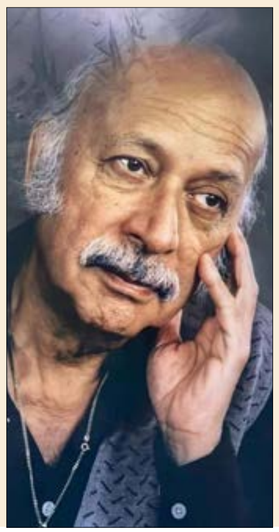

*شاعر عراقي

ضلوعنا مزامير للحزن... يا مظفر

ساحر الكلمة النابضة وشيطان المفردة الحيّة

سلام عبود*

عام 1956 كتب مظفر النواب أولى وأشهر قصائده العلنيّة «للرّيل وحمد»، ثم استكمل كتابتها عام 1958، بعد قيام ثورة 14 تموز، التي أطاحت النظام الملكي في العراق. بُني مضمون القصيدة على حدث واقعيّ، تعزف النواب إلى معايشيه شخصياً، حينما التقى امرأة ريفية في القطار النازل إلى البصرة. روت له المرأة قصة حبها لشخص اسمه حمد. وبسبب فشلهما في الزواج، اضطرت إلى الهرب من بيت أهلها ومن مدينتها، التي يمرّ بها القطار كلّ يوم. هذه الحادثة العابرة كوّنت الأساس الذي الهب خيال وعواطف النواب، وجعله يعيد تحويل القصة المحزّنة إلى قصيدة، أضحت ثورة تجديدية في أسلوب ومضمون الشعر الشعبي (العامي) العراقي. وفي وقت لاحق تحوّلت القصيدة إلى أغنية شعبية محببة، عمّقت من تأثير القصيدة في مشاعر الناس، وجعلتها مؤهّلة للخلود في ذاكرة العراقيين التواقة لاستقبال المآسي:

مرينا بيكم حمد واحنا بغطار الليل
اسمعنا دك القهوة وشممنا رائحة الهيل.

في غير مناسبة، يؤكّد النواب الرواية الغريبة، التي سَكّلت الأساس لولادة قصيدته الأولى. ولكن على الرغم من أن المجتمع العراقي تكوين غرائبي بامتياز، إلّا أن كثيرين ربما لا يجرؤون على تقبّل رواية اللقاء بالمرأة الريفية، ويميلون إلى إنكار تفاصيل الحدث. لأن حديث امرأة ريفية في قطار الدرجة الثالثة عن علاقاتها الغرامية، وهربها من بيت أهلها، فيه قدر كبير من الاجتراء، ربما لا تتيحه علاقات عابرة في مجتمع منتصف الخمسينيات العراقي.

ولكن بصرف النظر عن تفاصيل الحكاية، إلّا أن ما أنتجه النواب تاريخياً كان بداية طفرة الحداثة في الشعر العامي العراقي. خطوة فنية عملاقة توازي في حجمها طفرة السياب ونازك الملائكة في مجال الشعر الفصيح.

لقد أردتُ في هذه المقدمة التوضيحية المناسبة أن أفصل النصّ عن الحدث، وأن أبيّن أن النصّ المبدع أعلى شأناً من الواقع، ويكون أقوى من الحقيقة التي أنتجته. ومن المفيد هنا أن نشير إلى أمر تاريخي يتعلّق بالأدب العراقي، وأعني به علاقة النصّ بالقطار. فمن المعروف أن العراق لا يملك شبكة واسعة للسكك الحديدية، سوى خطّ واحد يخترق العراق طولاً، بدءاً من البصرة في أقصى الجنوب. يحتلّ هذا الخطّ مساحة مهمّة في الذاكرة الشعبية والأدبية لسكان بغداد وشمالها، وسكان الجنوب العراقي المحاذي لنهر الفرات. وهذا يعني أيضاً أن الجنوبيين من سكنة ضفاف دجلة لا يملكون العلاقة ذاتها مع القطار، نظراً إلى بُعدهم عن خطّ سيره. وربما لهذا السبب أيضاً لعب القطار دوراً مميزاً في قصص البصريين. لقد أسهم القطار في خلق عدد من النصوص القصصية المبكرة المتميّزة، منها قصة «القطار الصاعد إلى بغداد» لمحمود عبد اللطيف، المكتوبة عام 1953، والمنشورة ضمن مجموعة «رائحة الشتاء» عام 1997. وقبل ذلك، كتب فؤاد التكرلي أبرع قصصه القصيرة «العيون الخضر»، التي تتحدّث عن رحلة عاهرة شابّة من بغداد، في القطار الصاعد إلى الشمال.

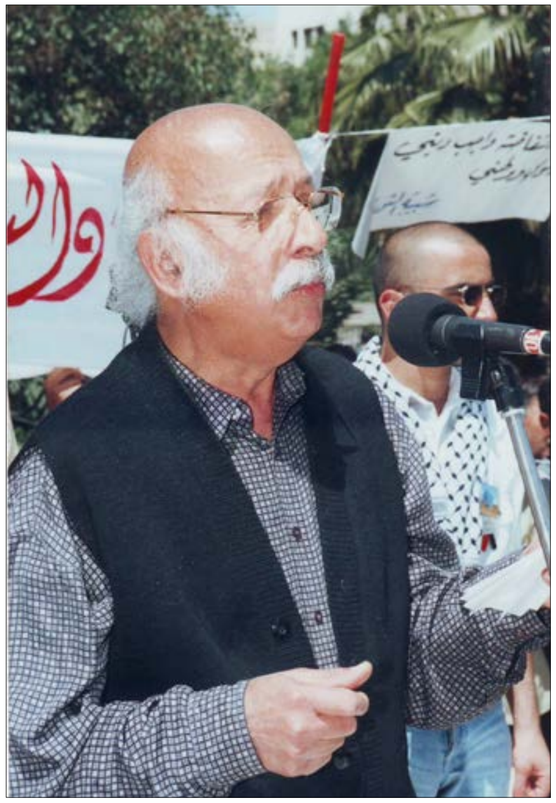

كُتبت هذه القصة عام 1950، ونُشرت ضمن مجموعة «الوجه الآخر» عام 1960. وفي منتصف المسافة بين بغداد والبصرة، كتب عبد الرحمن مجيد الربيعي قصته «أبواب الليل، أبواب النهار» عام 1978، وظهرت ضمن مجموعة «الأفواه» الصادرة عام 1979. وفي السكّة ذاتها، سار عام 1963 «قطار الموت» العراقي، الصاعد محمّلاً بأربعمئة وخمسين سجيناً سياسياً، كُتبت عن رحلتهم المرعبة قصص وأشعار وذكريات كثيرة.

اتّخذ جلّ من كتب في هذا الموضوع القطارَ وسيلة للخلق الفني، باعتباره رحلة سردية متحرّكة، وبيئة اجتماعية مصغّرة. لكن قطار النواب لم يكن وسيلة خالصة فحسب، بل كاد أن يكون كياناً فاعلاً، مشاركاً في صناعة الحدث أيضاً. فقد جعل النواب منه عنصراً ناطقاً، يعبّر بصراخه عن ألم الفراق، وحرقة العشق.

في واقع مشحون بالقسوة والصراعات الحادة والغرائب، ولدت قصيدة مظفر النواب، التي أخذت منحيين: عامي أولاً، وفصيح حينما طال ابتعاد الشاعر عن الوطن. يحمل المنحيان، كلاهما، بصمتهما الخاصة المميزة. فقد مالت قصيدة النواب الفصيحة إلى الطول - طول الجملة وطول النص - وإلى التحريض الخطابي، الموجّه إلى مستمع مترهّل، يدّعي الثورية وهو يتشاغب في سرير المهمشين. وهي قصيدة هجومية ثائرة، تنال من خصمها من طريق تسفيهه، ومن طريق رسم صورة هجائية، تجريحية، هزلية وتدنيسية. قصيدة ظاهرها هجوم خشن لا يُبقي للخصم شيئاً، وباطنها انكسار مرعب، يكاد لفرط عمقه وذوبانه في هتافات المستمعين، يبدو نصراً متوهماً.

أمّا قصيدته العامية، وهي عامية جنوبية، مطعّمة بلهجة بغدادية وفصيحة أحياناً، فقد كانت متعدّدة الأغراض. قصائد حب خالصة مثل «لليل وحمد» و«زرازير البراري» و«نخضني» (انهكني)، أو قصائد التحريض مثل «مضايف هيل» و«عساير سعود»، ومنها ما يجمع بين الغزل والتحريض مثل «سفن غيلان إزيرج».

في قصائده العامية، يتّخذ النواب من مركزية المفردة أساساً للترابط اللغوي وتداعياته الذهنية، أو لنقل يجعل المفردة وسيلة جذب مغناطيسية تلمّ حولها أطراف النص الشعري، بصوره وأخيلته ووسائل بالأدب العراقي، وأعني به علاقة النصّ بالقاموس اللغوي، يكثّف من ترابط المشاهد والصور ويصنع وحدتها الشعورية. في «زرازير البراري»، تحتلّ مفردات الحَلْد القسري (الغصب) قوام القصيدة ومفاتيحها السرّيّة: «تنسحن»، «تنمرد»، «تنعجن». وهي صور متنوعة لفعل واحد، يتمحور حول خلط الأشياء بعضها ببعض وجعلها قواماً واحداً، خاضعاً لأقصى أنواع الضغط. السحن لدق وتكسير المادة الصلبة وطحنها، والمرد لهرس المواد اللينة والرخوة، والعجن لخلط السائل بمسحوق دقيق. وربّما تكمن هنا، في هذا التنويع اللغوي الهادف إلى استنطاق المفردة، فكرة النواب اللغويّة، التي تُشبّه العامّيّة بالطين الحريّ (النقي) والفصحى بالحجر. بيد أن المفردة هنا، برغم تفرّدها وقوّتها الدلالية الصادمة، لا تعمل بذاتها منفردة، بل تفتح الباب لمرور طائفة أخرى من زمر المفردات، تتلاقح في ترابط وثيق مع بعضها، كأن تكون العين وملحقاتها في قصيدة (زرازير البراري): «كت (انهمار) الدمع، الجفن، عيونك، غمض». ثم تتفاعل المفردات معاً لتوليد صورة شعورية في بيئة لغوية منتقاة بحساسية عالية. كأن تكون، على سبيل المثال، بيئة بريّة نموذجية: جنح فراشة، زرازير البراري، السحر، عوسجة بر، النده (الندى)، كطرة (قطرة)، مطر، النباعي، تفيض، الكمر (القمر)، نهر، ورد، عنابة، دفو (دفء)، برد، الماضي الجدب، زهرات بيض من الوفه (الوفاء)، سواجي (سواقي) من الحنين.

يقود هذا القاموس المنتخب إلى حدوث تصعيد عال للحنين ولوعة الشوق وقسوة الهجر، يخلق بتفاعله الوحدة التعبيرية للنص ومداها الشامل. وفي «عشاير سعود»، تكون مفردات الإضاءة والاشتعال قوام الفعل الشعوري والمرئيات، ومفتاح خزائن الروح: جدح الحوافر، زهر النجوم، تتجادح (تتقادح) عيون الخيل، عيون الزلم بارود، تبرج (تبرق) نار، نجم ذويل، عيون مشتعلة، نجمة، الشمس، بنادقنا تطرز الليل، تضوي. باتحاد المفردات وتفاعلها، من طريق التنويع في مزج مفردتي الخيل والعين، ينتج تصعيد عال للغضب والتحدّي: صهيل الشكر (صهيل الخيول الشقر)، عيون الخيل، جدح (قدح) الحوافر، عيون الزلم، مهرك، تشوف، كحلنا، عيون مشتعلة، عين الذيب، تنام. هذا التفاعل الشرطي بين جماعات، أو زمر المفردات، يعطي للنصّ ترابطاً عضوياً داخلياً، وكثافةً عالية، شديدة التركيز، تتبادل الحركة فيه دائماً من الخارج: المحيط الطبيعي، إلى الداخل: مجرى الدم والروح. بهذه الطريقة ينتظم عقد مجاميع الكلمات والصور وتتآلف في وحدة عنقودية مترابطة، ومتحرّكة. لذلك قد تبدو بعض القصائد شديدة القسوة ومغرقة في الكآبة في أعين القارئ الغريب على وجه خاص، لكنّها ملمح مألوف في الوجدان العراقي. فليس غريباً على ذائقة العراقيين تصعيد الأخيلة العنفية المترتبة بالدم. لقد مدّنا أيضاً أبرز شعراء العراق في العصر الحديث، محمد مهدي الجواهري، بمنظومات شعرية دموية مماثلة.

يقول النواب: «خلي الدم يجي طوفان كلنا نخوض عبرتُه (عابرين)». في هذا النص تحريض علني يدعو للخروج على سلطة الدولة العاجزة أو المتقاعسة. سببه في نظر الشاعر أن «حكام المدن دفله». وشجرة الدفلى في العراق رمز شعبي للغش والمظاهر الخادعة والنفاق. لو قدر لنا أن نعمم هذا المشهد عقائدياً لعثرنا على صورة مجسّمة، ثلاثية الأبعاد، للطبيعة المكوّنة لمزاج تلك المرحلة السياسية. لكم يشبه هذا المشهد مأزق الشيوعيين القاتل: التارجح بين الحاكم والمحكوم، وخسارة الطرفين؛ وكم يشبه حيرة زعيم الثورة عبد الكريم قاسم، الذي سعى عبثاً للوقوف في وجه صراع الكتل المتناحرة، مرة بالتقريب وأخرى بالتضييق، فكان مصيره الموت!

لم تكن جدة قصيدة النواب محصورة في نظام توظيف المفردات، بل تعدّتها إلى تجديد أشكال بناء الصورة الشعرية: «سرجنا الدم عليه (على) صهيل الشكر (الخيول الشقر)». هنا يرسم النواب صورة غير نمطية: الدم يمتطي صهيل الخيول الشقر، في مزيج فريد لحركة الغضب، صوتاً ولوناً وانفعالاً. وهي صورة عقلية خالصة، ولكن بمفردات شديدة الحسّية. بهذه الطريقة الحاذقة يتمكّن التصعيد، الذي يصنعه تشابك المفردات، من إنتاج وحدات تعبيرية جديدة، لم تكن مألوفة في الشعر العامي من قبل، جعلت من عامية النواب، عامية مجدّدة، ومثقّفة، ولكن من دون ترفّع أو استعلاء.

في السنة الثانية لثورة 14 تموز كنت تلميذاً في الصف الثالث الابتدائي. ولكن، برغم صغر سني، شهدت لسبب جغرافي خالص، معارك سياسية كثيرة حدثت في مدينتي الجنوبية الفقيرة العمارة (ميسان). موقع بيتنا القريب من «قصر المتصرف» ومن بناية مركز اللواء، ساعدني على رؤية كثير من الأحداث السياسية الكبيرة والمثيرة. من هذه الأحداث اليوم الذي زحفت فيه الجماهير الغاضبة نحو بيت المتصرف لتطويقه، رافعةً الحبال وهم يصرخون بصوت جماعي غاضب: «عدنا (عدّدنا) مصرّف (متصرف) خاين ونريد سحله بالحبال». كان المتظاهرون يريدون من المتصرف أن يسلّمهم شخصاً متّهماً بقتل أحد الفلاحين الشيوعيين لصالح إقطاعيي المنطقة. وكان المتصرف يحاول إقناعهم بأن ما حدث جريمة سياسية يتوجّب أن تقوم السلطة، وليس الناس، بالتعامل معها قضائياً. هذه الصورة المرعبة لم تزل منحوتة في مخيلتي، وربما في مخيلة كثيرين أيضاً. وأبسّط ما في الصورة هو أنني كنت أرى الناس من الأسفل، بأشكال مخروطية، بسبب طولهم، وأسمع الصراخ من دون أن أرى أو أعقل. المتصرف ومعه بعض الشخصيات الحكومية، ليرزهم مدير التربية، سعوا من شرفة بيت المتصرف إلى تهدئة الناس، ولكن من دون جدوى. ظلّت الجموع تزداد، والغضب العارم يتصاعد بشكل جنوني، ولم تعُد مطالب الغاضبين تقتصر على سحل المتصرف الخائن، بل توسّعت لتشمل كلّ من كان يقف معه في الشرفة من الخونة. لا أعرف كيف انتهى الأمر. فبعد ساعات طويلة ورهيبة من الكرّ والفرّ، بدأ الناس بالتفرّق، وانسحب حاملو الحبال. بعد مرور خمسة عشر عاماً على وقوع حادثة الحبال، فسّر لي «أبو عبدالله» المشهد الملتبس. و«أبو عبدالله» أحد الأصدقاء الطيبين، ممن كانوا في قلب تلك التظاهرة الجنونية. وهو كادر شيوعي متقدّم في محلية العمارة، شغل مسؤولية ما غُرف بالعمل الوطني، أي تمثيل الحزب في لجنة الارتباط مع البعث في مرحلة التحالف، أرسل مع غيره من كوادر الحزب الشيوعي لتهدئة الجماهير الغاضبة. لكنّه تعرّض للعنف الجسدي من قبل الجموع الثورية المستفزّة، ظناً منها أنه أحد المدسّسين. لم تكن الجموع الثائرة لتصدّق أن المتصرف أحد رجال ثورة تموز، وأن الخائن الآخر، مدير التربية، الذي يقف إلى جواره، هو الدكتور حسين قاسم العزيز، المؤرّخ الماركسي المعروف، صاحب أطروحة «البابكية»، ومؤلّف «موجز تاريخ العرب والإسلام»، الذي يُعدّ رائد منهج البحث التاريخي على أساس مادي جدلي في العراق. تجربة الحبال علمتني أن العنف قوة عمياء. التداعيات التاريخية المرتبطة بيوم الحبال قادت مظفر النواب إلى كتابة واحدة من أشهر وأجمل قصائده العامية التحريضية «مضايف هيل» عام 1959. يقال إن النواب رأى امرأة ريفية قرب وزارة الدفاع العراقية، تحمل عريضة تريد تسليمها إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، تتعلّق بابنها الذي قتله الإقطاعيون. جاءت المرأة إلى بغداد بحثاً عن العدل والإنصاف لدى قيادة الثورة، ولكن لم يستمع إلى شكواها أحد. لأنّ الدولة شجرة دفلى، ظاهرها زهر متفتّح، وباطنها رائحة كريهة وعصارات لزجة. كان النواب هو المستمع الوحيد، الذي وثق أحزان تلك الأم بطريقته الفريدة:

«ميلن (ابتعدن)، لا تنكطن كحل فوق الدم. ميلن وردة الخزامى تنكط (تسكب قطرات، تقطر) سم. جرح صويحب بعطابة (خرقة محروقة لتضميد الجراح) ما يلتم. لا تفرح بدمنا، لا بالقطاعي، صويحب من يموت المنجل يداعي».

لقد شاعت هذه القصيدة لأسباب عديدة أبرزها: صورها التجديدية الفوّارة، وقوة صياغتها التحريضية النارية، والحساسية العالية في رسم أجواء البيئة الريفية العراقية. وهنا أيضاً تبرز موهبة النواب الكبيرة. فهو لا يكتفي بالكتابة عن قضية فلاح، بل يرسم بيئة عاطفية، فلاحيّة خالصة، ثم يضع دماء بطله القتيل فيها، ويجعله يتحرّك بيسر في محيطه الطبيعي. لقد أسهم المغزى الاجتماعي للقصيدة في جذب المزيد من القراء إليها، لأنّها سلّطت الضوء على بيئة مهمّشة، مهملة، ظلّت تعيش قروناً تحت تقاليد مالكي الأراضي الجائرة وشدّة ظلمهم للفلاحين. كان «الفلاح صويحب»، في القصيدة وفي الواقع، تجسيداً فريداً حيّاً للصراع الطبقي بين الفلاحين والإقطاعيين. ومن مفارقات التاريخ المحيّرة أن يقوم «أبو عبدالله» بكشف سرّ آخر من أسرار معارك الحبال. في ذلك اللقاء المتأخر عرفت، لأوّل مرّة، أن الفلاح القتيل، الذي تعاطفنا معه، المسمى «صويحب» - تصغير كلمة صاحب للتحبب. لم يكن فلاحاً، هو في حقيقة الأمر المعلم الشيوعي صاحب بن ملا خصاف، الذي رأى فيه شجرة دفلى، ظاهرها زهر متفتّح، وباطنها رائحة كريهة وعصارات لزجة. كان النواب هو المستمع الوحيد، الذي وثق أحزان تلك الأم بطريقته الفريدة:

> ما انتجه تاريخياً كان بداية طفرة الحداثة في الشعر العامي

لذلك، لا غرابة في أن يكون قاموس القصيدة ومفاتيحها اللغوية عظيمة القسوة: دم (تكرّرت مرات عديدة بصور متنوعة)، سم، جرح، جروح، عطابة، غيظ، نار، نار، ناعي، ذل، ذيب، موت، خناجر.

يفتخر النواب بالاستقبال الذي حظيت به قصيدته الأولى من قبل الشاعر سعدي يوسف. لكنه لا يكشف الوشيجة التي تربطه بقصيدة سعدي يوسف. بين الشاعرين صفة مشتركة، ولا أعني بها العناد السياسي فحسب، بل أعني رهافة التعبير، ودقّة تخصّصه الدلالي، وامتلاءه. فالشاعران يميلان إلى صناعة قصيدة مُشبعة، خالية من الزوائد التعبيرية الضارة، تمنح القارئ كفايته من المشاعر والأحاسيس والأفكار، إلى حدّ الارتواء والشبع. وهو شبع لا يشبه الشبع من الأكل، الذي يوقع في الكسل البليد، بل يشبه إلى حد كبير الشبع الجنسي، الذي يترك وراءه تطميناً، وفراغاً محيّراً، غامضاً، تأملياً. ولا يختلف الشاعران أحدهما عن الآخر إلّا في طريقة استخدام الكلمة. فسعدي يصنع جملة مشبعة، هادئة الوقع، بينما يميل النواب إلى صناعة كلمة ملتاعة، مشحونة إلى حد الانفجار، تشبه الألغام الأرضية، التي تنفجر كلما رفعنا أرجلنا عنها. وأنت تقرأ بصوت عالٍ تخشى أن تنفلق جدران الكلمات في فمك، أو تنفجر في وجهك وأنت تقرأ صامتاً أو تقف مستمعاً، وفي دماغك وأنت تتمعّن فيها متأملاً، متتبعاً هزّاتها الراعدة في أعماق روحك.

حينما نقرأ قصيدة «كالولي» (قالوا لي)، التي كُتبت في بيروت: «واغمَض عود (كلمة اعتراضية للتوكيد، شديدة الدقة، لها معانٍ عديدة منها: على افتراض أن، حينئذٍ يكون، رغم أنه) الجيسك (المسك) يا ترف (رقيق)، تاخذني زخة لوم، واكلك (أقول لك) ليش وأزيت (حرضت) العمر يا فلان». لا نقوى إلا أن نغمض أعيننا، ونمد أيادينا للمامسة رقة حبيب لا وجود له، فتنهال علينا، من داخلنا المضطرب، وليس من خارجنا، زخات من مطر التبكيت. في هذه الصورة تتنقل المشاعر من الداخل إلى الخارج وبالعكس من دون جسور. لأن الحاجز بين الواقع والخيال لم يعد قائماً، فقد تم تحطيمه على يد ساحر الكلمات الفريد. الداخل يحرّك الخارج، الذي يعيد شحنة التوتر مرة ثانية إلى الداخل. سلسلة انفعالية مترابطة، مبنية على فعل وجواب، تخلق بدورها فعلاً جديداً، وإحساساً جديداً، مباغتاً.

من طريق المفردة المفتاح، وتآلف جماعات المفردات، وخلق البيئة الشعورية الحيّة، والصور العقلية المتحركة، يبرز أمامنا التلاقح الانفعالي بين الخيال والواقع، بين الوهم والحقيقة، بين المحسوسات والمجردات، بين الهجوم المتعالي المكابر والانكسار الباطني الخفي المرعب. إنه ساحر الكلمة النابضة، شيطان المفردة الحيّة، المغفلة. إنه محيي الموؤودات اللغوية، الذي يجعلك تتوهم أن كلماته المطبوعة على الورق تنبض، تتحرك، وقد تقفز من بين السطور إذا غفلت عن إمساكها. كلّ هذا الرصيد التجديدي حملته قصيدة النواب العامية، صانعة من نصّه مدرسة شعرية كبيرة، لا ينتسب إليها سوى شاعر فرد، اسمه مظفر النواب.

*باحث وروائي

مسّ جراحاتنا بلغته الشفّافة وخياله المُحَلِّق

سعدي الحديثي*

في الساعات الأولى من وجود مظفر في المدرسة، علم أنني أقوم بتدريس التربية الفنية أيضاً، فجاء إلى مرسمنا الصغير وأبدى اهتمامه بأعمال بعض الطلبة وراح يتحدث معي حديث العارف بالرسم وبالفنون عامة. وبرغم أنني كنت المدرّس الرسمي للتربية الفنية إلى جانب اللغة الإنكليزية، فقد تولى هو شؤون المرسم وحرّك الطلبة، وصار ذلك المكان الصغير ملتقى للفنانين بل والأدباء من الطلبة. ومن نتائج ذلك أن توطّدت علاقاتنا ونشأت بيننا رابطة صداقة استمرت أكثر من خمسين عاماً.

كان بيتنا قريباً من المدرسة فدعوته لتناول الغداء معي فلم يتردد وجاء إلى بيتنا، ومنذ اللحظة الأولى تصرف وكأنه واحد منا، فأحبه أهلي واعتبروه واحداً من أفراد العائلة. منذ ذلك اليوم أيضاً، صرنا نخرج يومياً من المدرسة، نتناول الغداء في بيتنا أو بيت أهله ونمضي إلى اتحاد الأدباء نقضي المساء أو ننتقل إلى بيت من بيوت أحد أصدقائنا. في بيت بلند الحيدري في بغداد في عام 1959، سمعت مظفر يغني للمرة الأولى. فقبل أن يتوغل المساء في ليل ذلك اليوم إثر محاضرة لعلم الجمال، تحرك بلند ووافقه مظفر ولم أعارض أنا. بعد ساعة، كان المجلس قد التأم في بيت بلند؛ تعرفت إلى الطبيب الرسام قتيبة الشيخ نوري وزوجته الدكتورة سميرة والطبيب رافد صبحي أديب وناظم رمزي، وكان الرسام جواد سليم حديث الجميع، إلا أنا، فقد كنت حديث عهد بالأجواء الثقافية، ولكني كنت مستمعاً متطلعاً بلهفة إلى ما كان يقال. استنفد حديث الرسم أو اختُصر فانطلق مظفر يغني، ففوجئت بصوته ينطلق بالغناء على طبقة عالية فدوّى صوته، ومن دون أي مقدمات. كانت مادة الغناء موّالات من جنوب العراق كنت قد مررت عليها من دون اكتراث ولم أتمعّن في معانيها قبل تلك الجلسة. لا أذكر كيف بدأتُ أنا بالغناء، إنما هكذا وجدت نفسي أغني وأجرُّهُم معي إلى عالم الغناء البدوي وألحق عليهم الانتباه الشديد والتطلع المبتهج. وحين انتهيتُ عن بعض الأغاني المعروفة رافقني مظفر، وكان باريتي ويتبعني كي لا أتراجع عن الغناء. في تلك الليلة أيضاً ترسّخت بيني وبين مظفر علاقة غنائية، إذ كان أسلوب غنائه جديداً عليَّ ومثيراً لي. وربما في تلك الجلسة سمعت منه اسم المغني بول روبسن لأول مرة. أما هو فقد أنِسَ لألوان الغناء البدوي الذي قدمتُهُ ولم يستغرق وقتاً طويلاً في الجلسات اللاحقة حتى قبض على ناصية اللهجة البدوية وحفظ بعض النصوص الشعرية القصيرة. ما كان بلند في حينها جدياً في استماعه إلى الشعر أو الغناء البدوي، ولكنه كان يستطلع طريقتي في الأداء ويطلب مني دائماً أن أغني له نصاً من لون «النايل» يخاطب «التيل» أي أسلاك الهاتف الممتدة عبر الصحراء، قال إنه كان يحفظه منذ صباه:

«يا تيل يابو عمّد، إسرغ وُجيبْ اخبارْ
فارقتهُم من جَهلْ، مدري ورايَ شصارْ»

تكررت تلك الليالي المثيرة لنا جميعاً، فقد وجدت فيهم قوماً أتعلم منهم كل لحظة شيئاً كنت أحتاج إليه وأبحث عنه، أما هم فربما وجدوا فيَّ شخص قروي، جانباً إنسانياً وفنياً غريباً عن عالمهم الديني. المهم أنني كنت أشعر بالراحة وأجد الترحيب واللوذ الصادق.

صرنا أنا ومظفر نغني سوية كثنائي أو نتجاوب في الأداء، وكثيراً ما ندخل في أجواء ملحمية تتحول إلى شكل درامي يوهم السامع أن أوبرا عربية تولد في طيات تراثنا الغنائي المهمل. فكلانا يملك صوتاً قوياً مطواعاً لأداء ألوان الغناء العراقي الريفي والمديني. وكلانا يمتلك ثقافة غنائية مناسبة. المهم أننا طوّرنا هذا الشكل الحواري شكلاً ومضموناً وخاصة أثناء وجودنا سوية في سجن النقرة، إذ كنا نقدم أمسيات للشعر والغناء مرة أو مرتين في الشهر في الأقل. كما كنا سوية في لجنة الأدب التي ضمّت عناصر معروفين على نطاق البلد، ما أعطاها زخماً ملحوظاً وأكسبها احترام السجناء. فرئيسها المحامي والشاعر المعروف الفريد سمعان وأعضاؤها من الشعراء والقصّاصين والنقاد والفنانين المعروفين على نطاق العراق، بل وعلى نطاق الوطن العربي أبرزهم مظفر ويوسف الصائغ.

> منزله كان مسرحاً فعلياً لطقوس الأحداث التاريخية الماساوية في استشهاد سيدنا الحسين وآل بيته

لم تقتصر أعمال اللجنة على إقامة الأمسيات الأدبية، بل امتدت باتجاه المسرح الدرامي والفعاليات الموسيقية والغنائية، وتوزعت المسؤوليات حسب الاختصاصات، فكان نصيبي تقديم الأمسيات التي تُعقد حول المواضيع التي ترتبط بحياة البدو والفلاحين وشؤون الزراعة انطلاقاً من علاقتي بالفولكلور وشعر البوادي والأرياف، ما أكسبني شعبية واسعة بين الفلاحين الذين كانوا يكوّنون نسبة عالية من السجناء. تركزت هذه الشعبية وزاد اتساعها بفعل الأمسيات الغنائية التي كنت أقدمها مع شاعر عملاق يحفظ الجميع قصائده الشعبية والفصحى ويحظى هو منهم بكل الحب والاحترام وهو مظفر النواب، ذلك الشخص المتعدّد المواهب: فهو مفكر كبير ومناضل صامد وشاعر فذّ. وهو رسام موهوب وكاتب مسرحي ومخرج فني. هل يكفي أن نقول هذا ونسكت؟ لا.. فهذا الإنسان الواسع القلب أثبت أيضاً أنه قائد قدير في أحلك الظروف وأعقد الأوقات. كل هذه المواهب العظيمة قطعته عن الوظائف الرسمية فظلّ، في الخمسين سنة الأخيرة من عمره منقطعاً لعالمه الواهب، وخصوصاً للشعر والرسم. قدّم مظفر عدداً لا يُحصى من الأمسيات الشعرية النوعية وقرأ فيها ما لا يُحصى من القصائد الجديدة التي حفظها الجمهور ومنعتها السلطات.

حقيقة أن بيت النواب كان مسرحاً فعلياً لطقوس الأحداث التاريخية المأساوية في استشهاد سيدنا الحسين وآل بيته، وما توحيه تلك الطقوس في نفوس الأطفال؛ بفعل الحركة الدرامية والنصوص الشعرية والإيقاعات الموسيقية، قد أثرت في إغناء خيال مظفر الطفل الموهوب ذي الحساسية الفنية العالية. تزامنت بدايات الموهبة الشعرية لدى مظفر مع نمو وازدياد الحركة السياسية في العراق في بداية الخمسينيات من القرن الماضي. وكانت لفترة الدراسة الجامعية في كلية الآداب ببغداد، نكهة خاصة في حياة مظفر الرسام، إذ كانت من الفترات الغنية بالنشاط الفني المنطلق إلى أبعد من الحدود الوطنية والقومية.

معترك الحياة العملية في خضم الأحداث السياسية هيّأ الفنان الأديب مظفر لكي يأخذ مكانه في الصفوف الأولى بين أبناء جيله، لكن الطاقة الشعرية المترقّبة بعثت أهم رسائلها عبر قصيدة الحب الشهيرة «الريل وحمد»، حين نشرتها مجلة «المثقف» عام 1959. هنا أفسح الرسم مكاناً للشعر، فتوالت القصائد التي أبهرت القرّاء بما قدمته لهم من لغة محكية رفيعة المستوى تقلت ما كان يدعى بالشعر الشعبي إلى مراحل أعلى وفرضت احترامه على محبّي الأدب والفن.

لا يمكن، لمن يتحدث عن مظفر أن يتجاهل سنوات التشريد والسجن، ففي قلب الصحراء الجنوبية في العراق وعلى مسامع السجّانين تجاوبت وهاد الهضبة النجدية مع صفاء صوت مظفر في قصائده الملحمية باللغة العربية الفصحى، تلك القصائد التي سجّلت أهم أحداث تلك الفترة الدامية من حياة العراق فكانت شاهداً على أن الشعر يتخطى حدود الثلج واللهجات.

عام 1969، رحل مظفر إلى بيروت واستقر هناك إلى أن بدأت الحرب الأهلية اللبنانية فراح يتنقل من بلد إلى آخر حتى استقرّ في ليبيا. ولكنه غير مقره إلى دمشق وظل لا يغادرها إلا ليعود إليها. هذه المرحلة الطويلة نسبياً قدّمت مظفر شاعراً عربياً يحفظ قصائده الشباب العربي الغاضب على الأوضاع السياسية السائدة في كل مكان. وهذه المرحلة أيضاً حدّدت موقفه وعيّنت مكانه في الأحداث السياسية العربية وقضية فلسطين محور هذه السياسة.

لا يمكن إغفال الجانب الإنساني العاطفي لدى هذا الشاعر؛ لأنه لم ينسَ يوماً أنه إنسان يملك قلباً عامراً وقادراً أن يحب بصدق وعمق. الأمر الذي مكّنه من الغور في نفوس المحبين والتعبير عن مشاعرهم وعواطفهم ومسّ جراحاتهم بلغته الشفّافة وخياله المُحَلِّق.

وفوق هذا وذاك، فمظفر النواب شاعر لم يدركه شاعر عربي آخر من أبناء جيله في الوصول إلى المواطن العربي بهذه الشهرة المطلقة ومن غير التسويق الإعلامي الذي تتبناه الحكومات، بل بالرغم من منع دواوين شعره أن تباع في الأسواق.

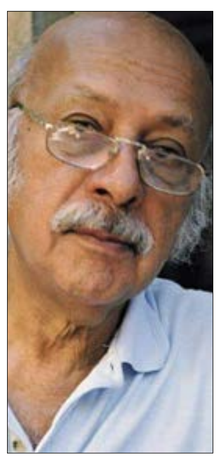

*باحث ومطرب وأكاديمي عراقيّ

ضلوعنا مزامير للحزن... يا مظفر

شهادات

كم ضيّع العراق؟

ضياء العزاوي *

تعرّفت إلى مظفّر عام 1969، بعد خروجه من معتقل «نقرة السلمان» الصحراوي الذي ارتبط بتاريخ الحركة السياسية وبشكل أساس اليساري منها طيلة عشرات السنين إلى حين إغلاقه قبل سنوات. سمعت عنه الكثير من الفنان حافظ الدروبي حيث كان أحد الناشطين في استوديو كلية الآداب، وحيث ظلّ الدروبي مشرفاً عليه لسنوات طويلة. كانت قصيدته «للريل وحمد» قد بدأت بالتداول بين المثقفين ومحبي الشعر، وبعد أشهر من تعارفنا، طلب مني تصميم غلاف ورسوم لقصائده بغية نشر المجموعة في بيروت، كان ذلك أول ديوان يصدر له وأشرف عليه الصديق المشترك ابراهيم الحريري.

منذ معرضي الأول عام 1964، شكّل الشعر مصدراً لأعمالي في البداية، وبحكم دراستي للآثار كانت اختياراتي من الأدب العراقي القديم وخاصة الأسطوري منه إلى جانب نصوص أخرى كالحلاج ونشيد الأنشاد. كان طلب مظفر ليس بالمستطاع رفضه، ليس بحكم الصداقة وإنما بالتحدّي الذي وضعني فيه: نصوص شعبية تعكس الوجدان الغني بالحب وروح التحدّي السياسي، نصوص تقدّم مناخات ريفية مضادة للمدينة، إلّا أنّها بحكم لغتها الجديدة وما فيها من مخيّلة تجمع بين الرسم والموسيقى لتحوّل كلمات لم يحلم البغدادي أن تكون ضمن قاموسه الثقافي. من هنا بدت لي المهمة أبعد من إنجاز رسوم لنص شعري، فقد أغرقتني قصائده وأنا أقرؤها للمرة الأولى في عوالم غاية في التنوع، مخلفة مزيجاً استثنائياً لروح تدمغ كلّ مجالات الحياة. منذ رسومي لذلك الديوان، ظلّ شغفي بنصّه الشعري، خصوصاً بتلك القصائد التي ترتبط بتاريخ العراق وتحدّياته، أبرزها قصيدة «حسن الشموس» التي سمعتها منه مغناة في سنوات تعارفنا الأولى والتي ظلّت معي، أسمعها بين الحين والآخر برغم كلّ تلك السنوات التي مرّت. في كلّ ما رسمته لأعمال مظفر، ظلت حريتي تنحاز لسماع القصيدة لا لقراءتها، السماع لقرابته الروحية للموسيقى، يمنح المخيلة بعداً وفضاءً يبعد شكلية الرسم إلى جمالية تحفر مجراها في عمق النصّ، تجعله حميمياً، مبهراً من دون أن يفرض نفسه على حواسنا، إن مهمّة التعامل مع النصّ الشعري مهمّة تحدّدها في الغالب تقنيات الرسم.

فرق بين مخيلة اللغة وبين أدواته، بحكم تبادل العلاقة بين الورق والأحبار، بين سطح ورقة الديوان المطبوع والتي هي نتاج تقنيّ له حساباته المعروفة وبين سطح المخطوطة، حيث يكون الورق مصنّعاً يدوياً وبحسابات تحتمل الاجتهاد والإضافة. النص المسموع أو المقروء كلاهما ذو مديات متحركة، في الرسم يتجمّد إلّا إذا حملته الوسائط التقنية الجديدة. هذه التعريفات جعلتني أكثر ميلاً لإنجاز ما أسمّيه بالمخطوطة الشعرية، نسخه فريدة تحتمل التنوع والذهاب إلى فضاءات لا تتحدّد إلّا بقدرة الفنان على تجاوز نفسه.

في آخر ليلة له في بغداد قبيل مغادرته العراق، اجتمعنا في شقة الشاعر صادق الصائغ، يوسف الصائغ، ومحمد عارف وأنا، يوم قرّر مظفر المغادرة بعد إطلاق سراحه من توقيف قصير. وفي تلك الليلة، برغم غناء مظفر لبعض من قصائده وخاصّة رائعته «حسن الشموس» التي أخذتنا إلى انقلاب 1963 بكلّ تداعياته، كان المناخ حزيناً. ولكي يغطّي يوسف بكاءه لفراق مظفر، هذا الشاعر المشاكس الذي لا يحلو له في كل جلسة من جلساتنا إلا واستهدف أحد الحضور، قرأ قصيدته المهداة إلى مظفر والتي كتبها في معتقل نقرة السلمان. كان ردّ مظفر قراءة مقاطع من قصيدة ما زالت معي، أعتبرها نشيداً داخلياً لكلّ من أُجبر على مغادرة العراق لسبب ما ولكل القادمين الجدد من عراق غارق بقسوة القتل اليومي، بالمفخّخات وسرايا الذبح الوحشي: «غرّب نجمتك ما يلوكله فلك/ غوّب وان لاكيت سفينة ليل بجّاها الغُرب/خاويها يا ابن الناس ضيعوك وضيعوها هلك». كم من المبدعين يا ترى من لم تتلاءم نجمته وسماء العراق بزرقتها المقدسة ليحمل روحه وسنوات عراقه الجميل.

* تشكيليّ عراقي

مسكون بنكسات أمته

زهير الجزائري *

«تحذر يا شهم يا سعود
حكام المدن دفله»

فتح مظفر النواب عيني على الريف الذي كنت آكل منه وأنكره. لم يكن الريف لي قبل «للريل وحمد» إلا المنظر الذي أرسمه في درس الرسم: النهر والنخلة والشمس فوقه وعلى النهر كوخ لم أدخله أبداً، وأمام الكوخ فلاح لا اسم ولا ملامح له. الفلاح كان في مخيلة صبي المدينة مكملاً لـ «المنظر الطبيعي». مظفر الذي كان يسكن جنب بيت خالي في شارع النواب في الكاظمية، من جيل المثقفين المدينيين الذين كان الفلاح موضوعهم، مع فارق أساسي، هو أنه لم يأخذ دور المعلم الريفي العارف ببؤس الفلاح، إنما تلبس الفلاح وتحدث بلغته وكيّف الثورة لوعي هذا الفلاح، بل يبدو أحياناً كأنه يمجّد جهل الفلاح وفقره. لكن مظفر من ذلك النوع من الثوار الذين آمنوا بأن صفاء الثورة تكمن في تلقائية الفلاح في فهمه لظلم الإقطاع وجور الحكومات. الصورة في شعر مظفر دقيقة وحادّة مثل الكحل فوق الدم، و«بيرغ الشرجية»، وفضة العرس. يتلبس مظفر مكان المرأة التي تنتظر الريل الذي يحمل الحبيب الذي هجرها، أو تعد الابن القتيل (صويحب) بالثأر له من قاتله الإقطاعي. المرأة تتحمل العبء الأكبر من الظلم مضاعفاً. مظفر من نوع المناضلين الذين لم تكن الثورة لهم محلية، فقد تنوّعت تجربته من أهوار العراق إلى جبال ظفار، وحتى مخيمات وقواعد الفلسطينيين. عاش ورأى انكسار الثورات ونذالة الحكام والبيروقراطيين وانمسحت روحه بالحزن والغضب معبراً عن مشاعر الناس حد الشتيمة، مظفر شاعر ترك بصماته على الشعر الشعبي العراقي وعلى الحداثة الثقافية، وهو مناضل متعدّد الساحات، وقبل ذلك إنسان مشحون بنكسات أمته.

* روائي وصحافي عراقي

ثورة تسير على قدمين وعكازة

حامد المالكي *

التقيته للمرّة الأولى في مقر «الحزب الشيوعي» العراقي في دمشق، ربما قبل عقد تقريباً. كان يسير بصعوبة، يتكئ على عكازة قديمة، فمه مذهول وعيناه تنتقلان في المكان، كما لو كان يبحث عن دهشة. جلس على أحد المقاعد الأمامية، كان يوم تكريم الرسام العراقي جبر علوان، وبسبب صغر القاعة وعدد الكراسي القليل، وقفت على الجانب أنظر إليه، بعد دقائق، شعر بالتعب، غفا على الكرسي، لم أشأ أن أوقظه، تركته يحلم، ورحت أسترجع برأسي سيرته الطويلة. أينما هنالك من ثورة، تجد مظفراً، أهوار العراق والهرب إلى قرى الجنوب التي ستحوله بلهجتها إلى شاعر شعبي أشهر منه شاعر حرٍّ، دراباين بغداد الموغلة بأسرار الانقلابات العسكرية والمؤامرات السياسية، وأوراقه المليئة بالشتائم الثورية الغاضبة. هذه الشتائم التي أجد أنها هي التي جعلت من مظفر النواب ينال هذه الشهرة عربياً، فالعربي يحب الشتم والشتائم، ولأن «العربي» أخرس أمام حاكمه، أحب النواب الذي شتم كل الحكام العرب بـ «أولاد القحبة»، هذه الكلمة التي تناقلتها الذاكرة العربية الشعبية على أنها نصر خجول. تجد مظفر في ظفار، وفي إريتريا، وفوق جبال كردستان، وإذا هدأ، يذهب إلى السجن. لكن هذا الهدوء يتحوّل إلى نفق سري، يحفر في سجن الحلة، يهرب منه مظفر ليجد نفسه في مرأب نقل عام. السجن كان أقرب إلى المدينة ممّا كان يظن، يواصل ثورة هربه إلى إيران، كان هذا بعد أحداث الحرس القومي في ستينيات العراق الحارقة. كان يريد الوصول إلى روسيا، قلعة الشيوعية، وصل إلى البصرة ومنها إلى إيران. هناك يعتقله الشاه ويودعه السجن، السلطات الإيرانية تسلّمه إلى السلطات العراقية من جديد، يُحكم عليه بالإعدام، تخفّض العقوبة إلى السجن المؤبد، ثم يطلق سراحه. ينشقّ الحزب الشيوعي العراقي إلى قيادة مركزية تؤمن بالثورة، ولجنة مركزية بقيادة عزيز محمد. هذا القسم اشترك مع حزب البعث الحاكم عام 1969 بما يعرف بالجبهة الوطنية، أين تتوقع أن تجد مظفر النواب؟ بالتأكيد مع الجماعة التي تبحث عن الثورة، أي مع القيادة المركزية. يودع السجن من جديد، يزوره صدام حسين، كان في وقتها نائباً لرئيس الجمهورية، أخرجه من السجن، أعطاه مسدساً شخصياً ليحمي نفسه من بقية رفاقه المنشقين - كما برّر صدام سبب هذه الهدية - رفض مظفر قبولها، طلب بدل المسدس أن يُسمح له بالسفر إلى بيروت لطبع ديوانه الشعري. سمح له صدام بذلك، سافر إلى بيروت واستقرّ بينها وبين دمشق، ليجد عش راحته في عمارة قديمة في الطابق الثاني منها في شارع الباكستاني. عندما التقيته في هذه الأمسية الثقافية، شعرت بأن ثورة هذا الرجل ـ كان يومها تجاوز السبعين من العمر ـ قد هدأت، إلّا أن أصابعه التي كانت تضغط على عصاه بقوة حتى وهو نائم، توحي بأن ما زال هنالك متّسع من الغضب بداخل الرجل. مظفر النواب روح أبية، فقد زاره سياسي عراقي كبير وقدّم له مبلغاً كبيراً من المال إلّا أنّه رفضه. لم يأخذ من الحكومة العراقية إلا جواز سفر ديبلوماسياً أرسله إليه صديقه التاريخي رئيس العراق السابق مام (عم) جلال، يشترك مظفر مع جلال بخفة الدم وروح النكتة والدعابة. وربما هذا سبب التقارب بينهما، إضافة إلى ما عُرف عن الرئيس جلال حبه للشعر العربي والشعراء خاصة من رافقه في منافي المعارضة. أرسلت إحدى القنوات الإخبارية العربية الشهيرة رسولاً ومعه مبلغ ماليّ كبير لمظفر النواب لإجراء حوار تلفزيوني، الرجل رفض، لأنّ توجّهات هذه القناة لا تنسجم مع حقائق الأمور في العراق وتغيير النظام السياسي فيه بعد عام 2003. كان آخر لقاء تلفزيوني له في قناة عربية عام 1996 مع MBC وقد اشترط عدم قطع ما قاله في اللقاء. رفضت القناة ـ ربما تحدث بما هو خارج حدود النص العربي ـ رفض هو بدوره السماح لهم بعرض اللقاء ولم يُعرض. زار العراق عام 2011، تجوّل في سيارة، لعدم قدرته على المشي في شارع المتنبي. كانت عيناه حزينتين من وراء نافذة السيارة التي يحيط بها العشرات من محبيه. كان ينظر إلى الشارع بصمت وألم، كأنّه ينظر إليه نظرة الوداع الأخيرة. وربما، كان ينظر إلى حصاد سنين عمره التي ضاعت في المنافي والسجون والثورات الشعبية، وبين أسطر أشعاره التي صارت أغانيَ عراقية دافئة خالدة في الذاكرة العراقية. تُرى، أكان سعيداً بما حصل للعراق بعد 2003؟ هل توقّع أن ينتقل العراق من فم ديكتاتور، ليقع فريسة اللصوص من السياسيين والإرهابيين القتلة؟ وربما يفكّر بصمت، هل ثمة بقية من العمر لنضال جديد... ولعله يردّد بصمت: «روحي ولا تكلها: شبيج، وانت الماي، مكطوعة مثل خيط السمج روحي، حلاوة ليل محروكة حرك روحي».

* سيناريست عراقيّ

مواد أخرى على موقعنا

Samedi 21 Mai 2022 no19
السبت 21 أيار 2022 العدد التاسع عشر

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

هل طُبّق القانون؟

3-2

الاحتيال باسم كوفيد

11-10

تعدّدت الأسباب والإعدام واحد

9-8

الخيط رفيع بين القتل والانتحار

7-6

فرضية الانتحار تحت المجهر

5-4

متابعة

بعد مراجعة اولية للعملية الانتخابية التي جرت في 15 ايار 2022 والايام الانتخابية الثلاثة: اقتراع غير المقيمين التي جرت في 6 ايار و8 ايار، واقتراع الموظفين والمعلّمين المولجين بالمهام الانتخابية التي جرت في 12 ايار، ويوم الاقتراع المحلي المحدد في 15 ايار، ومقارنتها بما يرد في نص قانون انتخاب اعضاء مجلس النواب (القانون 44/2017)، تتبيّن ضرورة التدقيق في بعض وقائع تلك العملية الانتخابية من قبل هيئة الاشراف على الانتخابات، وبناء المقتضى اللازم المنصوص عليه بحسب القوانين المرعية الإجراء. وقد يقتضي ذلك من المجلس الدستوري التدقيق في هذه الوقائع المدّعى بحصولها وترتيب النتائج القانونية اللازمة اثناء النظر في الطعون . المحتمل تقديمها. لم تكن القوانين يوماً مجرّد آليات ومنهجية تذكر في نصوص، بل هي مناهج تطبيقية ينبغي تنفيذها والسير على اساسها. لكن ما يجري في لبنان لا يبشر بدولة القانون. فما تم تداوله في الإعلام وعلى وسائل التواصل وفي تقارير رسمية وغير رسمية من هيئات المجتمع المدني ذات الاختصاص المرخّص لها حول العملية الانتخابية، ورغم ان بعضها تضمن مزاعم حول شوائب قد تكون غير دقيقة، إلا ان البعض الآخر قد يكون حقيقة يقتضي التدقيق فيها وإجراء التحقيقات اللازمة بشأنها، بهدف تصويب كل عملية انتخابية آتية او مقبلة، وإرساء مبدأ المحاسبة في دولة يريدها البعض ان تكون دولة قانون ومؤسسات. نستعرض في ما يلي بعض المبادئ والمواد الانتخابية ذات الصلة بعملية الاقتراع

إعداد **صادق علوية**

مخالفات قانون الانتخابات... إلى المجلس الدستوري دُر

التمويل والإنفاق الانتخابي

قام عدد من المرشحين بتوزيع مساعدات لم يتم التدقيق في ما إذا كانت مصرّحا عنها ضمن النفقات الانتخابية، علماً أن جزءاً منها، لا سيّما توزيع المال النقدي على الناخبين، يندرج ضمن الرشوة الانتخابية الممنوعة قانوناً، إذ تعتبر محظورة، أثناء فترة الحملة الانتخابية، الالتزامات والنفقات التي تتضمن تقديم خدمات أو دفع مبالغ للناخبين.

ورغم ما ورد في الإعلام عن قبض رشى وأن القضاء يحقق في بعضها بناء على تحرك من النيابة العامة الاستئنافية المختصة، تلقائياً، لم يتبيّن قيام هيئة الإشراف على الانتخابات بإحالة أي مخالفة الى النيابة العامة ولو للتحقيق فيها سيّما اذا كانت هذه المخالفة ينطبق عليها وصف الجرم الجزائي عملاً بالمادة 65 من القانون.

الاعلام والاعلان الانتخابيان

ظهرت للعيان قدرة عدد من المرشحين على الظهور بكثافة على وسائل الإعلام في مقابل غياب تام لآخرين في حين أن القانون فرّق بين الإعلام الانتخابي والدعاية الانتخابية والاعلان الانتخابي. وفيما يتوجب على وسائل الاعلام والاعـلان إبـلاغ هيئة الإشـراف بالمشاركة بالدعاية الانتخابية مرفقاً بلائحة أسعار، ولا يحق لها ان ترفض اي اعـلان انتخابي مطلوب من لائحة أو مرشح يلتزم بها، كانت وسائل الإعـلام متاحة لمرشحين متمكّنين مادياً ومحظورة على آخرين. وكان على هيئة الإشراف أن تراعي حق المرشحين في المساواة في الظهور الاعلامي ضمن حدود القانون والمنافسة الانتخابية المشروعة بما يضمن تأمين العدالة والتوازن والحياد في المعاملة بين المرشحين واللوائح، وان تلزم وسيلة الاعلام، لدى استضافتها لممثل لائحة أو لمرشح، ان تؤمن في المقابل استضافة منافسيه بشروط مماثلة لجهة التوقيت والمدة ونوع البرنامج وفق أحكام المادتين 71 و72 من القانون. وهذا الأمر كان غائبا بالمطلق عن معظم وسائل الإعلام، علماً أنه لا يجوز لأي وسيلة من وسائل الاعلام الخاص اعلان تأييدها أي مرشح أو لائحة انتخابية.

ولا يبدو أن هيئة الإشراف على الانتخابات اتخذت أي إجراء بحق اي من وسائل الاعلام والاعلان المخالفة للأحكام المتعلقة بالإعلام والاعلان الانتخابيين.

قانون انتخاب اعضاء مجلس النواب 44/2017

المادة 74
فقرة 2
من قانون الانتخاب

اثناء فترة الحملة الانتخابية يترتب على وسائل الاعلام الخاص وعلى اللوائح والمرشحين التقيد بالموجبات الآتية:

- الامتناع عن التشهير أو القدح أو الذم وعن التجريح بأي من اللوائح أو من المرشحين.
- الامتناع عن بث كل ما يتضمن اثارة للنعرات الطائفية أو المذهبية أو العرقية أو تحريضاً على ارتكاب اعمال العنف أو الشغب أو تأييداً للإرهاب أو الجريمة أو الاعمال التخريبية.
- الامتناع عن بث كل ما من شأنه ان يشكل وسيلة من وسائل الضغط أو التخويف أو التخوين أو التكفير أو التلويح بالمغريات أو الوعد بمكاسب مادية أو معنوية.
- الامتناع عن تحريف المعلومات أو حجبها أو تزييفها أو حذفها أو اساءة عرضها.
- الامتناع عن نقل أو إعادة بث أي مادة تظهر الخروقات المذكورة أعلاه تحت طائلة تحميل المؤسسة مسؤولية خرق هذا القانون.

رصاص معيب

عمر نشابة

في فلسطين، يستخدم الشبان المفرقعات النارية لمواجهة جيش العدو الإسرائيلي، فيما يستخدم البعض في لبنان، ومنهم من يدّعي مناصرة المقاومة وآخرون، الأسلحة الرشاشة والرصاص الحيّ، والقذائف الصاروخية احياناً، للابتهاج بحفل زفاف او بنيل شهادة بكالوريا أو بربح الانتخابات او لتأييد خطاب أو للتعبير عن حزن وغضب.

بدأ عام 2022 بتسجيل 242 حادث إطلاق النار ابتهاجاً أدى بعضها الى إصابة مواطنين نقلوا الى المستشفيات وفارق بعضهم الحياة. تكرّر الامر مرات عدة منذ كانون الثاني، وتكثّف بعد صدور نتائج الانتخابات النيابية مطلع هذا الأسبوع. إذ نقلت امرأة وأربعة أطفال الى المستشفى بعد إصابتهم برصاص الاحتفال بوصول نواب الشعب الى البرلمان.

يجرّم القانون رقم 71/2016 إطلاق العيارات النارية في الهواء، حيث ورد فيه أن كل من يقدم، لأي سبب كان، على إطلاق عيارات نارية في الهواء من سلاح حربي مرخص أو غير مرخص به، يعاقب بالحبس من ستة أشهر الى ثلاث سنوات، وبغرامة من ثمانية اضعاف إلى عشرة اضعاف الحد الأدنى الرسمي للأجور. ويصادر السلاح في جميع الاحوال ويمنع الجاني من الاستحصال على رخصة حمل سلاح مدى الحياة. وتتشدد العقوبة إذا أدى الفعل المذكور في هذه المادة إلى مرض، أو تعطيل عن العمل، أو قطع/ استئصال عضو، أو الموت، ليعاقب الجاني بالأشغال الشاقة لمدة لا تقل عن عشر سنوات وبغرامة من عشرين الى خمسة وعشرين ضعف الحد الأدنى الرسمي للأجور.

وكي لا يفلت الجناة من الملاحقة، أشرنا في العدد السابع من القبس الى الطرق العلمية التي يمكن من خلالها تحديد موقع مطلق النار والمسافة من خلال الفحص الدقيق لخصائص الطلقات النارية ومخلفاتها.

إخلاء عدد من رؤساء الاقلام بموجباتهم؟

يلزم القانون رئيس القلم والكاتب أن يكونا حاضرين طوال مدة العملية الانتخابية، ويكلف رئيس قلم الاقتراع وحده بسلطة المحافظ على النظام داخل القلم، ولا يجوز لأي من عناصر القوى الامنية الوجود داخل القلم الا بطلب منه وبصورة مؤقتة وحصراً لتأمين سلامة العملية الانتخابية. رغم ذلك، شوهد مباشرة على الهواء عدد من عناصر القوى الأمنية في الأقلام من دون طلب من رئيس القلم، حتى ان بعض وسائل الإعلان أفادت بأن مندوبي المرشحين يعاونون رئيس القلم وهو أمر غير جائز قانوناً، لا بل أن مرافقة المندوبين للمقترعين الى مكان العازل واللوقوف معهم وراء العازل خالف أصول الانتخاب بعدم إشهار الاقتراع، وكان يقتضي على رئيس القلم منع الناخب من الاقتراع في هذه الحالة أو الطلب الى المندوب التزام مكانه أو طرده بسبب الاخلال بالنظام رغم تنبيهه وتدوين هذا التنبيه في المحضر.

خرق حياد موظفي الدولة

خلافا للقانون حول عدم جواز استخدام المرافق العامة والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والجامعات والكليات والمعاهد والمدارس الرسمية والخاصة ودور العبادة لاقامة المهرجانات وعقد الاجتماعات واللقاءات الانتخابية أو القيام بالدعاية الانتخابية، ظهرت بشكل واضح على نشرات الأخبار المهرجانات واللقاءات في هذه الأمكنة.

كما ظهر ترويج عدد من موظفي الدولة والمؤسسات العامة والبلديات واتحادات البلديات لمصلحة مرشحين أو لمصلحة لوائح خلافا للمادة 77 من القانون.

التدقيق في حسابات كل مرشح ولائحة

يجب على كل مرشح ولائحة إعداد بيان حسابي شامل يتضمن بالتفصيل مجموع الواردات والمساهمات العينية، ومجموع النفقات، المدفوعة، منذ بدء الحملة الانتخابية. كما يجب أن يُقدّم هذا البيان إلى الهيئة خلال مهلة 30 يوماً من تاريخ إعلان النتائج الرسمية للانتخابات، مرفقاً بالوثائق الثبوتية العائدة لجميع بنود الحساب مثل الإيصالات وسندات الصرف وسواها، ويكشف مصرفي شامل للحساب العائد للحملة بين العمليات التي تمت على هذا الحساب من تاريخ فتحه حتى تاريخ تقديم هذا البيان. وتقوم الهيئة بدرس البيان الحسابي لكل مرشح وتدقيقه وإجراء التحقيقات المتعلقة بصحته أو بصحة بعض عناصره، ولها الاستعانة، لهذا الغرض، بمن تراه مناسباً من الخبراء وغيرهم بمن فيهم افراد الضابطة العدلية، بعد موافقة النيابة العامة المختصة.

شوائب اقتراع غير المقيمين

بعد انتهاء عملية الاقتراع، يقتضي أن ينظم كل قلم محضرًا بالعملية الانتخابية يتم توقيعه وترسل نسخة منه فورا مع المغلفات الخاصة الكبيرة العائدة لأوراق الاقتراع وباقي المستندات الانتخابية الى مصرف لبنان عبر وزارة الخارجية والمغتربين، على أن ترسل هذه المغلفات الى لجنة القيد العليا في بيروت لفرزها وتوثيق نتائجها. إلا أنه تبيّن أن عددا منها لم يصل أو وصل مكسورا خلافا للقانون الذي ينص على وجوب مراعاة سلامة النقل والفرز ما استدعى «تصفير» هذه الصناديق المصابة أو نتائج تلك التي لم تصل منها ، وكان يقتضي على وزارة الخارجية تأمين وصول الصناديق سالمة إلى لبنان. والأمر يستدعي جديا إجراء تحقيقات حول أسباب وصول صناديق مكسرة أو عدم وصول صناديق أخرى، وتحميل المسؤولين المسؤولية عن هذه الارتكابات. فكيف يُعقل إلغاء أصوات مقترعين وتصفيرهم» وهم انتظروا لساعات للاقتراع وقبلها قاموا بالتسجيل لدى السفارات والقنصليات، ثم ولسبب غير مبرّر يتم إلغاء أصواتهم لأن أحد الموظفين المعنيين أو عددا منهم لم يقم بواجبه؟

فوضى استطلاعات الرأي

رغم أن القانون يمنع نشر أو بث أو توزيع استطلاعات الرأي والتعليقات عليها خلال الأيام العشرة التي تسبق يوم الانتخاب، توالت عبر رسائل نصية وعبر تطبيق واتساب استطلاعات رأي، واستقبلت بعض وسائل الإعلام محللين في هذا الشأن.

«طوشة» الصمت الانتخابي

خرق الصمت الانتخابي من قبل مرشحين ومراسلي وسائل الإعلام في الأيام الأربعة المحددة لالتزام الصمت الانتخابي، في حين أنه ابتداء من الساعة الصفر لليوم السابق ليوم الانتخابات ولغاية إقفال صناديق الاقتراع، يحظر بث أي إعلان أو دعاية أو نداء انتخابي مباشر باستثناء، ما يصعب تفاديه من صوت و/أو صورة لدى التغطية المباشرة لمجريات العمليات الانتخابية، وكذلك الأمر في يوم الاقتراع إذ توالت التصريحات من مرشحين ومراسلين إعلاميين في حين ان القانون ينص على اقتصار التغطية الاعلامية على نقل وقائع العملية الانتخابية.

صعوبات تصحيح القيود

رغم أن القيد في القوائم الانتخابية هو حق لكل ناخب بلغ من العمر 21 سنة وغير محروم من الانتخاب، إلا أن عدداً من المواطنين شكوا من عدم سهولة تصحيح قيودهم وإيرادهم في قوائم الناخبين. لا بل أنه لم يثبت قيام كافة المحاكم العدلية أو السجل العدلي بإبلاغ المديرية العامة للأحوال الشخصية بالأحكام النهائية الصادرة عنها بشأن الجرائم المانعة من الانتخاب، ما قد يكون قد سمح لمحكومين بالانتخاب

حق اقتراع ذوي الاحتياجات الإضافية

يجيز قانون الانتخابات وقانون حقوق ذوي الاحتياجات الإضافية للناخب من ذوي هذه الاحتياجات ان يستعين بناخب آخر يختاره هو ليعاونه على ذلك تحت اشراف هيئة القلم، على أن يُشار الى هذه الواقعة في الخانة المخصصة للملاحظات في لوائح الشطب. في حين لم تأخذ الوزارة بالاعتبار حاجات هؤلاء الاشخاص ولم تضع دقائق تطبيق المادة 96 من قانون الانتخاب ولم تسهل الاجراءات التي تسمح لهم بممارسة حقهم بالاقتراع من دون عقبات.

الأمن والنظام على مداخل مراكز الاقتراع

يقتضي بموجب القانون أن تؤمن القوى الأمنية الأمن والنظام على مداخل مراكز الاقتراع وفي محيطها، وأن تمنع أي نشاط انتخابي أو دعائي بما فيها مكبرات الصوت والموسيقى الصاخبة والأعلام الحزبية والملواكب السيارة ضمن محيط مركز الاقتراع. وقد تم خرق هذا الموجب في أكثر من منطقة على مرأى من القوى الأمنية.

المختبر الجنائي

لا توجد جريمة كاملة، ومهما اوتي المجرم من حرص فإنه قد يرتكب خطأً يؤدي الى ضبطه وتقديمه للعدالة. في جرائم الانتحار المفبركة، يعمد الجناة إلى إزالة كل اثر قد يرشد عنهم: البصمات، الدماء، مخلّفات إطلاق النار... وغيرها، بغية إظهار الحادثة بصورة تخالف الحقيقة. فيعمد الجاني تارة إلى تصوير الحادث على انه انتحار وتارة على انه قتل عرضي. الحالات قيد المناقشة في هذا المقال تسلّط الضوء على الدور الاساسي الذي تلعبه علوم الادلة الجنائية في التأكد من طريقة الموت

فرضية الانتحار تحت المجهر

■ جنان الخطيب

من أكثر الأخطاء شيوعًا الحكم بسرعة على وفاة شخص ما على أنه انتحار قبل إجراء تحقيق شامل. يحدث هذا، عادة، عندما يقوم ضابط دورية قليل الخبرة بالتحقيق في مكان الحادث أو عندما يندفع «البعض» إلى إغلاق القضية. وحتى لو حكم على وفاة أحدهم بأنها انتحار، فإن قيام خبير جنائي بإلقاء نظرة ثانية يمكن أن يساعد في الحصول على الإجابات التي تحقق العدالة.

المبدأ الأساس الذي يعتمد عليه الخبراء الجنائيون أثناء التحقيق في مسرح الجريمة يعرف باسم مبدأ «تبادل لوكارد» (Locard Exchange Principle) الذي ينصّ على أن مرتكب الجريمة سيأتي بشيء ما إلى مسرح الجريمة ويأخذ معه شيئًا ما، ويمكن استخدام كليهما كدليل جنائي. يتم تلخيص هذا المبدأ عمومًا بأن «كل اتصال يترك أثراً». ووفقًا لذلك، فإن إعادة النظر في مسرح الجريمة قد تعطي أدلة مهمة حول طبيعة الحادث وتسلسل الاحداث.

الانتحار ببندقية صيد

حالات الانتحار بالأسلحة النارية شائعة نسبيًا، لا سيما في الحالات التي يستطيع فيها المتوفى سحب الزناد باليد. لكن التناقض بين طول ذراعي الفرد وماسورة بنادق الصيد قد يجعل المحققين يشككون في احتمال الانتحار، خصوصاً اذ لم يتم العثور في مكان الحادثة على أداة ميكانيكية أو أجهزة داعمة ذات أوتار أو حبال لسحب الزناد عن بعد.

من الممارسات المعتادة بين الخبراء قياس طول الذراعين والمسافة بين جرح دخول الطلق الناري وطرف الإصبع الأوسط للذراع الممتدة أثناء تشريح الجثة. ومع ذلك، عندما تكون ذراعا المتوفى أقصر من ماسورة السلاح الناري طويل، لا يمكن استبعاد فرضية الانتحار تمامًا، لأن من يقدم على الانتحار قد يستخدم طرقًا غير معتادة مع ملحقات ميكانيكية مختلفة لسحب الزناد، مثل جسم طويل أو خيط / سلك أو غير ذلك.

لفحص فرضية الانتحار باستخدام بندقية صيد، على الخبير ان يقوم بتجارب علمية وتقنية لإنارة قناعة المحكمة والمساعدة على الإجابة على نقاط مهمة يمكن ان تؤثر في مسار التحقيق بأكمله. لمعرفة مدى امكانية الانتحار باستخدام هذا النوع من السلاح، يجري الخبير بتجارب عملية على شخص يمتلك جسداً مماثلاً لجسد المتوفى وكتلته العضلية.

للقيام بالتجارب بطريقة مهنية دقيقة واعادة تركيب مسرح الجريمة، يقوم الخبير بما يأتي:

> **مرتكب الجريمة سيأتي بشيء ما إلى مسرح الجريمة ويأخذ معه شيئًا ما، ويمكن استخدام كليهما كدليل جنائي**

حساب طول ذراعي المتوفى

في حال لم تكن الضحية متاحة للفحص (دفنت) ولم يكن المحقق الجنائي قادراً على قياس طول أطراف المتوفى أثناء تشريح الجثة، يُمكن للخبير تقدير طول الذراعين في هذه الحالة باعتباره من أهم العناصر لمناقشة امكانية الانتحار بسلاح الصيد المضبوط. اعتماداً على معادلات علمية، يُمكن للخبير حساب طول الأطراف العلوية للمتوفي من خلال ثلاثة معطيات: العمر، الوزن، والطول.

اجراء التجارب

يجري الخبير تجاربه بالتعاون مع شخص يمتلك مقومات وكتلة عضلية تتناسب إلى حد كبير مع جسد المتوفى، لجهة الوزن والطول والعمر، وطول اليد نفسه، وباستعمال نوع السلاح المضبوط نفسه (طول الماسورة، الوزن، المسافة بين فوهة السلاح الناري والزناد، وغيرها).

مسار الطلقة

مسار الطلقة هو من اهم المعطيات التي يستند اليها الخبير في تحليل مسرح الجريمة. لهذا الغرض، يضع المحقق الجنائي رسماً تخطيطياً (Sketch) لمسرح الجريمة من خلال المعطيات في مكان الحادث، او استناداً إلى المعلومات التي يتضمّنها تقرير الشرطة القضائية. وفقاً للمعايير المهنية، يستخدم الخبير باستخدام برنامج كمبيوتر هندسي متخصص (على سبيل المثال AutoCAD) يساعد في رسم مسرح الجريمة بأبعاد دقيقة وتحديد مواقع الأدلة والعلاقة بينها.

بحسب معطيات مكتب الحوادث، يجري تحديد مكان وارتفاع الثقوب (او الجلوف) الناتجة عن الطلق الناري، ليتمكن الخبير من رسم مسار الطلقة Bullet Trajectory . في واحدة من قضايا الانتحار المشبوهة، ساعد «مسار الطلقة» على استبعاد فرضية الانتحار بعد أربعة أعوام من ارتكاب الجريمة، بعدما تبين علمياً ان مسار الطلقة موجود على مستوى أعلى من رأس الضحية في حال تمت عملية الانتحار في وضعية الوقوف بحسب افادة المشتبه فيه. إضافة الى «مسار الطلقة»، وجد الخبير ان المظروف الفارغ في مسرح الجريمة لا يوجد على بُعد منطقي من مكان إطلاق النار، بحسب رواية الانتحار التي لفّقها المشتبه به.

الى ذلك، على الخبير دائماً الاعتماد على المراجع والدراسات الحديثة في ما يتعلق بالأسئلة التي تثير الجدل في المحكمة، على سبيل المثال: بعد إطلاق النار على الرأس هل تسقط الضحية الى الأمام أم الى الخلف؟ وجد الخبير انه للانتحار بالوضعية التي وصفها المشتبه فيه، سيكون وزن الرأس متقدماً عن نقطة توازن الجسم. فبعد الاطلاق، وبفعل عامل الجاذبية، ستسقط الضحية الى الامام ما يتناقض تماماً مع مكان وجود المسدس. إضافة الى أدلة مادية أخرى، استبعدت المحكمة فرضية الانتحار، وقام الخبير بإعادة بناء مسرح الجريمة نظراً إلى مسار الرصاصة وطول المتوفى والمظاريف الفارغة ونمط تناثر الدم في مسرح الجريمة.

درس كل فرضيات الانتحار بحسب جرح دخول الطلق الناري بمختلف وضعيات الجسد

وضعية الوقوف

تظهر الصورة التجارب التي تمت بالتعاون مع X والتي أفادت ان من الصعب جداً القيام بالانتحار بهذه الطريقة، للأسباب التالية:

- البندقية ثقيلة جداً
- البندقية طويلة جداً بالنسبة لطول يدي الضحية.
- عدم القدرة على حمل البندقية بيد واحدة والاطلاق باليد الأخرى.

وضعية الاستلقاء

وضع الانتحار هذا هو حتماً مستحيل لأن أصابع X في هذه الحالة لا تصل الى زناد البندقية.

وضعية الجلوس

هذه الوضعية هي الأسهل لتنفيذ الانتحار من بقية الوضعيات. في هذه الحالة، تمسك الضحية البندقية برجليها وبيد واحدة، وتطلق العيار باليد الأخرى، فيكون بذلك الجرح ملامساً للجلد. لكن العنصر المهم في هذه الحالة هو شكل جرح الدخول، الذي سيكون عنصراً مهماً في تحديد الوضعية بسبب الزاوية الحادة التي تنشأ بين جسد المتوفى وفوهة البندقية في وضعية الجلوس.

دراسة حالات الانتحار في الأماكن السهلة الوصول اليها باستعمال هذا النوع من السلاح

يقوم الخبير بمقارنة فرضية الانتحار موضوع مهمته (طلق ناري في المعدة باستعمال بندقية صيد على سبيل المثال) مع فرضيات انتحار اخرى في مواضع اخرى اسهل الوصول اليها، باستعمال نوع السلاح المضبوط نفسه. فيتبين وجود ثلاثة مواضع اخرى اكثر «عملية» للانتحار: الانتحار تحت الذقن (وضعية الوقوف/الجلوس) والانتحار وراء الاذن. الامر الذي يثير الشكوك حول اقدام المتوفى على الانتحار بالمعدة

الانتحار تحت الذقن - وضعية الوقوف

وضعية الانتحار هذه سهلة التنفيذ، اذ ان يد الضحية يمكن أن تصل بسهولة الى الزناد، و من ناحية أخرى يمكن الضحية إسناد البندقية بين رجليها مما يخفّف من ثقل البندقية، ويجعل عملية الانتحار سهلة من الناحية العملية.

الانتحار تحت الذقن - وضعية الجلوس

هذه الوضعية الانتحار سهلة التنفيذ ايضاً، اذ ان يد الضحية تصل بسهولة الى الزناد، ويمكن الضحية من جهة أخرى إسناد البندقية على الكنبة ما يخفف من ثقل البندقية، ويجعل عملية الانتحار سهلة من الناحية العملية.

الانتحار وراء الاذن - وضعية الوقوف

في هذه الوضعية تمسك الضحية البندقية من فوهتها وتثبّتها وراء اذنها وتصل بسهولة للزناد ما يجعل هذه الوضعية ايضاً سهلة التنفيذ.

طمس الأدلة دليل على الجرم

في بعض حالات الانتحار، أكثر ما يلفت اهتمام الخبير هو محاولة طمس الأدلة المفترض تواجدها في مسرح الجريمة (كالدماء) وعلى السلاح المضبوط (كالبصمات على الزناد)، الأمر الذي يزرع الشك في تدخل جنائي لتزييف حقيقة الحادثة.

في احدى قضايا الانتحار، أثار شكوك المحقق الجنائي، عند التدقيق في الصور الواردة من مسرح الجريمة، عدم وجود أي بقعة دموية على الأرض أو على الجدار أو في المحيط، مع العلم أن الضحية كانت تنزف بعد تلقيها طلقة نارية. على العكس من ذلك، بدا مسرح الجريمة نظيفاً ولم يتضمن أية انسيابات دموية، باستثناء ملابس المتوفى، ما يثير الشك في ان الحادثة وقعت في المكان نفسه الذي وجدت فيه الجثة، او ما إذا جرى تنظيف مكان الحادثة.

كما أجرى الخبير دراسة جنائية للبقع والانسيابات الدموية على ملابس المتوفى ساعدته على تحديد مدة النزف في الوضعية التي شوهدت فيها الجثة للمرة الأولى في مسرح الجريمة. وبالتالي، وثّق الخبير مناطق تقطّع لانسياب الدم على ملابس المتوفى، وبالتالي تحديد ما إذا تم تعديل او تحريك الجثة بعد القتل. فاعتمد الخبير على الدراسة الديناميكية المفصّلة للسقوط الدموي لتأكيد ما إذا كان دم الضحية تأثر بعامل إضافي على عامل الجاذبية، كتغيير وضعية الضحية على سبيل المثال.

إضافة الى دحض رواية المشتبه بهم، وعدم تطابقها مع واقع الأدلة في مكان الحادث، يعمد الخبير في تحليله لمسرح الجريمة الى تفسير وتوضيح كيف ستكون الانسيابات والبقع الدموية في حال أقدمت الضحية على الانتحار حسب الوضعية التي وجدت فيها في مسرح الجريمة، ما يساعد المحققين في البحث عن أي بقع دموية جرى تنظيفها باستخدام الأضواء والأشعة الجنائية.

المختبر الجنائي

إعداد جنان الخطيب

خلال التحقيقات في حالات الانتحار المشبوهة، يوفر تطبيق العلم الجنائي معلومات ليس فقط عمّا حدث عند ارتكاب الجريمة، وإنّما أيضاً ما لم يحدث. كلّ ذلك باستخدام الاساليب العلمية، والادلة المادية، والمنطق الاستنتاجي، وعلاقاتها المتبادلة. ما إن ينتهي الخبراء الجنائيون من استنتاجاتهم، استناداً إلى هذا التحليل العلمي، حتّى يتم تسليم التقرير إلى المحققين ما قد يُغيّر في بعض الأحيان مسار التحقيق بأكمله. إذ تُساعد هذه الاستنتاجات على تأكيد أو استبعاد فرضية الانتحار، إعادة بناء الجريمة، تأييد إفادات الشهود او حتّى دحضها، والأهم إدراج او استبعاد الجناة المحتملين من التحقيق. لهذا الغرض، في حالات الانتحار المشبوهة، على الخبير ان يناقش ثلاث فرضيات: الانتحار، الموت العرضي والقتل. لتبيان الحقيقة، على الخبير إجراء كل التجارب العلمية اللازمة واستعمال التحليل الجنائي لمعرفة الفرضية التي تتطابق مع ظروف الجريمة والدلائل المادية للقضية. فيكون «الانتحار» هو نتيجة خلاصة علمية وليس تكهنات وتحليلات استباقية، الامر الذي يضلل التحقيق. كي لا تضيع الحقيقة، وكي لا يفلت القاتل، من المفترض التحقيق في مشهد الوفاة بشكل دقيق وشامل والابتعاد عن الاحكام المسبقة والتحليلات غير العلمية لتحديد ما إذا كانت وفاة شخص ما انتحارًا ام قتلًا. غالبًا ما تكون حالات الانتحار والقتل مع سبق الإصرار، لكن الفارق بين الاثنين هو ما إذا كان قد تم مع سبق الإصرار من قبل المتوفى (الانتحار) او من قبل شخص آخر (القتل)

الخيط رفيع بين القتل والانتحار

اكتشاف جريمة بعد سنوات

منذ سنوات، تبلغت القوى الأمنية بوجود جثة رجل في العقد الرابع في إحدى المناطق. وبعد مسح مكان وجود الجثة وبدء التحقيقات، خلصت النتائج الى اعتبار الحادثة «انتحاراً».

بعد أكثر من عام على بدء التحقيقات، بدأت الشكوك تحوم حول عدم حدوث الانتحار نظراً لعوامل عدة. مع ذلك، لم تستطع القوى الأمنية تأكيد فرضيّة القتل المتعمّد خصوصاً مع ارتكابها العديد من الأخطاء خلال عمليّة المسح وأهمّها غياب الكشف الحسي المهني على مسرح الجريمة.

بعد التوسع في التحقيق بناء على إشارة النيابة العامة المختصة، أُجريت دراسة جنائيّة كاملة للحادثة استناداً إلى تطبيق تحليل البقع الدمويّة التي جرى الكشف عليها في الصور المأخوذة لمكان وجود الجثة آنذاك، إضافة الى إعادة تركيب مسرح الجريمة وتحديد العلاقة المتبادلة بين الأدلة الموجودة في مكان الحادثة. حينها، تبيّن علمياً أنّ الضحيّة لم تمت في المكان الذي تم اكتشاف فيه الجثة، وإنّما نقلت من مكانٍ آخر.

ونظراً لوجود مسرح جريمة ثانٍ (مكان وجود الجثة) تعذّر إيجاد مسرح الجريمة الاول (حيث تمت الجريمة) بسبب وقوع الجريمة منذ أكثر من عام.

المشهد الأوّلي

عندما يلقي المحققون نظرة على مسرح الجريمة، يجب النظر إلى جوانب مختلفة، بما في ذلك يتم موقع الجثة ووضع السلاح والأدلة الأخرى وأي شيء يبدو خارجًا عن المألوف. تشرح المؤشرات الأخرى في المشهد، مثل أنماط تناثر الدم، ومسار الجرح الناتج عن طلق ناري، وحتى علامات صراع أو جروح دفاعية، ما إذا كان المشهد قد تمت فبركته على أنه انتحار. الى ذلك، في حالة الانتحار، لن يُظهر المشهد في كثير من الأحيان أي مؤشر على وجود شخص في منتصف روتين مثل الغسيل أو الطهي أو التنظيف.

سبب الوفاة الأساسي

إضافة إلى التحقيق في مكان وفاة الشخص، فإن النظر في الإصابات الدقيقة التي تسببت في وفاة الشخص يمكن أن تشير إلى ما إذا كان ينبغي استبعاد فرضية الانتحار أو القتل، اذ ان الاستعجال في الحسم يضلّل التحقيق ويحرف مسار العدالة. ففي بعض الحالات، قد يستنتج القائمون على التحقيق أن المشهد يشير إلى «انتحار»، لمجرد أن القتل لا يبدو واضحًا، الا إن نظرة فاحصة يمكن أن تحدث فرقًا كبيرًا في القضية.

لا سيما ان هناك العديد من الحالات التي تم فيها تدبير موت شخص ليبدو وكأنه انتحار عن طريق الشنق. مع ذلك، بعد الفحص الدقيق، قد يجد الخبراء أن الضحية تعاني إصابات تشير إلى الخنق اليدوي أو حتى كسر في الرقبة (إصابة نادرة في الانتحار)، وكنا قد عالجنا هذا الموضوع في العدد الثالث من «القوس». ففي حالة الانتحار المحتملة، من المهم دائمًا تعيين خبير جنائي لتحديد ما إذا كانت وفاة الشخص من فعله أو تم تنفيذها بواسطة شخص آخر أو أشخاص.

تقرير الطبيب الشرعي

تتمثل المشكلة الأساسية في التحقيقات العلمية في جرائم القتل والانتحار في ضعف مهارات التحقيق والاعتماد على الاستنتاجات المتسرعة التي تتم صياغتها بشكل غير مهني وغير علمي من الطبيب الشرعي، بعد معاينة جثة الضحية مباشرة في مشرحة المستشفى، في كثير من الحالات، تبدو تقارير الأطباء الشرعيين متعارضة بشكل مباشر مع محتوى محضر الشرطة، ومع مسار الرصاصة، وكذلك مع بقية الأدلة في مسرح الجريمة.

على سبيل المثال، فإن علامات الجروح الدفاعية على يدي الضحية التي تم توثيقها وتصويرها من محققي الشرطة في تقريرهم في إحدى القضايا، قد أغفلها الطبيب الشرعي، وقد ذكر في تقريره أنه لم يلاحظ أي دليل على الاعتداء الجسدي / العنف على جسد الضحية، هذه العيوب على الأرجح تضلّل تحقيقات ضباط قوى الأمن الداخلي.

من جهة أخرى، غالباً ما يقدم الأطباء الشرعيون أثناء المحاكمات أدلة جنائية غير موثوقة وذات حدود علمية غير واضحة، وآراء حول الأدلة خارج مجال خبرتهم ما يؤدي إلى استنتاجات مضللة تصل إلى حدّ إساءة تطبيق العدالة.

رسالة الانتحار

في التحقيق في انتحار محتمل، يمكن لرسالة الانتحار أن تقدم عدة أدلة بشأن الدافع. هل هناك أسباب نفسية أو خارجية دفعت شخصًا ما إلى الانتحار؟ يمكن أن تشير طريقة كتابة الرسالة أيضًا إلى ما إذا كان المتوفى كتبها باختياره أم بالإكراه، والسؤال الاهم هل هو من قام بكتابة الرسالة فعلاً؟ هناك العديد من الأسئلة التي يجب أخذها في الاعتبار لتحديد ما إذا كانت الوفاة انتحارًا أو تم التخطيط لها لتظهر على هذا النحو.

إذا لم يتم ترك رسالة انتحار أو عدم كتابتها بخط اليد، غالبًا ما يتم رفع الاعلام الحمراء. هذا ليس سببًا قاطعًا للحكم على موت شخص كقتل وليس انتحارًا، ولكنه يثير تساؤلات.

مخلفات إطلاق النار... الدليل ظرفي!

في لبنان، يجري الاعتماد بشكل أساسي خلال التحقيقات الجنائية على نتائج «اختبار مخلفات إطلاق النار» على يدي المتوفى والمشتبه بهم. وجود مخلفات إطلاق النار على يدي الضحية مثلاً يعتبر دليلاً موثوقاً أنها أقدمت على الانتحار، علماً أن سبب وجود تلك الجزئيات يمكن ان يكون سببه قرب الضحية من السلاح الناري اثناء جريمة القتل المفبركة كالانتحار. كما يتم تبرئة مشتبه بهم من جرائم قتل بسبب عدم تواجد تلك الجزئيات على أيديهم، الامر الذي يضلل التحقيق، وقد عالجت «القوس» هذا الموضوع بشكل دقيق ومفصل في العدد الخامس.

«الكلور» في الأفلام فقط

في الأفلام التي تروي قصصاً عن جرائم، يقوم الجاني بتنظيف مسرح الجريمة باستخدام مبيّضات الكلور لإخفاء دماء الضحية. لكن هذا لا يحدث إلا في الأفلام!

صحيح أنّ هذه الأنواع من المبيضات تزيل البقع الدمويّة التي يمكن رؤيتها بالعين المُجرّدة، إلا أنّ الخبراء الجنائيين يستخدمون العديد من المواد مثل اللومينول أو الفينول فثالين لإثبات وجود الهيموغلوبين الموجود في خلايا الدم.

لذلك، بإمكان هذه المواد الكيمائيّة تأكيد وجود الدماء، حتّى لو غسل الجاني ملابسه الملطّخة بدماء الضحية مستخدماً الكلور عشرات المرات!

في المقابل، لا تعمد القوى الأمنية إلى استخدام هذه المواد الكيمائيّة في كثير من الأحيان. هذا ما حصل عندما تبلّغت القوى الأمنية منذ سنوات عن انتحار فتاة في منزل ذويها قبل نقلها إلى المستشفى حيث فارقت الحياة. مع وصول المحققين إلى المكان، تبيّن أن المكان خالٍ من الدماء علماً أن الفتاة نزفت كثيراً وهذا ما بدا واضحاً على ملابسها.

بعد أشهر من التحقيق، توصّلت القوى الأمنية إلى خلاصة أنّ الفتاة قد انتحرت. ولكن، بعد التوسّع في التحقيق وإعادة فتح الملف، تبين علمياً ان الأم قتلت ابنتها. ولكن كان يُمكن التوصّل إلى هذه النتيجة في أولى مراحل التحقيق لو تم استخدام اللومينول والفينول فثالين في مسرح الجريمة!

في العمق

المادة 553
من الدستور اللبناني

من حمل انساناً باي وسيلة كانت على الانتحار او ساعده، بطريقة من الطرق (المذكورة) على قتل نفسه، عوقب بالاعتقال
- عشر سنوات على الأكثر إذا تم الانتحار
- بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين في حالة الشروع في الانتحار نجم عنه ايذاء او عجز دائم
وإذا كان الشخص المحمول او المساعد على الانتحار حدثاً دون الخامسة عشرة من عمره او معتوهاً طبقت عقوبات التحريض على القتل او التدخل فيه.

حين يثبت للقاضي، بعد درس معطيات قضية مقتل إنسان، أن الوفاة ناتجة عن انتحار، تنتفي عناصر جريمة القتل، ويبدأ البحث عن شريك ساعد الضحية في ارتكاب هذه الجريمة بحق نفسه، لأن قانون العقوبات اللبناني يجرّم المساعدة على الانتحار او التحريض عليه بأية وسيلة ويعاقب عليها بالاعتقال لمدة تصل الى عشر سنوات اذا تم الانتحار

الانتحار جريمة أم موت بريء؟

■ صادق علوية

عرّف الفقهاء قتل الغير بأنه إزهاق روح إنسان حي. والمقصود بالإنسان، هنا، ضحية مختلفة عن الجاني. لكن، ماذا لو اجتمع الجاني مع الضحية في شخص واحد كأن يؤذي الإنسان نفسه أو يقتلها؟
لم تتعامل التشريعات الوضعية مع مسألة الانتحار او قتل النفس الا من باب اعتبارها مخالفة للشرائع السماوية، في حين أن مسألة قتل الغير أعطيت التجريم الواضح. لذلك، نلاحظ ان الاشتراك في قتل الغير يعدّ جريمة ولو لم يتم النص عليه في قانون العقوبات. ويندرج التحريض على قتل الغير ضمن التدخل او التحريض على جناية او جنحة، وكل اشتراك او تدخل في جرم جزائي يعدّ جريمة تلحق بالجريمة الأساسية وتتبع لها، في حين أن التحريض على الانتحار لم يندرج ضمن هذا التوصيف، ما دفع المشرّع الى إدراج التحريض على الانتحار أو المساعدة على قتل النفس كجرم مستقل بذاته، بغضّ النظر عن اكتمال عملية الانتحار او حصول الإيذاء فحسب. لذلك، كان الاشتراك مع الضحية في قتل النفس بموجب قانون العقوبات اللبناني من قبل شخص آخر يعدّ جريمة اساسية منصوص عليها بصريح المادة 553 من قانون العقوبات.
يعاقب القانون اللبناني المتدخل في جريمة الانتحار. ويعدّ متدخلاً الشخص الذي يعطي الضحية الإرشادات لاقتراف الجريمة أو يشدد عزيمته بوسيلة من الوسائل، أو من ويساعده أو يعاونه على الأفعال التي هيأت لها أو سهّلتها. فإحضار السمّ، على سبيل المثال، من قبل والدة لابنتها لمساعدتها على الانتحار يعد جناية تنطبق عليها المادة 553 من قانون العقوبات.
لذلك فإن قتل النفس ليس جرما في القانون اللبناني. إذ أن كل أذية للنفس ليست جرما تستحق العقوبة، كونه لا يمكن تصوّر ادعاء من الضحية ضد النفس، وإن كانت حالة تدعو الى ضرورة معالجة المرتكب باعتباره مريضاً يحتاج الى رعاية طبية وصحية. ولكنه، بلا شك، جرم مرتكب من كل شخص آخر غير الضحية إن تدخل هذا الآخر وشارك أو حرّض على الانتحار

> بعض التشريعات المستهجنة والمستغربة في بعض الدول الى تجريم فعل الانتحار ومعاقبة المنتحر إن نجا

من جهة أخرى، لا يسوّغ للمتدخل في جريمة الانتحار الادّعاء بأن ذلك تمّ بعامل الإشفاق. فقانون العقوبات اللبناني يعاقب على القتل قصداً بعامل الإشفاق، حيث يعاقب الجاني بالاعتقال عشر سنوات على الأكثر من قتل انساناً قصداً بعامل الاشفاق، ولو كان ذلك بناء على الحاح الضحية بالطلب وفق المادة 552/عقوبات.

تجريم الانتحار

سعت بعض التشريعات، المستهجنة والمستغربة نوعاً ما، في بعض الدول مؤخراً الى تجريم فعل الانتحار ومعاقبة المنتحر إن نجا، وذلك لأهداف شتّى كما يدّعي واضعوها، ومنها ردع المنتحرين وتخفيف معدلات الانتحار. إلا أنه، للمفارقة، وفي حال تجريم فعل الانتحار، ستكون الضحية – المرتكب أمام خيارين: إما الموت او العقوبة إن فشلت محاولة انتحاره. بمعنى أوضح، على الضحية للنجاة من العقوبة أن ينجح في قتل نفسه!
قانون العقوبات القطري الصادر سنة 1971، على سبيل المثال، كان ينصّ في مادته رقم 157 على معاقبة الشروع في الانتحار بالحبس مدة لا تتجاوز سنة واحدة أو بغرامة لا تزيد على الف ريال أو بالعقوبتين معاً، الى أن تم تعديله عام 2004 بموجب المادة 304 من قانون العقوبات الجديد، واستبدال العقوبة بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر، وبغرامة لا تزيد على ثلاثة الاف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين، بحق كل من شرع في الانتحار أو كل من أن أتى فعلاً من الأفعال التي تؤدي إلى الوفاة عادة. كما يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سبع سنوات، كل من حرّض شخصاً أو ساعده بأي وسيلة على الانتحار، إذا تم الانتحار بناءً على ذلك. كذلك أخذت مصر والأردن هذا المنحى.
قبل عام 1961، كان الانتحار مجرّما في القوانين البريطانية الى ان قرّر المشرع البريطاني عام 1961 إلغاء هذا التجريم حين أصدر قانون الانتحار الذي نص في مادته الأولى على:
لم يعد الانتحار جريمة وألغى حكم القانون الذي يعتبر الانتحار جريمة. ويمكن مراجعة القانون البريطاني على هذا الرابط :
https://www.legislation.gov.uk/ukpga/Eliz2/10-9-60

لكن القانون نفسه نص على المسؤولية الجنائية عن التواطؤ في انتحار شخص آخر، أي أن محاولة الانتحارأوالانتحار ليس جريمة، ولكنه جرّم الاشتراك فيها وذلك يتشابه مع القانون اللبناني.

التحريض

يعد تحريضاً على الانتحار ومشتركاً في جريمة الانتحار إذا انتحرت ضحية نتيجة لجريمة الاتجار بالأشخاص بموجب المادة 586 -5 من قانون العقوبات المعدل في العام 2011 بموجب قانون معاقبة جريمة الاتجار بالأشخاص رقم 164 /2011 الذي يعتبر أن جريمة الاتجار بالأشخاص تشكل جناية. ولكنه يعاقب الجاني بالحبس من عشر سنوات الى اثنتي عشرة سنة، وبالغرامة من مئتي ضعف الى اربعمائة ضعف الحد الأدنى الرسمي للأجور حين ينطوي الجرم على أذى خطير للضحية، أو لشخص آخر أو على وفاة الضحية أو شخص آخر، بما في ذلك الوفاة الناتجة عن الانتحار.
يعد الإنسان متدخلاً في الانتحار في حال الاشتراك بالجرم عبر ارتكاب أحد الأفعال المشار إليها في الفقرات الأولى والثانية والرابعة من المادة الـ 219 من قانون العقوبات وهي:
- إذا أعطى الضحية إرشادات لاقترافها وإن لم تساعد هذه الإرشادات على الفعل.
- إذا شدد عزيمة الفاعل بوسيلة من الوسائل.
- إذا ساعد الفاعل أو عاونه على الأفعال التي هيأت الجريمة او سهّلتها.
رغم أن الانتحار ليس جرماً معاقباً عليه ولا حتى على الشروع فيه، إلا أنه مما لاشك فيه ان السلوك الانتحاري يعدّ من اضطرابات الصحة النفسية التي تجيز للقضاء التدخل لمنع المنتحر من سلوك هذا المنحى بناء على شكوى من كل صاحب مصلحة من ذويه، واتخاذ تدابير زجرية واحترازية بهدف حمايته ومعالجته تحت إشراف طبيب نفسي ومنها الحجز في مأوى احترازي.
وقد أورد قانون الموجبات والعقود أنه في ما يتعلق بعقود التأمين على الحياة، يمكن لشركات التأمين - أي للضمان - أن تتعهد بموجب بند خاص دفع مبالغ التأمين في حالة انتحار الشخص المضمون قصدا او اختيارا شرط أن لا يكون له مفعول الا بعد انقضاء مهلة سنتين من إنشاء العقد.

محاضر الجندرمة

في العام 1933، أصدر رئيس الجمهورية اللبنانية شارل دباس المرسوم رقم رقم 1933/2260 الذي يختص بنظام خدمة الجندرمة اللبنانية. وقد أورد في المادة 52 منه أصول معالجة حالة الانتحار وفق أسس التحقيق الجنائي الذي كان سائدا حينذاك حيث نص على ما حرفيّته:
«لا يحق للجندرمة اعطاء اجازة الدفن» في الانتحار
الانتحار هو قتل الانسان نفسه مختاراً
ان المحاضر التي تنظمها الجندرمة في مثل هذه الاحوال يجب ان تتضمن دائماً: 1- هوية المنتحر التامة وخصوصا بيان ما اذا كان متزوجاً أو أرمل او عازباً، وما اذا كان له اولاد وكم هو عددهم
2- اسباب الانتحار: هموم بيته او ضيق مادي او تعقبات عدلية الخ... واذا لم يحصل اليقين المطلق وجب تبيان السبب الذي يتجه اليه الظن.
3- طريقة الانتحار - الشنق او الغرق او استعمال اسلحة نارية الخ...
ويحدث غالباً ان يترك المنتحر ورقة يذكر فيها الاسباب التي حملته على الانتحار. وحينئذ يجب التقاط هذه الورقة والبحث عن اوراق مكتوبة بخط المتوفى وضمّها الى المحضر للمقابلة بين الخطين. اما اذا لم يعثر على أوراق مخطوطة بيد المنتحر، او لم تكن الاوراق التي وجدت كافية، تجب الاستعانة بشهود لتعريف المخطوط المتعلق بالانتحار وجميع هذه الاحتياطات لا بد منها للتحقق من ان هذه الكتابة انما كتبت بيد المتوفى. ومما يجب الانتباه اليه ان الانتحار قد يكون مزعوما لإخفاء جناية. ففي هذه الحالة تنحصر مهمة الجندرمة بالبحث عن الاثار وضبط جميع المستندات التي من شأنها ان تؤيد افتراض حدوث الجريمة، فتستجوب الاقارب والجيران وكل من يمكنهم اعطاء معلومات مفيدة. ومن اللازم الانتباه الى:
1- ان محاولة الانتحار تستوجب تنظيم محضر كالانتحار نفسه.
2- ان من يساعد ويعاون المنتحر يجزى جزاء القاتل او الضارب على مقتضى الحال او جزاء من سبب الموت عن قلة احتراز»

المختبر الجنائي

استغل البعض حال الهلع وعدم اليقين التي رافقت اجتياح فيروس «كوفيد19-» للعالم، فنشطت أنواع عدة من الجرائم وعمليات الاحتيال، بدءاً من استحداث حسابات على الإنترنت تدّعي بيع معدات حماية ولوازم طبية، وصولا إلى صنع لقاحات مزوّرة وتوزيعها، وشنّ اعتداءات سيبرانية لسرقة المعلومات الشخصية. وقد وجّه الانتربول تنبيهًا عالمياً دعا فيه الدول إلى «التهيؤ لمواجهة شبكات الجريمة المُنظّمة» التي تستهدف، باسم «كوفيد19-»، الأفراد والمنظمات على الأرض وفي الفضاء السيبراني. ولأنه لا يمكن لأي بلد بمفرده مكافحة هذا النوع من الجرائم المُنظمة والمُتشعبة، يحتاج الأمر إلى تكاتف الجهود العالمية لكشف هذه الشبكات وتفكيكها، والعمل على نشر الوعي المجتمعي حتى لا يقع الأفراد ضحايا الاحتيال

الجريمة في زمن الكورونا
الاحتيال باسم كوفيد

■ ردينة الزعبي

فيما كان العالم كله في الحجر الصحي، نشطت مختلف أنواع الأنشطة الإجرامية المُرتبطة بـ«كوفيد-19» مستفيدة من نقاط الضعف التي تعتري الأنظمة الاقتصادية والصحية والقانونية والالكترونية للدول والمؤسسات والأشخاص. وتم استثمار مخاوف الناس الذين راحوا يبحثون عن معلومات عن الفيروس وعلاجات سريعة عبر الإنترنت. أما أولئك الذين رفضوا أخذ اللقاحات وإجراء فحوصات الـ PCR، فقد وجدوا من يُزوّر لهم بطاقات التطعيم ونتائج الفحوصات.

ولتحقيق مكاسب سريعة، نشطت عمليات إنتاج وبيع لقاحات مزيفة، ما يعرّض صحة وحياة الأشخاص للخطر، باعتبار أنّ هذه المواد لم يتم اختبارها أو فحص سلامتها، إضافة إلى أنها لا تؤمن المناعة والحماية من «كوفيد-19».

مناعة السوق السوداء

تبدأ التحقيقات المُتعلقة بشكاوى اللّقاحات المغشوشة بالتحقّق من صحة الزجاجات بحثًا عن أي علامات تزوير، ثم إثبات صحة المستندات والوثائق الدّاعمة للقاحات. ومن المفترض مقارنة العدد الإجمالي لعمليات التلقيح التي أجرتها مؤسسة ما بالعدد الإجمالي المُصرّح به للقاحات التي تم شراؤها من المصادر الرسمية. في الوقت الحالي، يتم توفير اللقاحات فقط من خلال مصادر مُحدّدة قانونيًا ومُنظّمة. ولا يتم بيعها عبر الإنترنت من قبل مصادر مشروعة، ما يعني أنّ عملية العرض والطلب تخضع لرقابة مُكثّفة.

رغم ذلك، لا يمكن استبعاد احتمال امكانية اختراق هذه العملية لسرقة اللقاحات أو تبديلها، من أجل تحقيق أرباح عبر بيع اللقاحات الأصلية في السّوق السّوداء مثلاً. لذلك، خلال عمليات التحقيق، من المهم معاينة عملية التلقيح من مختلف جوانبها بدءاً من مراحل التصنيع والشّحن والتخزين حتى إعطاء الجرعة، واستجواب طاقم العمل والطّاقم الطبي المسؤول.

إلى ذلك، إذا كانت القوارير متوافرة، من الضروري إجراء فحص سموم (Toxicological screening) لمحتويات القوارير وكمية المواد فيها، للتأكد من أنّ النسب صحيحة، وان الجرعة لا تحتوي ببساطة على محلول ملحي أو مكوّنات أخرى قد تُشكل خطراً على الصحة.

كما يمكن الإستعانة بطبيب شرعي، خصوصاً إذا كان هناك فاصلٌ زمني قصير بين التطعيم والوفاة. نتائج تشريح الجثة، إضافة الى المعلومات المُستمدّة من التحقيق المُتعلقة بمكان وزمان التلقيح ونوع اللقاح والظروف المُحيطة بالوفاة، يمكن أن توضّح ما اذا كانت هناك علاقة بين التطعيم والوفاة.

تبدا التحقيقات المُتعلقة بشكاوى اللّقاحات المغشوشة بالتحقّق من صحة الزجاجات بحثًا عن اي علامات تزوير

هذه الادعاءات يمكن أن تُعرّض حملة التطعيم للخطر من خلال إثارة المخاوف بشأن ما إذا كانت هناك مُضاعفات مُحتملة للقاحات، أصلية كانت أم في حال وُجدت شبهات بكونها فاسدة أو مزيفة. لذلك فإن هذه التحقيقات، التي تتطلب مساعدة الطبيب الشرعي بالاضافة الى خبراء آخرين مُتعددي الإختصاصات، لها أهمية صحية اجتماعية وقانونية كبيرة.

احتيال العملة الرقمية

بحسب تقارير الانتربول ومنظمة الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة، منذ بداية الجائحة، ارتفع بشكل ملحوظ عدد الجرائم السيبرانية والاحتيال التي تستهدف الدول والشركات والمراكز الطبية والمؤسسات العامة والأفراد والمنصات الإلكترونية التي تُنظّم عملية التلقيح. استغلّ مرتكبو الجرائم السيبرانية فيروس «كورونا» لنشر برمجيات خبيثة وبرمجيات تجسس وانتزاع الفدية وأحصنة طروادة في مواقع ورسائل الكترونية مُتعلّقة بالفيروس. وتم اعتماد المتاجر والمواقع الإلكترونية المُزيفة وحسابات وسائل التواصل الاجتماعي التي تزعم بيع الكمامات واللوازم الطبية والمخبرية واللقاحات وبطاقات التلقيح، لشنّ هجمات احتيالية لخداع الضحايا وسرقة معلوماتهم الشخصية وأموالهم. وعادة ما تستعمل هذه المواقع إمكانية التسديد بالعملات الرقميّة مثل البيتكوين لصعوبة تتبّعها وملاحقتها.

في جرائم الاحتيال عبر الإنترنت، تعتمد التحقيقات المُتعلّقة بالعملات الرّقمية أو العملات المشفرة، إلى حد كبير، على Cryptocurrency forensics و Digital Forensics. فيتمّ استخدام تقنيات مختلفة لتتبّع هذا النّوع من المعاملات المالية الجديدة. ويتعاون المحققون الماليون وخبراء الأدلة الرّقمية لاختراق السّرية التي تُحيط بالمعاملات المالية بالعملة المشفّرة. ومن خلال التحليل الجنائي للدلائل الرقمية للبريد الإلكتروني والرسائل ومعلومات بطاقة الائتمان أو الحساب المصرفي، وخادم المجال (Domain server)، والموقع الجغرافي لعناوين IP المستخدمة، يُصبح من الممكن الوصول الى الجهات المسؤولة و/أو اعادة الاموال.

الانتربول يحذّر

منذ بداية الجائحة أصدر الإنتربول، مرات عدة، تنبيهات عالمية تُحذّر من جماعات إجرامية مُنظمة تستغلّ الوباء لتحقيق أرباح عبر الاحتيال على الحكومات والمؤسسات والأشخاص. وشدّدت على التنبّه إلى الأسلوب الإجرامي الذي يعتمد في معظم الأحيان على استخدام حسابات ومواقع تنشر محتوى مُتعلّق بـ«كوفيد-19» أو لشركات تصنيع وتوزيع اللقاح والمعدات الطبية.

كما عرضت نشرة الإنتربول النشاط الإجرامي الذي يستهدف لقاحات «كوفيد-19» من عمليات تزوير وسرقة وبيع غير مشروع. وحذّرت من تفشي الجرائم السيبرانية والمالية التي تستهدف المنظمات والدول والشركات وتُعرّض الأفراد لخطر سرقة معلوماتهم الشخصية أو أموالهم.

وقدمت توصيات وإرشادات وقائية للانتباه من عمليات الاحتيال، ودعت إلى التعاون بين الدول. وجاء في تقرير صادر في 24 آذار 2021: «وبالنظر إلى ضرورة اتخاذ إجراءات عالمية لمكافحة هذا الشكل من أشكال الإحتيال والجريمة المالية التي تُسهل الانترنت ارتكابها، أنشأ الإنتربول فرقة العمل العالمية المعنيّة بالجريمة المالية عام 2020 بمشاركة بلدان أعضاء من أجل تحسين التعاون الدولي وتعزيز الابتكار مع شركاء من القطاعين العام والخاص».

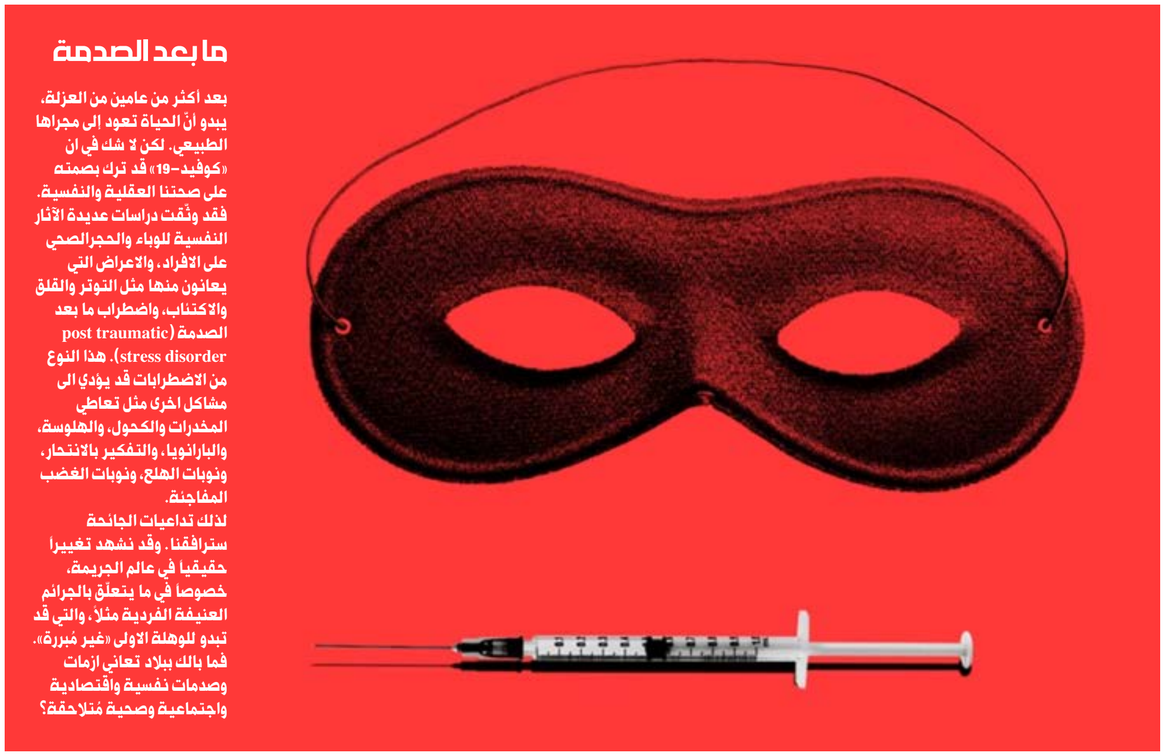

ما بعد الصدمة

بعد أكثر من عامين من العزلة، يبدو أنّ الحياة تعود الى مجراها الطبيعي. لكن لا شك في ان «كوفيد-19» قد ترك بصمته على صحتنا العقلية والنفسية. فقد وثّقت دراسات عديدة الآثار النفسية للوباء والحجر الصحي على الأفراد، والاعراض التي يعانون منها مثل التوتر والقلق والاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة (post traumatic stress disorder). هذا النوع من الاضطرابات قد يؤدي الى مشاكل اخرى مثل تعاطي المخدرات والكحول، والهلوسة، والبارانويا، والتفكير بالانتحار، ونوبات الهلع، ونوبات الغضب المفاجئة.

لذلك تداعيات الجائحة سترافقنا. وقد نشهد تغييرا حقيقيا في عالم الجريمة، خصوصا في ما يتعلّق بالجرائم العنيفة الفردية مثلاً، والتي قد تبدو للوهلة الاولى «غير مبررة». فما بالك ببلاد تعاني ازمات وصدمات نفسية واقتصادية واجتماعية وصحية مُتلاحقة؟

منجم ذهب بين ألمانيا ولبنان

تُعتبر منصة التلقيح التابعة لوزارة الصحة منجماً من الذهب لاحتوائها على معلومات وبيانات فردية شخصية وطبيّة عن المواطنين والمقيمين في لبنان، إضافة إلى كونها المصدر الوحيد الذي يُقدّم إثباتاً للتطعيم الذي أصبح من ضروريات أمور كثيرة، منها السفر. لذلك، هناك حاجة ضرورية لحماية هذه البيانات من أي اعتداء سيبراني للحؤول دون استخدامها لأغراض جنائية من قبل مُنظمات اجرامية، أو من قبل العدو مثلاً.

في البداية، لم تكن هذه البيانات تُحفظ في غرفة الخوادم التابعة للتفتيش المركزي. بل تمّ استخدام خادم أجنبي لدى شركة Leaseweb الألمانية التي تُقدّم الخدمات الرقمية. أما اليوم، فأصبحت البيانات لدى خوادم أوجيرو حصرًا بدءاً من 25 تشرين الأوّل 2021.

بحسب IMPACT، وهي المنصة الحكومية التي أطلقت هذا النوع من الخدمات الالكترونية تحت رقابة التفتيش المركزي:

«لا يمكن إساءة استعمال البيانات أو استخدامها لأغراض انتخابية لأنّ المسؤولين يستطيعون رؤية البيانات حصرًا من دون معرفة هوية أصحابها»، و«البيانات الموجودة على الخادم مُشفّرة»، و«يعتمد رمز التشفير 8220 تركيبة محتملة ممّا يجعل قرصنته شبه مستحيلة عمليًا».

1700

من اصل 3000 موقع مُرتبط بصيدليات إلكترونية مُشتبه بكونها غير مشروعة، اظهر تحليل اجرته وحدة الإنتربول لمكافحة الجريمة السيبرانية عام 2020، انّ هناك مخاطر سيبرانية وتحديدًا برمجيات خبيثة للتصيّد الاحتيالي (phishing) وسرقة المعلومات الشخصية، في قرابة 1700 موقع منها.

تنمير القضاة

لبنان
خصوصي
JUSTICE القضاء

لاحظنا 16 سيارة مخالفة وبحثنا عن منصب اصحابها. فتبين الآتي:

مخالفة الفقرة 4 من المادة 145 لا تقتصر فقط على القضاة بل تشمل صحافيين ومحامين واي شخص يضع إشارة او إضافة على لوحة السيارة الخاصة

لكن كيف لقاضٍ (ة) ان يحكم ويلاحق كل من يخالف القانون فيما هو نفسه يخالف القانون؟

رئيس غرفة في محكمة الإستئناف

قاضي تحقيق اول

قاضي في المحكمة الشرعية

قاضية منفردة ومستشارة بالانتداب لغرفة محكمة استئناف

قاضٍ في المحكمة الشرعية

زوجة قاضي شرعي

احد افراد عائلة قاضي

احد افراد عائلة قاضي

قاضي ملحق في المديرية العامة لوزارة العدل

قاضي متقاعد

احد افراد عائلة قاضي

قاضي في المحكمة الشرعية

قاضي متقاعد

قاضي في المحكمة الشرعية

قاضية رئيسة غرفة في المحكمة

قاضي عدلي ملحق

يفترض ان تُطبّق القوانين على الجميع من دون استثناء. حتى ولو كان من يخالف القانون جاهلاً بوجوده. عملاً بمبدأ «nul n'est censé ignorer la loi» لا يمكن التذرّع بجهل القانون امام القاضي الذي يترأس المحاكم للبت في اي نزاع بين طرفين. ويقوم بانزال العقوبات عند اي مخالفة قانونية. او عند ارتكاب جريمة

قانون السير الرقم 243
تاريخ 2012/10/22
في المادة 145 الفقرة 4

يحظّر «وضع اي كتابات او إشارات او علامات او احرف او ارقام او اي إضافات سواء على اللوحات او بجانبها». ويعاقب القانون المخالفين بالحبس ثلاثة اشهر وبغرامة مقدارها مليونا ليرة لبنانية. إضافة إلى سحب ست نقاط وحجز المركبة. في جولة في شوارع بيروت. لاحظنا مخالفات عديدة وواضحة للمادة 145 من قانون السير عبر إضافة «بلاك» إلى لوحة السيارة او بجانبها. تحمل عبارة «القضاء. Justice»

القوس

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com